

Columbia University  
in the City of New York

THE LIBRARIES



2517



W. Arthur Jeffery



# إِجْمَاُزُ الْقُرْآنِ

تَأْلِيفُ

القاضي السعيد شيخ السنة ولسان الملة

أبي بكر محمد بن الطيب الباقصوني

المتوفى سنة ٤٠٣ هـ

٢٥١٦

---

القاهرة

١٣٤٩

---

المطبعة السلفية - ومكنتها

مُقَدِّمَةُ النَّاشِرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين \* وصلى الله على خير خلق الله أجمعين \* سيدنا محمد وآله وصحبه وحملته هدايته \* وسلم تسليماً كثيراً  
أما بعد فإن أنبياء الله أقاموا على الناس الحجة بمعجزات كانت وزالت ، واختص الله خاتم أنبيائه صلوات الله عليه بمعجزة خالدة الى يوم الدين ، وهي القرآن الحكيم

ومن خير ما ألفه أئمة الهدى في بيان اعجاز كتاب الله كتاب القاضي أبي بكر البلاقلاني ، وان للقاضي أكثر من مائة كتاب بادت كلها في مياه دجلة بكارثة التتار ، ولعل ( اعجاز القرآن ) هو الكتاب الوحيد الذي بقي من مؤلفات هذا الامام . وكان قد طبع في القاهرة عام ١٣١٥ ونفدت نسخه من سنين كثيرة ، فأعدنا طبعه الآن معارضاً بنسخة مخطوطة في دار الكتب المصرية . وقد اقترح علينا المستشرق الشهير الاستاذ نلينو أن ندل في كل آية وردت في هذا الكتاب على رقم سورتها ثم على رقم الآية من تلك السورة ففعلنا . وأعاني على تصحيحه في بدايته صديقي الاستاذ السيد محمود محمد شاكر ، ثم قام بمثل هذه المروءة فضيلة الاستاذ الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد في بعض كر اريس منه . فشكراً لها . وأرجو الله أن يجعل هذا الكتاب نافعاً ، وأن يثيبنا على نشره انه أكرم مسئول

محمد مصطفى

القاهرة : ربيع الثاني ، ١٣٤٩

18916G



# أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني

شيخ السنّة ، ولسان الأمة : الفاضل أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد

ابن جعفر بن القاسم الباقلاني

نشأ نشأة العبقرية والنموغ في مدينة البصرة أيام عزّها في القرن الرابع للهجرة . وكانت البصرة يومئذ لا تزال على باب البادية ( في موضع بلدة الزبير الآن ) وكانت عامرة بأعلام البيان وفحول علماء الاسلام : فيها رجال العلوم العقلية الذين تبوءوا مراتب الحكمة وقلّبوا في الكون أوجه النظر ، وفيها حفاظ الشريعة الذين يرجع الناس اليهم في فهم كتاب الله الحكيم وصيانة السنّة من عبث الوضاعين ودس الكذّابين ، كما كان في رجالها أهل الاهواء الذين يرون واجباً عليهم هدم هذا الاسلام والثأر منه للمجوسية والصابئية وسائر الظلمات التي أشرق عليها نور القرآن فأزال غياعها ، ونكس رهوس أهلها ، وقضى على أذاليلها وسفاهاتها . وبين أولئك وهو آلاء علماء التاريخ العارفون بوقائع الدهر وحوادث الزمان . وزينة البصرة ومفخرتها يومئذ أهل العربية الذين انتهت اليهم الامامة في فنونها وقوانين بيانها والاحاطة بمادتها والبصر في سنن العرب في كلامها ، لا تصالهم بالأعراب الخُلص من صدر الاسلام الى أن شِبت الفصحى بغيرها

في هذا البحر المتلاطم بأموج المعارف نشأ محمد بن الطيب الباقلاني ، فكان من خير الناشئين في الاسلام : عقلاً وعلماً وفصاحة لسان وسرعة بادرة وقوة ادراك للحقائق

شيوخه

أخذ محمد بن الطيب العلم عن ابن مجاهد الطائي ، وهو أبو عبد الله محمد بن

أحمد بن محمد بن يعقوب بن مجاهد البصري المالكي صاحب الامام أبي الحسن الأشعري . وكان الباقلاني أخص تلاميذ ابن مجاهد وعنه أخذ علم الكلام وفقه مالك بن أنس وأصوله وانتفع بعلمه وصحبه ما شاء الله أن ينتفع . ومن أساتذة الباقلاني الشيخ الصالح أبو الحسن الباهلي الذي كان إماماً جبلاً من جبال العلم ، وكان مع علمه متفرداً في الزهد والتقوى واعتزال الناس ، فكان يحلوه في جميع أوقاته أن يخلو بربه فلا يخرج من خلوته هذه الا الى درس في العلم يلقيه على مثل طبقة الباقلاني وابن فورك والاسفراييني ، وكان منهم في حجاب يرخي الستر بينهم وبينه كيلا يروه ، لانه كان يريد أن لا يراه غير ربه ، وكان يريد أن لا يتعلق قلبه الا بالله عز وجل . وأبو الحسن الباهلي هذا كان أيضاً من أخص الناس بالشيخ أبي الحسن الأشعري

قالوا ومن شيوخه القطيعي ، ونحسبه أبا بكر أحمد بن جعفر بن حمدان بن مالك القطيعي (نسبة الى قطيعة الرقيق ببغداد) وكان مسنداً العراق في القرن الرابع توفي سنة ٣٦٨

ومنهم أبو بكر محمد بن عبد الله بن صالح الابهري المالكي ، وأبو أحمد الحسين ابن علي النيسابوري ، وأبو محمد بن ماسي ، وأبو بكر بن مالك وغيرهم . ومن زملاء الباقلاني في طلب العلم أمثال أبي اسحق ابراهيم بن محمد الاسفراييني المتوفى سنة ٤١٨ ، وإبي بكر محمد بن الحسن بن فورك المتوفى سنة ٤٠٦ ، وكان هؤلاء الثلاثة مضرب المثل في النبوغ حتى قال فيهم الأديب الاكبر الوزير صاحب بن عباد : « ابن الباقلاني بحر مفرق ، وابن فورك صل مطرق ، والاسفراييني نار تحرق » . قال الحافظ ابن عساكر : وكان روح القدس نفث في روع صاحب بن عباد حيث أخبر عن هؤلاء الثلاثة بما هو حقيقة الحال فيهم



## ظهور الباقلاني

وأول حادثة كبرى في حياة الباقلاني استدعاؤه الى شيراز لمناظرة المعتزلة في مجلس عضد الدولة فناخسرو . وكانت شوكة المعتزلة شديدة في العراق الى أن كان زمن هذا الملك ، وكان قاضي القضاة في وقته معتزلياً ، فقال له فناخسرو يوماً :  
 — هذا المجلس عامر بالعلماء ، ألا أني لا أرى أحداً من أهل السنة

والإثبات ينصر مذهبه

فقال له قاضي القضاة : — ان أهل السنة والاثبات عامة راع أصحاب تقليد وأخبار وروايات ، يروون الخبر وضده ويعتقدونهما وأحدهما ناسخ للثاني أو متأول ، ولا أعرف منهم أحداً يقوم بهذا الأمر

فقال الملك : — محال أن يخلو مذهب طبق الأرض من ناصر ينصره ، فانظر وأي موضع يكون مناظر ليكتب فيه ويحضر مجلسنا فلما عزم في ذلك قال له قاضي القضاة المعتزلي :

— أصلح الله الملك أخبروني أن بالبصرة رجلين — شيخاً وشاباً — أحدهما يُعرف بأبي الحسن الباهلي ، والشاب يُعرف بابن الباقلاني وكانت حضرة الملك يومئذ بشيراز ، فكتب الملك الى العامل ليعينهما اليه ، وأطلق مالاً لنفقتهما من طيب المال . قال القاضي أبو بكر الباقلاني : فلما وصل الكتاب اليينا قال الشيخ ( يعني أبا الحسن الباهلي ) وبعض أصحابنا :

— هؤلاء القوم فسقة لايجل لنا أن نطأ بساطهم ، وليس غرض الملك من هذا إلا أن يقال ان مجلسه مشتمل على أصحاب الحبار كلهم ، ولو كان ذلك لله عزاً وجل خالصاً لتهضت ، فأنا لا أحضر عند قوم هذه صفتهم

فقال القاضي : — كذا قال ابن كلاب والمحاسبي ومن كان في عصرهما من المتكلمين : ان المأمون لانحصر مجلسه ا حتى ساق احمد الى طرسوس ثم مات المأمون وردوه الى المعتصم ، فامتحنه وضر به ، وهؤلاء أسلوه ، ولو مروا اليه وناظروه لكفوه عن هذا الأمر ، فانه كان يزعم أن القوم ليست لهم حجة على

دعواهم . . . وأنت أيها الشيخ تسلك سبيلهم حتى يجري على الفقهاء ماجرى على أحمد ، ويقولون بخلق القرآن ونبي رؤية الله تعالى ، وها أنا خارج ان لم تخرج قال : فخرجتُ مع الرسول نحو شيراز في البحر حتى وصلنا إليها . ثم ذكر من دخوله على الملك ومناظرته مع المنزلة وقطعه أيام ما ذكر

وقد بلغ من احترام الملك عضد الدولة فناخسرو وهذا العالم الشاب النابغة أن دَفَع إليه ابنه يعلمه مذهب أهل السنة ، وألف له كتاب ( التمهيد )

### سيرته وعلو همته

قال الحافظ ابن عساكر : كان القاضي أبو بكر رضي الله عنه فارس هذا العلم مباركا على هذه الامة ، وكان يُلقبُ شيخ السنة ولسان الامة ، وكان . . فاضلا متورعا ممن لم تحفظ عليه زلة قط ، ولا انتسبت اليه نقیصة ، وكان حصنا من حصون المسلمين

ويكفي لتعلم علو همة هذا الرجل العظيم أن تراقب استعماله لوقته لترى كيف كانت حياته مباركا فيها . فقد كان نوابغ الطلبة يزدهجون على باب منزله في نهر طابق ببغداد ليتلقوا دروس العلم منه نهاره وأكمله ليله<sup>(١)</sup> . وكانت له في جامع المنصور ببغداد حلقة عظيمة يجلس فيها مجلسا عاما يحضره علماء المذاهب ورجال الدولة ودعاة النحل المختلفة فيسمعون من معارفه العجب العجاب . ومثل هذا العمل في منزله وفي جامع المنصور كاف ليكون القائم به محسنا الى العلم والدين .

ولسكن القاضي الباقلابي لم يكن يقتنم من حياته بهذا وحده ، بل كان يزيد عليه أنه كان كل ليلة اذا صلى العشاء وقضى ورده وضع الدواة بين يديه وكتب خمسا وثلاثين ورقة تصنيفا من حفظه . ثم ينام فاذا استيقظ وصلى الفجر دفع ما كان كتبه قبل النوم الى بعض اصحابه وأمره بقراءته عليه ، وفي خلال ذلك يعلي عليه الزيادات فيه

(١) من نوابغ تلاميذه ابو عبد الله الازدي وابو طاهر البغدادي الناسك ، وقد رحلوا الى القيروان وانتفع الناس هناك بعلمهما ومواهبهما



وكان القاضي من عباد الله الذين يحلو لهم طول القيام بين يدي الله ، فن ذلك أنه كان بعد أداء فريضة العشاء يصلي كل ليلة عشرين ترويحة ما تركها في حضر ولا سفر . روى الحافظ ابن عساكر عن أبي حاتم محمود بن الحسن القزويني أن القاضي أبا بكر كان يضم من الورع والديانة والزهد والصيانة أضعاف ما كان يظهره . وقيل له في ذلك فقال : إنما أظهر ما أظهره غيظاً للمخالفين لئلا يستحقروا علماء الحق

ومما امتاز به القاضي الباقلاني أنه كان في عصره أحسن الناس خاطراً وأجودهم لساناً وأوضحهم بياناً وأصحهم عبارة . وروى ابن عساكر عن أبي محمد اليافعي انه كان يقول « لو أوصى رجل بثلاث ماله أن يدفع إلى أفصح الناس لوجب أن يدفع إلى أبي بكر الأشعري » . وقال أبو القاسم بن برهان النحوي « من سمع مناظرة القاضي أبي بكر لم يستلذ بعدها بسماع كلام أحد من المتكلمين ، والفقهاء ، والخطباء والمرسلين ، ولا الاغاني أيضاً ، من طيب كلامه وفصاحته وحسن نظامه وأشارته »

### سفارته الى ملك الروم

وفي سنة ٣٧١ أرسله عضد الدولة الى ملك الروم في جواب رسالة وردت منه ، فقام بمهمته أحسن قيام ، وترك وراءه أثراً بليغاً . وكان من مراسم المثل بين يدي ملك الروم في ذلك الحين أن يقبل الزائر الأرض بين يدي الملك . وللظاهر أن ملك الروم علم أن القاضي الباقلاني لن يقوم بهذه المراسم عند مثوله بين يديه ، فاحتمل لاجبار القاضي على أن يكون في هيئة الراكم له عند دخوله عليه ، فأمر بجعل سريره أمام باب منخفض لا يمكن الدخول منه الا بانحناء . فلما جيء بالقاضي ليدخل على الملك من هذا الباب فطن القاضي لما يريد به فأدار ظهره الى داخل القصر وحتى رأسه ودخل من الباب ماشياً الى خلفه حتى اذا صار في داخل مسكن الاستقبال تقدم الى الملك منتصب القامة . فعجب الملك من فطنته ووقعت له الهيبة في نفسه وأدخلوه مرة وهو في عاصمة الروم على بعض المطارنة ، فقال القاضي لكبيرهم

على سبيل التحية : كيف أنت ، وكيف الاهل والاولاد ؟ فتعجب الرومي وقال له : ذكر من أرسلك في كتاب الرسالة أنك لسان الامة ومتقدم على علماء الملة ، أما علمت أن المطارنة والرهبان منزهون عن الاهل والاولاد ؟ فأجابه القاضي أبو بكر : رأيناكم لا تزهون الله سبحانه عن الاهل والاولاد ، فهل المطارنة عندكم أقدس وأجل وأعلى من الله سبحانه ؟

وأراد كبير الروم أن يخزي القاضي فقال له : أخبرني عن قصة عائشة زوج نبيكم وما قيل فيها ؟ فأجابه : هما اثنتان قيل فيهما ما قيل : زوج نبيينا ومريم أم المسيح . فاما زوج نبيينا فلم تلد ، وأما مريم فجاءت بولد تحمله على كتفها ، وقد برءها الله مما رميتا به . فانقطع الرومي ولم يجر جوابا

#### مصنفاته

قال أبو بكر الخوارزمي : كل مصنف ببغداد انما ينقل من كتب الناس الى تصانيفه ، سوى القاضي أبي بكر كان صدره حوى علمه وعلم الناس . وقال علي بن محمد بن الحسن الحاربي المالكي : كان القاضي أبو بكر بهم بان يختصر ما يصنفه فلا يقدر على ذلك لسعة علمه وكثرة حفظه . وما صنّف أحد خلافا إلا احتاج أن يطالع كتب المخالفين غير القاضي فان جميع ما كان يذكر من خلاف الناس فيه صنّفه من حفظه

وقد رأيت آناً كيف ان القاضي الباقلائي كان يصنف في كل ليلة خمسا وثلاثين ورقة . ولما توفي القاضي أمر الشيخ أبو الفضل التميمي مناديا أن ينادي بين يدي جنازته « هذا ناصر السنة والدين ، هذا امام المسلمين ، هذا الذي كان ينبؤ عن الشريعة السنة المخالفين ، هذا الذي صنّف سبعين ألف ورقة ردّاً على الملحدين » . هذا مانودي به يوم وفاة هذا الامام العظيم ، ولا شك في أن مؤلفاته كانت موجودة في تركته ، اذ كانت تتداولها أيدي علماء بغداد وأفاضل الامصار . ولكن أين هي الآن هذه المؤلفات ؟ لقد فقدناها وباللاسف وصرنا لا نستطيع



الوصول الى أعمامها . وأخشى أن يكون أثره الوحيد الباقي بين أيدينا هو كتاب  
 (عجاز القرآن) دون غيره من مصنفاته التي تكاد تملأ خزانه  
 أما السكتب التي بقي اسمها وفُتد رسمها فمنها كتاب له في (الملل والنحل) ،  
 وآخر اسمه (الانتصار) وثالث عنوانه (كشف أسرار الباطنية) وكتاب  
 (التمهيد) الذي ألفه لابن الملك عضد الدولة . وذكر صاحب كشف الظنون كتاباً  
 بعنوان (هداية المسترشدين في الكلام) لأبي بكر بن الباقلاني الشافعي ، ولا  
 أدري هل كلمة « الشافعي » من زيادات النساخ والطابعين أم هي خطأ من المؤلف  
 أم الكتاب لغير هذا الامام

### مذهبه

لا شك أنه كان من فقهاء المالكية ، وقد ترجم له ابن فرحون في الديباج  
 المذهب وعدّه من الطبقة السابعة من أهل العراق (١)  
 هذا مذهبه الفقهي . وأما مذهبه الكلامي فانه كان أشعرياً كما علمت ، وله في  
 كتب الكلام آراء منسوبة اليه ، من ذلك أنه كان يقول بالواسطة بين الموجود  
 والمعدوم ، لانه ذهب الى أن المعلوم ان لم يتحقق أصلاً فهو المعدوم وان تحقق  
 بوجه فان لم يكن باعتبار ذاته فهو الحال وعرفوه بأنه صفة لموجود لا موجودة ولا  
 معدومة وان كان فهو الموجود في الخارج (٢)

ومن مواطن الخلاف بين المعتزلة والاشاعرة مسألة القدرة ونسبتها الى العبد ،  
 فالمعتزلة كانوا يشنعون على الامام أبي الحسن بأن قدرة العبد لما لم تكن مؤثرة  
 فنسميتها قدرة مجرد اصطلاح . فان القدرة صفة مؤثرة على وفق الارادة . وبأن

(١) ان القاضي ابا بكر الباقلائي ائدة قيامه في نصرة مذهب الشيخ ابي الحسن الاشعري صار يقال  
 له الاشعري . فالتبس الامر على الناس في بعض الاحيان حتى اذا عزي امر الى القاضي ابي بكر الاشعري  
 (اي الباقلائي) يظن ان المراد الامام ابو الحسن الاشعري . وعلى هنا يحمل وم من توم ان ابا الحسن  
 الاشعري كان مالكيّاً فان منشا ذلك ان ابا بكر الباقلائي هو المالكي ، فلما قال من قال الاشعري مالكي -وهو  
 يريد ابا بكر الباقلائي - ظن من سمع ذلك ان ابا الحسن الاشعري مالكي وليس كذلك ( انظر طبقات  
 الشافعية للسبي ٢ : ٢٥٥ )

(٢) انظر اول رسالة البصائر من علم الكلام للشيخ عبد الصمد بن محمود السكردى

الفرق بين القدرة والعلم بتأثير القدرة وعدم تأثير العلم وبأنه لما لم يكن للعبد اختيار فلا يستحق الثواب والعقاب . والاشاعة ومن يذهب مذهبهم يردون على المعتزلة بان القدرة ليست صفة مؤثرة بالفعل ، بل صفة من شأنها التأثير على وفق الارادة ، سواء أثرت بالفعل أو لم تؤثر ، وبه يحصل الفرق بينها وبين العلم ، اذ ليس من شأن العلم التأثير المذكور . والكسب عند الاشعري مقارنة الفعل للقدرة والارادة من غير أن يكون للقدرة تأثير ولا للعبد مدخل سوى كونه محلا للفعل . وللقاضي الباقلاني مذهب في الفرق بين القدرة والكسب هو أن الكسب ما يقع به المقدور في محل القدرة ، ولا يصح انفراد القادر به في وجود المقدور ، والخلق بخلافه (١) ونسب اليه صاحب روضات الجنات (٢) القول بعدم استعمال المصطلحات الشرعية في خلاف معانيها اللغوية أبدا ولو مجازا ، بزعم أن الخصوصيات المؤثرة من جانب الشارع المقدس شرط صحة لها خارجة عن أصول تلك المسميات ، نظير ما يقوله الذاهبون الى وضع الحقائق الشرعية للاعم من الصحيحة منها والفاصلة نظرا الى صحة الاطلاق عليه ، فلا نقل عنده الى احد من تلك المعاني المجمولات . وان قيل ان المشهور اختياره للمذهب الثاني في الحقائق الشرعية ، وهو كونها مجازات لغوية

## وفاته

وكانت وفاة هذا الامام آخر يوم السبت لست بقين من ذي القعدة سنة ٤٠٣ ودفن يوم الاحد لسبع بقين منه ، وصلى عليه ابنه الحسن . ودفن أولا في داره بنهر طابق ، ثم نقل الى مقبرة باب حرب ودفن فيها بقرب قبر الامام احمد بن حنبل رضي الله عنها . ومما رثي به :

انظر الى جبل تمشي الرجال به      وانظر الى القبر مايجوي من الصلِّف  
وانظر الى صارم الاسلام منعمدا      وانظر الى درة الاسلام في الصدف

(١) انظر حاشية الكلبوي على العقائد العنصرية ص ٢٥٦

(٢) من الشيعة . انظر ص ٦١٦ ( ٤ : ١٧٧ ) منه



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله المنعم على عباده بما هداهم اليه من الايمان ، والمتمم احسانه بما  
أقام لهم من جلي البرهان \* الذي حمد نفسه بما أنزل من القرآن ليكون بشيراً  
ونذيراً ، وداعياً الى الله باذنه وسراجاً منيراً \* وهادياً الى ما ارتضى لهم من  
دينه ، وسلطاناً أوضح وجه تبيينه \* ودليلاً على وحدانيته ، ومرشداً الى معرفة  
عزته وجبروته \* ومفصحا عن صفات جلاله ، وتعالى شأنه وعظيم سلطانه \* وحجة  
لرسوله الذي أرسله به وعلمها على صدقه ، وبينته على أنه أمينه على وحيه وصادع  
بأمره \* فما أشرفه من كتاب يتضمن صدق متحملة ، ورسالة تشمل على  
تصحيح قول مؤدبها ، بقرينة فيه سبحانه أن حجته كافية هادية لا يحتاج مع  
وضوحها الى بيّنة تعدوها ، أو حجة تتلوها \* وأن الذهاب عنها كالذهاب عن  
الضروريات ، والتشكك في المشاهدات \* ولذلك قال عز ذكره (٧:٦) « ولو  
نزّلنا عليك كتاباً في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقل الذين كفروا إن هذا إلا  
سحر مبين » وقال عز وجل (١٥:١٤-١٥) « ولو فتحنا عليهم باباً من السماء فظلوا  
فيه يعرجون ، لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون » \* فله  
الشكر على جزيل احسانه وعظيم مننه \* والصلاة على سيدنا محمد المصطفى  
وآله وسلم

ومن أهم ما يجب على أهل دين الله كشفه ، وأولى ما يلزم بحثه ، ما كان  
لأصل دينهم قواماً ، ولقاعدة توحيدهم عماداً ونظاماً ، وعلى صدق نبيهم عليه السلام  
برهاناً ، ولمعجزته ثبناً وحجة . لاسيما والجهل ممدود الرواق ، شديد النفاق ،  
مستولٍ على الآفاق . والعلم الى عفاء ودروس ، وعلى خفاء وطموس . وأهله

في جفوة الزمن البهيم ، يقاسون من عبوسه لقاء الأسد الشقيم حتى صار ما يكابدونه قاطما عن الواجب من سلوك مناهجه ، والأخذ في سبله . فالناس بين رجلين : ذاهب عن الحق ذاهل عن الرشد ، وآخر مصدود عن نصرته ، مكدود في صنمته . فقد أدى ذلك الى خوض الملحدين ، في أصول الدين ، وتشكيكهم أهل الضعف في كل يقين . وقد قلّ أنصاره ، واشتغل عنه أعوانه ، وأسلمه أهله ، فصار عرضة لمن شاء أن يتعرض فيه ، حتى عاد مثل الأمر الأول على ما خاضوا فيه عند ظهور أمره . فمن قائل قال انه سحر ، وقائل يقول انه شعر ، وآخر يقول انه أساطير الأولين ، وقالوا لو نشاء لقلنا مثل هذا ، الى الوجوه التي حكى الله عز وجل عنهم أنهم قالوا فيه وتكلموا به فصرفوه اليه . وذكر لي عن بعض جهالهم انه جعل يعدله ببعض الأشعار ، ويوازن بينه وبين غيره من الكلام ، ولا يرضى بذلك حتى يفضله عليه . وليس هذا ببديع من ملحدة هذا العصر ، وقد سبقهم الى عظم ما يقولونه اخوانهم من ملحدة قريش وغيرهم إلا أن أكثر من كان طعن فيه في أول أمره استبان رشدّه ، وأبصر قصده ، فتاب وأناب ، وعرف من نفسه الحق بغريزة طبعه وقوة اتقانه ، لا لتصرف لسانه ، بل لهداية ربه وحسن توفيقه . والجهل في هذا الوقت أغلب ، والملحدون فيه عن الرشد أبعد ، وعن الواجب أذهب . وقد كان يجوز أن يقع ممن عمل السكتب النافعة في معاني القرآن ، وتكلم في فوائده من أهل صنعة العربية وغيرهم من أهل صناعة الكلام ، أن يبسطوا القول في الابانة عن وجه معجزته والدلالة على مكانه ، فهو أحق بكثير مما صنفوا فيه من القول في الجزء ، ودقيق الكلام في الأعراض ، وكثير من بديع الاعراب وغامض النحو ، فلحاجة الى هذا أمس ، والاشتغال به أوجب . وقد قصر بعضهم في هذه المسألة ، حتى أدى ذلك الى تحول قوم منهم الى مذاهب البراهمة فيها ، ورواوا أن عجز أصحابهم



عن نصرة هذه المعجزة يوجب أن لا يستنصر فيها ولا وجه لها ، حين رأوهم قد برعوا في لطيف ما أبدعوا ، وانتهوا الى الغاية فيما أحدثوا ووضعوا . ثم رأوا ماصنفوه في هذا المعنى غير كامل في بابه ، ولا مستوفى في وجهه ، قد أخل بتهديب طرقة ، وأهل ترتيب بيانه . وقد يعذر بعضهم في تفريط يقع منه فيه ، وذهاب عنه ، لان هذا الباب مما يمكن احكامه بعد التقدم في أمور شريفة المحل ، عظيمة المقدار ، دقيقة المسلك ، لطيفة المأخذ . واذا انتهينا الى تفصيل القول فيها استبان ما قلناه من الحاجة الى هذه المقدمات ، حتى يمكن بعدها إحكام القول في هذا الشأن . وقد صنّف الجاحظ في نظم القرآن كتابا لم يزد فيه على ما قاله المتكلمون قبله ، ولم يكشف عما يلتبس في أكثر هذا المعنى

وسألنا سائل أن نذكر جملة من القول جامعة تسقط الشبهات وتزيل الشكوك التي تعرض للجهال وتنتهي الى ما يخطر لهم ويعرض لافهامهم من الطعن في وجه المعجزة . فأجبناه الى ذلك متقربين الى الله عز وجل ومتوكلين عليه وعلى حسن توفيقه ومعونته \* ونحن نبين ما سبق فيه البيان من غيرنا ، ونشير اليه ، ولا نبسط القول لئلا يكون ما ألفناه مكررا ومقولا ، بل يكون مستفادا من جهة هذا الكتاب خاصة ، ونصف ما يجب وصفه من القول في تنزيل متصرفات الخطاب ، وترتيب وجوه الكلام ، وما تختلف فيه طارق البلاغة ، وتفاوت من جهته سبل البراعة ، وما يشبه له ظاهر الفصاحة ، ويختلف فيه المختلفون من أهل صناعة العربية ، والمعرفة بلسان العرب في أصل الوضع ، ثم ما اختلفت به مذاهب مستعمليه في فنون ما ينقسم اليه الكلام من شعر ورسائل وخطب وغير ذلك من مجاري الخطاب . وان كانت هذه الوجوه الثلاثة أصول ما يبين فيه التفاسيح وتقصده في البلاغة ، لان هذه أمور يتعمل لها في الاغلب ، ولا يتجاوز فيها . ثم من بعد هذا الكلام الدائر في محاوراتهم ، والتفاوت فيه أكثر لان التعمل فيه أقل . إلا من غزارة

طبع أوفظانة تصنع وتكلف ، ونشير الى ما يجب في كل واحد من هذه الطرق ليعرف عظيم محل القرآن ، وليعلم ارتفاعه عن مواقع هذه الوجوه ، وتجاوزه الحد الذي يصح أو يجوز ان يوازن بينه وبينها ، أو يشتبه ذلك على متأمل . ولسنا نزعم أنه يمكننا أن نبين ما رمنا بيانه وأردنا شرحه وتفصيله لمن كان عن معرفة الادب ذاهبا ، وعن وجه اللسان غافلا ، لان ذلك مما لا سبيل اليه إلا ان يكون الناظر فيها نعرض عليه مما قصدنا اليه من أهل صناعة العربية قد وقف على جمل من محاسن الكلام ومتصرفاته ومذاهبه ، وعرف جملة من طرق المتكلمين ونظر في شيء من أصول الدين . وانما ضمن الله عز وجل فيه البيان لمثل من وصفناه فقال ( ٤١ : ٣ ) « كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون » وقال ( ٤٣ : ٣ ) « إنجعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون »





## فصل

﴿ في أن نبوة النبي ﷺ معجزتها القرآن ﴾

الذي يوجب الاهتمام التام بمعرفة اعجاز القرآن ، أن نبوة نبينا عليه السلام بنيت على هذه المعجزة وان كان قد أُيد بعد ذلك بمعجزات كثيرة الا أن تلك المعجزات قامت في أوقات خاصة وأحوال خاصة وعلى أشخاص خاصة ، ونقل بعضها نقلاً متواتراً يقع به العلم وجوداً ، وبعضها مما نقل نقلاً خاصاً الا أنه حكى بمشهد من الجمع العظيم انهم شاهدوه ، ولو كان الامر على خلاف ما حكى لأنكره أو لا أنكره بعضهم فخل محل المعنى الأول وان لم يتواتر أصل النقل فيه . وبعضها مما نقل من جهة الآحاد ، وكان وقوعه بين يدي الآحاد . فأما دلالة القرآن فهي عن معجزة عامة عمّت الثقيلين وبقيت بقاء العصرين ، ولزوم الحجية بها في أول وقت ورودها الى يوم القيامة على حد واحد ، وان كان قد يعلم بمعجز أهل العصر الأول عن الاتيان بمثله وجه دلالاته فيغنى ذلك عن نظير مجدد في عجز أول العصر عن مثله ، وكذلك قد يغنى عجز أهل هذا العصر عن الاتيان بمثله عن النظر في حال أهل العصر الأول . وانما ذكرنا هذا الفصل لما حكى عن بعضهم انه زعم أنه وان كان قد عجز عنه أهل العصر الأول فليس أهل هذا العصر بماجزين عنه . ويكفي عجز أهل العصر الأول في الدلالة لأنهم خصوا بالتحدثي دون غيرهم . ونحن نبين خطأ هذا القول في موضعه . فأما الذي يبين ما ذكرناه من أن الله تعالى حين ابتعثه جعل معجزته القرآن وبنى أمر نبوته عليه سوراً كثيرة وآيات نذكر بعضها وننبه بالذكر على غيره ، فليس يخفى بعد التنبيه على طريقه . فن ذلك قوله تعالى (١٤ : ١) « الر كتاب أنزلناه اليك

لنُخرج الناسَ من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد «  
فأخبرانه أنزله ليقم الاهتداء به ولا يكون كذلك الا وهو حجة ، ولا تكون  
حجة ان لم تكن معجزة ، وقال عز وجل ( ٩ : ٦ ) « وان أحد من المشركين  
استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله » فلولا أن سماعه إياه حجة عليه لم يقف أمره  
على سماعه ولا يكون حجة الا وهو معجزة ، وقال عز وجل ( ٢٦ : ١٩٤ - )  
« وانه لتنزيلُ ربِّ العالمين ، نزل به الروحُ الأمين ، على قلبك لتكونَ من  
المنذرين » وهذا بينٌ جداً فيما قلناه من انه جعله سبباً لكونه منذراً . ثم  
أوضح ذلك بأن قال ( ٢٦ : ١٩٥ ) « بلسان عربي مبين » فلولا أن كونه بهذا  
اللسان حجة لم يعقب كلامه الأول به ، وما من سورة افتتحت بذكر الحروف  
المتقطعة الا وقد أشبع فيها بيان ما قلناه . ونحن نذكر بعضها لتستدل بذلك  
على ما بعده ، وكثير من هذه السور اذا تأملته فهو من أوّله الى آخره مبني  
على لزوم حجة القرآن والتنبيه على وجه معجزته . فمن ذلك سورة  
المؤمن ( ٤٠ : ١ - ٦ ) قوله عز وجل « حمّ تنزيلُ الكتاب من الله العزيز  
العليم » ثم وصف نفسه بما هو أهله من قوله تعالى « غافر الذنب ، وقابل  
التوب ، شديد العقاب » الى أن قال « ما يجادل في آيات الله الا الذين كفروا »  
فدل على أن الجدل في تنزيله كفرٌ وإلحاد . ثم أخبر بما وقع من تكذيب  
الأمم برسلمه بقوله عز وجل « كذّبت قبلهم قومُ نوح والأحزابُ من بعدهم »  
الى آخر الآية ، فتوعدهم بأنه آخذهم في الدنيا بذنبيهم في تكذيب الانبياء . ورد  
يراهنيهم فقال تعالى « فأخذتهم فكيف كان عقاب » ثم توعدهم بالنار ، فقال  
تعالى « وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا أنهم أصحاب النار » ثم عظم  
شأن المؤمنين بهذه الحجة بما أخبر من استغفار الملائكة لهم وما وعدهم عليه من  
المغفرة فقال تعالى ( ٤٠ : ٧ ) « الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم



ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا : ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً فأغفر  
للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم » فلولا انه برهان قاهر لم ينم  
الكفار على العدول عنه ولم يحمد المؤمنين على المصير اليه . ثم ذكر تمام الآيات في  
دعاء الملائكة للمؤمنين ، ثم عطف على وعيد الكافرين فذكر آيات ثم قال (١٣:٤٠)  
« هو الذي يريكم آياته » فأمر بالنظر في آياته وبراهينه الى أن قال (١٥:٤٠) « رفيع  
الدرجات ذو العرش يُلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم  
التلاق » فجعل القرآن والوحي به كالروح ، لأنه يؤدي الى حياة الأبد ، ولأنه  
لا فائدة للجسد من دون الروح ، فجعل هذا الروح سبباً للانذار وعلماً عليه وطريقاً  
اليه ، ولولا أن ذلك برهان بنفسه لم يصح أن يقع به الانذار والاخبار عما يقع عند  
مخالفته ولم يكن انخبر عن الواقع في الآخرة عند ردهم دلالة من الوعيد حجة  
ولا معلوما صدقه فكان لا يلزمهم قبوله . فلما خلاص من الآيات في ذكر الوعيد  
على ترك القبول ضرب لهم المثل بمن خالف الآيات وجحد الدلالات والمعجزات  
فقال ( ٢١:٤٠ ) « أو لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا  
من قبلهم » الى آخر الآية ثم بين أن عاقبتهم صارت الى السوءى بأن رُسلمهم كانت  
تأتيهم بالبينات وكانوا لا يقبلونها منهم فعلم أن ما قدم ذكره في السورة بينه رسول  
الله ﷺ ثم ذكر قصة موسى ويوسف عليهما السلام ومجئتهما بالبينات ومخالفتهما  
حكما الى أن قال تعالى (٣٥:٤٠) « الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم  
كبر مقتاً عند الله وعند الذين آمنوا ، كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار »  
فأخبر أن جداهم في هذه الآيات لا يقع بحجة وانما يقع عن جهل وأن الله يطبع  
على قلوبهم ويصرفهم عن تفهم وجه البرهان لجحودهم وعنادهم واستكبارهم ، ثم  
ذكر كثيراً من الاحتجاج على التوحيد ثم قال تعالى ( ٦٩:٤٠ ) « ألم تر الى  
الذين يجادلون في آيات الله أنى يُصرفون » ثم بين هذه الجملة وأن من آياته

الكتاب فقال (٧٠: ٤٠) «الذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رُسُلنا فسوف يعلمون» الى أن قال (٧٧: ٤٠) «وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بأذن الله» - فدل على أن الآيات على ضربين: أحدهما كالمعجزات التي هي أدلة في دار التكليف، والثاني الآيات التي ينقطع عندها العذر ويقع عندها العلم الضروري وأنها إذا جاءت ارتفع التكليف ووجب الاهلاك. الى أن قال تعالى (٨٥: ٤٠) «فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا» فأعلمنا انه قادر على هذه الآيات، ولكنه إذا أقامها زال التكليف وحققت العقوبة على الجاحدين. وكذلك ذكر في «حم» السجدة على هذا المنهج الذي شرحنا، فقال عز وجل (٤١: ٤١) «حم، تنزيل من الرحمن الرحيم، كتاب أنزلناه قرآنا عربيا لعلهم يعلمون، بشيرا ونذيرا، فلو لا انه جعله برهاناً لم يكن بشيراً ولا نذيراً، ولم يختلف بأن يكون عربياً مفصلاً أو بخلاف ذلك. ثم أخبر عن جحودهم وقلة قبولهم بقوله تعالى «فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون» ولولا انه حجة لم يضرهم الاعراض عنه

وليس لقائل أن يقول قد يكون حجة ويحتاج في كونه حجة الى دلالة أخرى كما أن الرسول ﷺ حجة ولكنه يحتاج الى دلالة على صدقه وصحة نبوته. وذلك انه إنما احتج عليهم بنفس هذا التنزيل ولم يذكر حجة غيره. ويبين ذلك انه قال عقيب هذا (٦٠: ٤١) «قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الي» فأخبر انه مثلهم لولا الوحي. ثم عطف عليه بحمد المؤمنين به المصدقين له فقال (٤١: ٨) «ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون» ومعناه الذين آمنوا بهذا الوحي والتنزيل وعرفوا هذه الحجة. ثم تصرف في الاحتجاج على الوجدانية والقدرة الى ان قال (٤١: ١٣) «فان عرضوا قتل أندرتكم ساعة مثل ساعة عاد وندود» فنوعدهم بما أصاب من قبلهم من المكذبين بآيات الله من قوم عاد



وعمود في الدنيا ثم توعدهم بأمر الآخرة فقال (٤١ : ١٩) « ويوم يُحشر أعداء الله الى النار فهم يوزعون » الى انتهاء ما ذكره فيه . ثم رجع الى ذكر القرآن فقال (٤١ : ٢٦) « وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون » ثم اثنى بعد ذلك على من تلتاه بالقبول فقال (٤١ : ٣٠) « ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا » ثم قال (٤١ : ٣٦) « وإما ينزغناك من الشيطان نَزْغٌ فاستعذ بالله انه هو السميع العليم » وهذا ينبه على ان النبي ﷺ يعرف اعجاز القرآن ، وانه دلالة له على جهة الاستدلال ، لان الضروريات لا يقع فيها نزع الشيطان ، ونحن نبين ما يتعلق بهذا الفصل في موضعه . ثم قال (٤١ : ٤٠) « ان الذين يُلحِدُونَ في آياتنا » الى ان قال (٤١ : ٤١-٤٢) « ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم وانه لكتاب عزيز ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه » وهذا وان كان متأولا على انه لا يوجد فيه غير الحق مما يتضمنه من اقايص الأزلين واخبار المرسلين ، وكذلك لا يوجد خلف فيما يتضمنه من الاخبار عن الغيوب وعن الحوادث التي أبدأ انها تقع في الثاني فلا يخرج عن ان يكون متأولا على ما يقتضيه نظام الخطاب من انه لا يأتيه ما يبطله من شبهة سابقة تقدر في معجزته أو تعارضه في طريقه ، وكذلك لا يأتيه من بعده قط أمر يشكك في وجه دلالة ، وهذا أشبه بسياق الكلام ونظامه . ثم قال (٤١ : ٤٤) « ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته أعجمي وعربي » فأخبر انه لو كان أعجميا لكانوا يحتجون في رده ، اما بأن ذلك خارج عن عرف خطابهم - وكانوا يمتدرون بنهاهم عن معرفة معناه ، وبأنهم لا يبين لهم وجه الاعجاز فيه لانه ليس من شأنهم ولا من لسانهم - أو بغير ذلك من الامور ، وانه اذا تحدثوا الى ما هو من لسانهم وشأنهم فعجزوا عنه وجبت الحجة عليهم به ، على ما نبينه في وجه هذا

الفصل، الى أن قل (٤١ : ٥٢) « قل أرأيتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به من أضل ممن هو في شقاق بعيد » والذي ذكرنا من نظم هاتين السورتين ينبه على غيرهما من السور، ففكرهنا سرمد القول فيها، فلي تأمل المتأمل ما دللناه عليه يجده كذلك

ثم مما يدل على هذا قوله عز وجل (٢٩ : ٥٠ - ٥١) « وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين . أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم » فأخبر أن الكتاب آية من آياته وعلم من أعلامه، وان ذلك يكفي في الدلالة ويقوم مقام معجزات غيره وآيات سواه من الانبياء صلوات الله عليهم، ويدل عليه قوله عز وجل (٢٥ : ١) « تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً » وقوله (٤٢ : ٢٤) « أم يقولون افتري على الله كذباً فان يشأ الله يختم على قلبك ويحج الله الباطل ويحقق الحق بكلماته » فدل على انه جعل قلبه مستودعاً لوجهه، ومستنزلاً لكتابه، وانه لو شاء صرف ذلك الى غيره، وكان له حكم دلالة على تحقيق الحق وابطال الباطل مع صرفه عنه . ولذلك أشباه كثيرة تدل على نحو الدلالة التي وصفناها . فبان بهذا وبنظائره ما قلناه من أن بناء نبوته صلى الله عليه وسلم على دلالة القرآن ومعجزته، وصار له من الحكم في دلالة على نفسه وصدقه انه يمكن أن يعلم أنه كلام الله تعالى، وفارق حكمه حكم غيره من الكتب المنزلة على الانبياء لانها لا تدل على أنفسها إلا بأمر زائد ووصف مضاف اليها، لان نظمها ليس معجزاً، وان كان ما يتضمنه من الاخبار عن الغيوب معجزاً . وليس كذلك القرآن لانه يشاركها في هذه الدلالة ويزيد عليها في أن نظمه معجز، فيمكن أن يستدل به عليه، وحل في هذا من وجوه محل سماع الكلام من القدم سبحانه وتعالى، لان موسى عليه السلام لما سمع كلامه علم انه في الحقيقة كلامه . وكذلك من يسمع القرآن يعلم انه كلام الله



وان اختلف الحال في ذلك من بعض الوجوه لان موسى عليه السلام سمعه من الله عز وجل وأسمعه نفسه متكلماً ، وليس كذلك الواحد منا . وكذلك قد يختلفان في غير هذا الوجه ، وليس ذلك قصدنا بالكلام في هذا الفصل . والذي نرومه الآن ما يبتأ من اتفاقهما في المعنى الذي وصفنا ، وهو انه عليه السلام يعلم ان ما يسمعه كلام الله من جهة الاستدلال وكذلك نحن نعلم ما نقرؤه من هذا على جهة الاستدلال



## فصل

## ﴿ في الدلالة على أن القرآن معجز ﴾

قد ثبت بما يتنا في الفصل الاول ان نبوة نبينا ﷺ مبنية على دلالة معجزة القرآن ، فيجب ان نبين وجه الدلالة من ذلك \* قد ذكر العلماء ان الاصل في هذا هو ان تعلم ان القرآن الذي هو متلو محفوظ مرسوم في المصاحف هو الذي جاء به النبي ﷺ ، وانه هو الذي تلاه على من في عصره ثلاثا وعشرين سنة . والطريق الى معرفة ذلك هو النقل المتواتر الذي يقع عنده العلم الضروري به . وذلك انه قام به في المواقف ، وكتب به الى البلاد وتحمله عنه اليها من تابعه ، وأورده على غيره من لم يتابعه ، حتى ظهر فيهم الظهور الذي لا يشبهه على أحد ، ولا يحيل انه قد خرج من أتى بقرآن يتلوه ويأخذه على غيره ويأخذ غيره على الناس ، حتى انتشر ذلك في أرض العرب كلها وتعدى الى الملوك المصابقة لهم كملك الروم والعجم والحبش وغيرهم من ملوك الاطراف . ولما ورد ذلك مضادا لاديان أهل ذلك العصر كماهم ومخالفا لوجوه اعتقاداتهم المختلفة في الكفر ، وقف جميع أهل الخلاف على جملته ووقف جميع أهل دينه الذين أكرمهم الله بالايان على جملته وتفصيله . وتظاهر بينهم حتى حفظه الرجال ، وتنقلت به الرجال ، وتعلمه الكبير والصغير . اذ كان عمدة دينهم ، وعلماء عليه ، والمفروض تلاوته في صلواتهم ، والواجب استعماله في أحكامهم . ثم تناقله خلف عن سلف هم مثلهم في كثرتهم وتوفر دواعيهم على نقله ، حتى انتهى اليها ما وصفناه من حاله ، فلن يتشكك أحد ولا يجوز ان يتشكك مع وجود هذه الاسباب في انه أتى بهذا القرآن من عند الله ، فهذا أصل . واذا



ثبت هذا الاصل وجودا فانا نقول انه تحداهم الى ان يأتوا بمثله ، وقرعهم على ترك الاتيان به طول السنين التي وصفناها فلم يأتوا بذلك ، والذي يدل على هذا الاصل اننا قد علمنا ان ذلك مذكور في القرآن في المواضع لكثيرة كقوله (٢٣:٢-٢٤) « وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين ، فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين » وكقوله (١١:١٣-١٤) « أم يقولون افتراء قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين . فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا انما أنزل بعلم الله وأن لا إله إلا هو فهل أنتم مسلمون » فجعل عجزهم عن الاتيان بمثله دليلا على انه منه ودليلا على وحدانيته . وذلك يدل عندنا على بطلان قول من زعم انه لا يمكن أن يعلم بالقرآن الوحدانية وزعم ان ذلك مما لا سبيل اليه الا من جهة العقل ، لان القرآن كلام الله عز وجل ولا يصح ان يعلم الكلام حتى يعلم المتكلم أولا . فقلنا اذا ثبت بما نبينه اعجازه وان الخلق لا يقدرون عليه ثبت ان الذي أتى به غيرهم ، وانه انما يختص بالقدرة عليه من يختص بالقدرة عليهم . وانه صدق ، واذا كان كذلك كان ما يتضمنه صدقا ، وليس اذا أمكن معرفته من جهة العقل امتنع ان يعرف من الوجهين . وليس الغرض تحقيق القول في هذا الفصل لانه خارج عن مقصود كلامنا ، ولسنا ذكرناه من جهة دلالة الآية عليه ، ومن ذلك قوله عز وجل (١٧:٨٨) « قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » وقوله (٥٢:٣٣-٣٤) « أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون . فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين » فقد ثبت بما بيناه انه تحداهم اليه ولم يأتوا بمثله وفي هذا أمران : أحدهما التحدي اليه ، والاخر أنهم لم يأتوا له بمثل . والذي

يدل على ذلك النقل المتواتر الذي يقع به العلم الضروري ، فلا يمكن جمود واحد من هذين الامرين . وان قال قائل لعله لم يقرأ عليهم الآيات التي فيها ذكر التحدثي وانما قرأ عليهم ما سوى ذلك من القرآن كان ذلك قولاً باطلاً يعلم بطلانه مثل ما يعلم به بطلان قول من زعم أن القرآن أضعاف هذا وهو يبلغ حمل جمل وانه كتم وسيظهره المهدي . أو يدعى أن هذا القرآن ليس هو الذي جاء به النبي ﷺ وانما هو شيء وضعه عمر أو عثمان رضي الله عنهما حيث وضع المصحف . أو يدعى فيه زيادة أو نقصاناً . وقد ضمن الله حفظ كتابه أن يأتيه الباطل من بين يديه أو من خلفه ، ووعده الحق . وحكاية قول من قال ذلك يغني عن الرد عليه لان العدد الذين أخذوا القرآن في الأمصار وفي البوادي وفي الاسفار والحضر وضبطوه حفظاً من بين صغير وكبير وعرفوه حتى صار لا يشبهه على أحد منهم حرف لا يجوز عليهم السهو والنسيان ، ولا التخليط فيه والكتمان ، ولو زادوا ونقصوا أو غيروا الظاهر ، وقد علمت ان شعر امرئ القيس وغيره - على أنه لا يجوز أن يظهر ظهور القرآن ، ولا ان يحفظ كحفظه ، ولا أن يضبط كضبطه ، ولا ان تمس الحاجة اليه مساسها الى القرآن - لو زيد فيه بيت أو نقص منه بيت لابل لو غير فيه لفظ لتبرأ منه أصحابه ، وأنكره أربابه . فاذا كان ذلك مما لا يمكن في شعر امرئ القيس ونظرائه مع أن الحاجة اليه تقع لحفظ العربية ، فكيف يجوز أو يمكن ما ذكره في القرآن مع شدة الحاجة اليه في أصل الدين ، ثم في الاحكام والشرائع واشتمال الهمم المختلفة على ضبطه : فمنهم من يضبطه لاحكام قراءته ومعرفة وجوها وصحة أدائها ، ومنهم من يحفظه للشرائع والفقهاء ، ومنهم من يضبطه ليعرف تفسيره ومعانيه ، ومنهم من يقصد بحفظه الفصاحة والبلاغة ، ومن الملحنين من يحصله لينظر في عجيب شأنه . وكيف يجوز على أهل هذه الهمم المختلفة والآراء المتباينة على كثرة اعدادهم واختلاف بلادهم وتفاوت



أغراضهم ان يجتمعوا على التغيير والتبديل والسكتان . ويبين ذلك انك اذا تأملت ما ذكر في اكثر السور مما بينا ، ومن نظائره في رد قومه عليه ورد غيرهم وقولهم ( ٨ : ٣١ ) « لو نشاء لقلنا مثل هذا » وقول بعضهم ( ٣٨ : ٧ ) « ان هذا الا اختلاق »<sup>(١)</sup> الى الوجوه التي يصرف اليها قولهم في الطعن عليه فمنهم من يستهين بها ويجعل ذلك سبباً لتركه الايتان بمثله ، ومنهم من يزعم انه مقترى فلذلك لا يأتي بمثله ، ومنهم من يزعم انه دارس وأنه أساطير الاولين . وكرهنا أن نذكر كل آية تدل على تحديته لثلا يقع التطويل . ولو جاز أن يكون بعضه مكتوماً جاز على كله ولو جاز أن يكون بعضه موضوعاً جاز ذلك في كله . فثبت بما بيناه انه تحدى اليه وأنهم لم يأتوا له بمثل . وهذا الفصل قد بينا أن الجميع قد ذكروه وبنوا عليه . فاذا ثبت هذا وجب أن يعلم بمدى ان تركهم للاتيان بمثله كان لعجزهم عنه . والذي يدل على انهم كانوا عاجزين عن الاتيان بمثل القرآن انه تحداهم اليه حتى طال التحدي وجعله دلالة على صدقه ونبوته وتضمن احكامه استباحة دماءهم وأموالهم وسبي ذريتهم ، فلو كانوا يقدرون على تكذيبه لفعوا وتوصلوا الى تخليص أنفسهم وأهليهم وأموالهم من حكمه بأمر قريب هو عادتهم في لسانهم ومألوف من خطابهم ، وكان ذلك يغنيهم عن تكلف القتال واكثر المراء والجدال ، وعن الجلاء عن الاوطان وعن تسليم الاهل والذرية للسبي . فلما لم يحصل هناك معارضة منهم علم أنهم عاجزون عنها يبين ذلك ان العدو يقصد لدفع قول عدوه بكل ما قدر عليه من المسكيد لا سيما مع استعظامه ما بدعه بالجبيء من خلق آلهته وتسفيه رأيه في ديانته وتضليل آبائه والتغريب عليه بما جاء به واظهار أمر يوجب الانقياد لطاعته والتصرف

(١) اسم الاشارة هنا راجع الى قولهم ( ٣٨ : ٥ ) « أجمل الآلهة الها واحدا »

على حكم ارادته والعدول عن الفه وعادته والانخراط في سلك الاتباع بعد أن كان متبوعاً والتشيع بعد أن مشيعاً ، وتحكيم الغير في ماله ، وتسليطه اياه على جملة احواله ، والدخول تحت تكاليف شاقة وعبادات متعبة بقوله . وقد علم أن بعض هذه الاحوال مما يدعو الى سلب النفوس دونه . هذا والحمة حميتهم والهمم الكبيرة همهم وقد بذلوا له السيف وأخطروا بنفوسهم وأموالهم ، فكيف يجوز أن لا يتوصلوا الى الرد عليه والى تكذيبه بأهون سعيهم ومألوف أمرهم ، وما يمكن تناوله من غير أن يمرق فيه جبين أو يشتغل به خاطر ، وهو لسانهم الذي يتخاطبون به مع بلوغهم في الفصاحة النهائية التي ليس وراءها مطامع والرتبة التي ليس وراءها منزع ؟ ومعلوم أنهم لو عارضوه بما نجاهم اليه لكان فيه توهين أمره ، وتكذيب قوله ، وتفريق جمعه ، وتشيت أسبابه ، وكان من صدق به يرجع على أعتابه ويهود في مذهب أصحابه . فلما لم يفعلوا شيئاً من ذلك مع طول المدة ووقوع الفسحة وكان امره يتزايد حالاً فحالاً ويعلم شيئاً فشيئاً وهم على العجز عن القدح في آيته والظعن في دلالة ، علم مما بينا انهم كانوا لا يقدرين على معارضته ولا على توهين حجته . وقد اخبر الله تعالى عنهم انهم ( ٤٣ : ٥٨ ) « قوم خصمون » وقال : ( ١٩ : ٩٧ ) « وتندر به قوماً لداً » وقال ( ١٦ : ٤ ) « خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين » . وعلم ايضاً ان ما كانوا يقولونه من وجوه اعتراضهم على القرآن مما حكي الله عز وجل عنهم من قولهم ( ٨ : ٣١ ) « لو نشاء لقلنا مثل هذا ان هذا الا اساطير الاولين » وقولهم ( ٢٨ : ٣٦ ) « ما هذا الا سحر مفترى وما سمعنا بهذا في آباؤنا الاولين » وقالوا ( ١٥ : ٦ ) « يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون » وقالوا ( ٢١ : ٣ ) « افناتون السحر واتم تبصرون » وقالوا ( ٣٧ : ٣٦ ) « ائنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون » ( ٢٥ : ٤-٥ ) « وقال الذين



كفروا ان هذا الا افك اقتراه واعانه عليه قوم آخرون فقد جاءوا ظلماً وزورا  
وقالوا اساطير الاولين اكتبها فهي تملئ عليه بكرة واصيلاً» (٢٥ : ٨) وقال  
الظالمون ان تتبعون الا رجلاً مسحوراً» وقوله (١٥ : ٩١) الذين جعلوا  
القرآن عيظين الى آيات كثيرة في نحو هذا تدل على أنهم كانوا متحيرين في  
امرهم متعجبين من عجزهم يفزعون الى نحو هذه الامور من تعليل وتمذير ومدافعة  
بما وقع التحدي اليه ، وعرف الحث عليه . وقد علم منهم أنهم ناصبوه الحرب  
وجاهروه وناهبوه وقطعوا الارحام وأخطروا بأنفسهم وطالبوه بالآيات  
والاياتين<sup>(١)</sup> وغير ذلك من المعجزات ، يريدون تعجزه ليظهروا عليه بوجه  
من الوجوه . فكيف يجوز أن يقدروا على معارضته القرية السهلة عليهم  
وذلك يدحض حجته ويفسد دلالته ويبطل أمره - فيعدلون عن ذلك الى سائر  
ما صاروا اليه من الامور التي ليس عليها مزيد في المنايذة والمعاداة ويتركون  
الامر الخفيف ؟ هذا مما يمتنع وقوعه في العادات ولا يجوز اتقانه<sup>(٢)</sup> من العقلاء .  
والى هذا قد استقصى أهل العلم الكلام وأكثروا في هذا المعنى وأحكوه  
ويمكن ان يقال أنهم لو كانوا قادرين على معارضته والاياتين بمثل ما أتى  
به لم يجوز أن يتفق منهم ترك المعارضة وهم على ما هم عليه من الذرابة والسلاقة  
والمعرفة بوجوه الفصاحة ، وهو يستطيل عليهم بانهم عاجزون عن مباراته  
وانهم يضعفون عن مجاراته . ويكرر فيما جاء به ذكر عجزهم عن مثل ما يأتي  
به ويقترعهم ويؤنبهم عليه ويُدركُ آماله فيهم وينجح ما يسعى له بتركمهم  
المعارضة . وهو يذكر فيما يتلوه تعظيم شأنه وتفخيم أمره حتى يتلو قوله تعالى  
﴿ ١٧ : ٨٨ ﴾ قل لئن اجتمعت الانسُ والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن

(١) هنا في الاصل بياض يقسم لكلمتين

(٢) كذا في المطبوعة والمطبوعة

لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا» وقوله (١٦ : ٢) « يُنزَلُ  
 الْمَلَائِكَةُ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا  
 أَنَا فَاتَّقُونِ » وقوله (١٥ : ٨٧) « وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ  
 الْعَظِيمَ » وقوله (١٥ : ٩) « إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ » وقوله  
 (٤٣ : ٤٣) « وَانَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْئَلُونَ » وقوله (٢ : ٢)  
 « هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ » وقوله (٣٩ : ٢٣) « اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا  
 مُدَّثِّرًا مَّثَانِي تَشْجُرٌ مِنْهُ جُودٌ الَّذِينَ يُخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ  
 إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ » الى غير ذلك من الآيات التي تتضمن تعظيم شأن القرآن  
 فمنها ما يتكرر في السورة في مواضع منها ومنها ما ينفرد فيها ، وذلك مما  
 يدعوهم الى المباركة ويحضهم على المعارضة وان لم يكن متحدثا اليه . ألا ترى  
 انهم قد كان ينافر شعراؤهم بعضهم بعضا ولهم في ذلك مواقف معروفة وأخبار  
 مشهورة وأيام منقولة ، وكانوا يتنافسون على الفصاحة والخطابة والدلالة  
 ويتبجحون بذلك ويتفاخرون بينهم ، فلن يجوز والحال هذه أن يتغافلوا عن  
 معارضته لو كانوا قادرين عليها ، تحداهم اليها أو لم يتحدثهم . ولو كان هذا  
 القبيل مما يقدر عليه البشر لوجب في ذلك أمر آخر ، وهو انه لو كان مقدورا  
 للعباد لكان قد اتفق الى وقت مبعثه من هذا القبيل ما كان يمكنهم ان يعارضوه  
 به ، وكانوا لا يفنقرون الى تكلف وضه وتعمل نظمه في الحال ، فلما لم نرهم  
 احتجوا عليه بكلام سابق ، وخطبة متقدمة ، ورسالة سالفة ، ونظم بديع ، ولا  
 عارضوه به فقالوا هذا أفصح مما جئت به وأغرب منه أو هو مثله ، علم انه لم يكن  
 الى ذلك سبيل وانه لم يوجد له نظير ولو كان وجد له مثل لكان ينقل اليها  
 ولعرفناه كما نقل اليها أشعار أهل الجاهلية وكلام الفصحاء والحكام من العرب  
 وأدى اليها كلام الكهان وأهل الرجز والسجع والقصيد وغير ذلك من أنواع



بلاغتهم وصنوف فصاحتهم

فان قيل : الذي بنى عليه الامر في تثبيت معجزة القرآن انه وقع التحدي الى الاتيان بمثله وانهم عجزوا عنه بعد التحدي اليه ، فاذا نظر الناظر وعرف وجه النقل المتواتر في هذا الباب وجب له العلم بأنهم كانوا عاجزين عنه ، وما ذكرتم يوجب سقوط تأثير التحدي ، وان ما أتى به قد عرف المعجز عنه بكل حال

قيل : انما احتيج الى التحدي لاقامة الحجة واظهار وجه البرهان ، لان المعجزة اذا ظهرت فانما تكون حجة بأن يدعيها من ظهرت عليه ، ولا تظهر على مدعى لها إلا وهي معلومة أنها من عند الله ، فاذا كان يظهر وجه الاعجاز فيها للكافة بالتحدي وجب فيها التحدي ، لأنه نزول بذلك الشبهة عن الكل وينكشف للجميع أن المعجز واقع عن المعارضة ، وإلا فان مقتضى ما قدمناه من الفصل أن من كان يعرف وجوه الخطاب ويتقن مصارف الكلام - وكان كاملاً في فصاحته جامعا للمعرفة بوجوه الصناعة - لو أنه احتج عليه بالقرآن وقيل له ان الدلالة على النبوة والآية على الرسالة ما أتوه عليك منه لكان ذلك بلاغا في إيجاب الحجة ، وتاماً في الزامه فرض المصير اليه . ومما يؤكد هذا أن النبي ﷺ قد دعا الآحاد الى الاسلام محتجاً عليهم بالقرآن - لانا نعلم انه لم يلزمهم تصديقه تقليداً ، ونعلم أن السابقين الأولين الى الاسلام لم يقلدوه وانما دخلوا على بصيرة - ولم نعلمه قل لهم ارجعوا الى جميع الفصحاء فان عجزوا عن الاتيان بمثله فقد ثبتت حجتي ، بل لما رآهم يعلمون اعجازهم ألزمهم حكمه قبلوه وتابوا الحق وبادروا اليه مستسلمين ولم يشكوا في صدقه ولم يرتابوا في وجه دلالته . فمن كانت بصيرته أقوى ومعرفة أبلغ كان الى القبول منه أسبق ، ومن اشتبه عليه وجه الاعجاز واشتبه عليه بعض شروط

المعجزات وأدلة النبوات كان ابطلاً الى القبول حتى تكاملت أسبابه واجتمعت له بصيرته وترادفت عليه مواده . وهذا فصل يجب أن يتمم القول فيه بعد فليس هذا بموضع له

ويبين ما قلناه أن هذه الآية علم يلزم الكل قبوله والاعتقاد له ، وقد علمنا تفاوت الناس في ادراكه ومعرفة وجه دلالاته ، لان الاعجمي لا يعلم انه معجز إلا بأن يعلم عجز العرب عنه ، وهو يحتاج في معرفة ذلك الى أمور لا يحتاج اليها من كان من أهل صنعة الفصاحة ، فاذا عرف عجز أهل الصنعة حل محلهم وجرى مجراهم في توجه الحججة عليه . وكذلك لا يعرف المتوسط من أهل اللسان من هذا الشأن ما يعرفه العالي في هذه الصنعة ، فربما حل في ذلك محل الأعجمي في أن لا توجه عليه الحججة حتى يعرف عجز المتناهي في الصنعة عنه ، وكذلك لا يعرف المتناهي في معرفة الشعر وحده أو الغاية في معرفة الخطب أو الرسائل وحدها غور هذا الشأن ما يعرف من استكمل معرفة جميع تصاريف الخطاب ووجوه الكلام وطرق البراعة ، فلا تكون الحججة قائمة على المختص ببعض هذه العلوم بانفرادها دون تحققه بمعجز البارع في هذه العلوم كلها عنه .

فأما من كان متناهيًا في معرفة وجوه الخطاب وطرق البلاغة والفنون التي يمكن فيها اظهار الفصاحة فهو متى سمع القرآن عرف اعجازه ، وان لم نقل ذلك أدى هذا القول الى أن يقال ان النبي ﷺ لم يعرف اعجاز القرآن حين أوحى اليه حتى سبر الحال بمعجز أهل اللسان عنه ، وهذا خطأ من القول . فصح من هذا الوجه أن النبي ﷺ حين أوحى اليه القرآن عرف كونه معجزاً ، وبأن (١) قيل له انه دلالة وعلم على نبوتك أنه كذلك ، من قبل ان يقرأ على غيره أو يتحدث

(١) كذا في المطبوعة ، وفي المخطوطة « كونه معجز أو بأن » وقبل كلمة « بأن » ياض يتسع لكلمة واحدة



اليه سواء . ولذلك قلنا ان المتناهي في الفصاحة والعلم بالاساليب التي يقع فيها التفاصح متى سمع القرآن عرف انه معجز ، لانه يعرف من حال نفسه انه لا يقدر عليه ، ويعرف من حال غيره مثل ما يعرف من حال نفسه فيعلم ان عجز غيره كعجزه هو ، وان كان يحتاج بعد هذا الى استدلال آخر على انه علم على نبوة ودلالة على رسالة بأن يقال له ان هذه آية لنبية وانما ظهرت عليه وادعاها معجزة له وبرهاناً على صدقه ؛

فان قيل فان من الفصحاء من يعلم عجز نفسه عن قول الشعر ولا يعلم مع ذلك عجز غيره عنه فكذلك البليغ ، وان علم عجز نفسه عن مثل القرآن فهو قد يخفى عليه عجز غيره

قيل : هو مع مستقر العادة . وان عجز عن قول الشعر وعلم انه مفعم فانه يعلم ان الناس لا ينفكون من وجود الشعراء فيهم . ومتى علم البليغ المتناهي في صنوف البلاغات عجزه عن القرآن علم عجز غيره لانه كهو لانه (١) يعلم أن حاله وحال غيره في هذا الباب سواء ، اذ ليس في العادة مثل للقرآن يجوز او يعلم قدرة أحد من البلغاء عليه ، فاذا لم يكن لذلك مثل في العادة - وعرف هذا الناظر جميع أساليب الكلام وأنواع الخطاب ووجد القرآن مبانياً لها - علم خروجه عن العادة وجرى مجرى ما يعلم ان (٢) اخراج اليد البيضاء من الجيب خارج عن العادات فهو لا يجوز من نفسه وكذلك لا يجوز وقوعه من غيره الاعلى وجه نقض العادة ، بل يرى وقوعه موقع المعجزة . وهذا وان كان يفارق فلق البحر واخراج اليد البيضاء ونحو ذلك من وجه ، وهو انه يستوي الناس في معرفة عجزهم عنه ، فكونه ناقضاً للعادة من غير تأمل

(١) كذا بالنسخين ، والاوافق أن تكون « ولائته »

(٢) أظن الصواب ما يعلم من أن

شديد ولا نظير بعيد . فان النظر في معرفة اعجاز القرآن يحتاج الى تأمل ويفتقر الى مراعاة مقدمات والكشف عن أمور نحن ذاكروها بعد هذا الموضوع . فكل واحد منها يؤول الى مثل حكم صاحبه في الجمع الذي قدمناه . وبما بين [ ذلك ] ما قلناه من ان البليغ المتناهي في وجوه الفصاحة يعرف اعجاز القرآن وتكون معرفته حجة عليه اذا تمحدي اليه وعجز عن مثله وان لم ينتظر وقوع التحدي في غيره . وأما الذي يصنع ذلك الغير وهو ما روى في الحديث أن جبير بن مطعم ورد على النبي ﷺ في معنى (١) حليف له أراد أن يفاديه فدخل والنبي ﷺ يقرأ سورة (٥٢ : ١ - ٢) « والطور وكتاب مسطور » في صلاة الفجر قال فلما انتهى الى قوله (٥٢ : ٧ - ٨) « ان عذاب ربك لواقع ما له من دافع » قال خشيت أن يدركني العذاب . فأسلم (٢) وفي حديث آخر أن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه سمع سورة طه فأسلم . وقد روى أن قوله عز وجل في أول حم السجدة الى قوله (٤١ : ٤) « فأعرض أ كثرهم فهم لا يسمعون » نزلت في شيبه وعمته ابني ربيعة وأبي سفيان بن حرب وأبي جهل . وذكروا أنهم بعثواهم وغيرهم من وجوه قريش بعثة بن ربيعة الى النبي ﷺ ليكلمه وكان حسن الحديث عجيب الشأن بليغ الكلام وأرادوا أن يأتيهم بما عنده فقرأ النبي ﷺ سورة حم السجدة من أولها حتى انتهى الى قوله (٤١ : ١٣) « فان أعرضوا فقل أندرتم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود » فوثب مخافة العذاب ، فاستحكوه ما سمع فذكر أنه لم يسمع منه كلمة واحدة ولا اهتدى لجوابه . ولو كان ذلك من جنس كلامهم لم يخف عليه وجه الاحتجاج والرد .

(١) المعنى : الاسير

(٢) في البخاري في آخر باب قصة غزوة بدر عن محمد بن جبير عن أبيه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في المنزب بالطور وذلك أول ما قرأ الايمان في قلبي . وذكر غيره في كتاب التفسير سورة الطور



فقال له عثمان بن مظعون : لتعلموا أنه من عند الله ، اذ لم يهتد لجوابه  
وأبين من ذلك قول الله عز وجل ( ٩ : ٦ ) « وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ  
استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه » فجعل سماعه حجة  
عليه بنفسه فدل على أن فيهم من يكون سماعه إياه حجة عليه  
فان قيل : لو كان على ما قلتم لوجب أن يكون حال الفصحاء الذين كانوا

في عصر النبي ﷺ على طريقة واحدة في اسلامهم عند سماعه

قيل : لا يجب ذلك ، لأن صوارفهم كانت كثيرة ، منها أنهم كانوا  
يشكون : منهم من يشك في اثبات الصانع ، وفيهم من يشك في التوحيد ،  
وفيهم من يشك في النبوة . ألا ترى أن أبا سفيان بن حرب لما جاء الى رسول  
الله ﷺ ليسلم عام الفتح قال له النبي عليه السلام : أما آن لك أن تشهد أن  
لا إله إلا الله ؟ قل : بلى . فشهد . قال : أما آن لك أن تشهد أني رسول الله ؟ قال  
أما هذه ففي النفس منها شيء . فكانت وجوه شكوكهم مختلفة وطرق شبههم  
متباينة : فمنهم من قلت شبهه وتأمل الحجة حق تأملها ولم يستكبر فأسلم ، ومنهم  
من كثرت شبهه وأعرض عن تأمل الحجة حق تأملها أو لم يكن في البلاغة على  
حدود النهاية فتناول عليه الزمان الى أن نظر واستبصر وراعى واعتبر ،  
واحتاج الى أن يتأمل عجز غيره عن الاتيان بمثله فلذلك وقف أمره . ولو  
كانوا في الفصاحة على مرتبة واحدة وكانت صوارفهم وأسبابهم متفقة لتوافقوا  
الى القبول جملة واحدة

فان قيل : فكيف يعرف البليغ الذي وصفتموه اعجاز القرآن ؟ وما الوجه  
الذي يتطرق به اليه والمنهاج الذي يسلكه حتى يقف به على جلية الأمر فيه ؟  
قيل : هذا سبيله أن يفرد له فصل

فان قيل : فلم زعمتم أن البلغاء عاجزون عن الاتيان بمثله مع قدرتهم على

صنوف البلاغات وتصرفهم في أجناس الفصاحات ؟ وهلا قاتم ان من قدر على جميع هذه الوجوه البديعة وتوجه من هذه الطرق الغريبة كان على مثل نظم القرآن قادراً ، وأما يصرفه الله عنه ضرباً من الصرف أو يمنعه من الاثيان بمثله ضرباً من المنع أو تقصر دواعيه دونه مع قدرته عليه ليتكامل ما أراده الله من الدلالة ، ويحصل ما قصده من ايجاب الحجية ، لان من قدر على نظم كلمتين بديعتين لم يعجز عن نظم مثلهما واذا قدر على ذلك قدر على ضم الثانية الى الأولى وكذلك الثالثة حتى يتكامل قدر الآية والسورة

فالجواب أنه لو صح ذلك صح لكل من أمكنه نظم ربع بيت أو مصراع من بيت أن ينظم القصائد ويقول الأشعار ، وضح لكل ناطق قد يتفق في كلامه الكلمة البديعة نظم الخطب البليغة والرسائل العجيبة . ومعلوم أن ذلك غير سائغ ولا ممكن . على أن ذلك لو لم يكن معجزاً على ما وصفناه من جهة نظمه الممتنع لكان مها حط من رتبة البلاغة فيه ووضع من مقدار الفصاحة في نظمه أبلغ في الاعجوبة اذا صرفوا عن الاثيان بمثله ومنعوا عن معارضته وعدلت دواعيهم عنه ، فكان يستغنى عن انزاله على النظم البديع واخرجه في المعرض الفصيح العجيب . على أنه لو كانوا صرفوا على ما ادعاه لم يكن من قبلهم من أهل الجاهلية مصروفين عما كان يعدل به في الفصاحة والبلاغة وحسن النظم وعجيب الرصف لأنهم لم يتحدوا اليه ولم تلزمهم حجته ، فلما لم يوجد في كلام من قبله مثله علم أن ما ادعاه القائل بالصرفة ظاهر البطلان

وفيه معنى آخر : وهو أن أهل الصنعة في هذا الشأن اذا سمعوا كلاماً مطعماً

لم يخف عليهم ولم يشبهه لديهم ، ومن كان متناهيها في فصاحته لم يجز أن يطعم في مثل هذا القرآن بحال . فان قال صاحب السؤال انه قد يطعم في ذلك ، قيل له أنت تزيد على هذا فتزعم أن كلام الأدي قد يضارع القرآن وقد يزيد



عليه في الفصاحة ولا يتحاشاه ، وبحسب أن ما ألف في الجزء والطفرة <sup>(١)</sup> هو أبدع وأغرب من القرآن لفظاً ومعنى ، ولكن ليس الكلام على ما يقدره مقدر في نفسه وبحسبه ظان من أمره ، والمرجوع في هذا الى جملة الفصحاء دون الآحاد . ونحن نبين بعد هذا وجه امتناعه عن الفصيح البليغ وتميزه في ذلك عن سائر أجناس الخطاب ليعلم أن ما يقدره من مساواة كلام الناس به تقدير ظاهر الخطأ بين الغلط ، وان هذا التقدير من جنس من حكى الله تعالى قوله في محكم كتابه ( ٧٤ : ١٨ - ٢٥ ) « إِنْه فِكْرُو قَدْرَ ، قَتَلِ كَيْفَ قَدْرَ ، ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدْرَ ، ثُمَّ نَظَرَ ، ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ، ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ، فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ ، إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ » فهم يعبرون عن دعواهم - انهم يمكنهم أن يقولوا مثله - بأن ذلك من قول البشر ، لأن ما كان من قولهم فليس يقع فيه التفاضل الى الحد الذي يتجاوز امكان معارضته

وما يبطل ما ذكره من القول بالصرفة انه لو كانت المعارضة ممكنة - وانما منع منها الصرفة - لم يكن الكلام معجزاً ، وانما يكون المنع معجزاً ، فلا يتضمن الكلام فضيلة على غيره في نفسه . وليس هذا بأعجب مما ذهب اليه فريق منهم أن السكل قادرون على الاتيان بمثله ، وإنما يتأخرون عنه لعدم العلم بوجه ترتيب لو تعلموه لوصوا اليه به . ولا بأعجب من قول فريق منهم : انه لا فرق بين كلام البشر وكلام الله تعالى في هذا الباب ، وانه يصح من كل واحد منهما الاعجاز على حد واحد

فان قيل : فهل تقولون بأن غير القرآن من كلام الله عز وجل معجز كالنوراة والانجيل والصحف ؟ قيل : ليس شيء من ذلك بمعجز في النظم والتأليف ، وان كان معجزاً كالقرآن فيما يتضمن من الاخبار بالغيوب . وانما لم

(١) في النسخين « والطفرة » بالمجمة

يكن معجزاً لأن الله تعالى لم يصفه بما وصف به القرآن ، ولأننا قد علمنا أنه لم يقع التحدي إليه كما وقع التحدي الى القرآن . ولمعنى آخر ، وهو أن ذلك اللسان لا يتأتى فيه من وجوه الفصاحة ما يقع به التفاضل الذي ينتهي الى حد الاعجاز ، ولكنه يتقارب . وقد رأيت أصحابنا يذكرون هذا في سائر الألسنة ويقولون : ليس يقع فيها من التفاروت ما يتضمن التقديم العجيب . ويمكن بيان ذلك بأننا لا نجد في القدر الذي نعرفه من الألسنة للشيء الواحد من الأسماء ما نعرف من اللغة [ العربية ] ، وكذلك لا نعرف فيها الكلمة الواحدة تناول المعاني الكثيرة على ما تناوله العربية ، وكذلك التصرف في الاستعارات والاشارات ووجوه الاستعمالات البديعة التي يجيء تفصيلها بعد هذا

ويشهد لذلك من القرآن أن الله تعالى وصفه بأنه « بلسانٍ عربيٍّ مبينٍ » وكرر ذلك في مواضع كثيرة ، وبين أنه رفعه عن أن يجعله أعجمياً ، فلو كان يمكن في لسان العجم ايراد مثل فصاحته ، لم يكن ليرفعه عن هذه المنزلة . وانه وان كان يمكن أن يكون من فائدة قوله انه عربي مبين أنه مما يفهمونه ولا يفتقرون فيه الى الرجوع الى غيرهم ، ولا يحتاجون في تفسيره الى من سواهم ، فلا يمتنع أن يفيد ما قلنا أيضاً كما أفاد بظاهره ما قدمناه . ويبين ذلك أن كثيراً من المسلمين قد عرفوا تلك الألسنة ، وهم من أهل البراعة فيها وفي العربية ، فقد وقفوا على أنه ليس يقع فيها من التفاضل والفصاحة ما يقع في العربية . ومعنى آخر ، وهو اننا لم نجد أهل التوراة والانجيل ادعوا الاعجاز لكتابهم ، ولا ادعى لهم المسلمون ، فلم أن الاعجاز مما يختص به القرآن . ويبين هذا أن الشعر لا يتأتى في تلك الألسنة على ما قد اتفق في العربية . وان كان قد يتفق منها حنف أو أصناف ضيقة ، لم يتفق فيها من البديع ما يمكن ويتأتى في العربية .



وكذلك لا يتأتى في الفارسية جميع الوجوه التي تتبين فيها الفصاحة على ما يتأتى في العربية . فان قيل : فان الجوس تزعم أن كتاب زرادشت وكتاب ماني معجزان . قيل : الذي يتضمنه كتاب ماني من طريق النيرانجات وضروب من الشعوذة ليس يقع فيها اعجاز . ويزعمون أن في الكتاب الحكيم ، وهي حكم منقولة متداولة على الألسن لا تختص بها أمة دون أمة ، وان كان بعضهم أكثر اهتماما بها وتحصيلا لها وجمعا لأبوابها . وقد ادعى قوم أن ابن المتفيع عارض القرآن ، وانما فزعوا الى الدرّة اليتيمة . وهما كتابان أحدهما يتضمن حكما منقولة توجد عند حكماء كل أمة مذكورة بالفضل ، فليس فيها شيء بدعي من لفظ ولا معنى ، والآخر في شيء من الديانات ، وقد تهوس فيه بما لا يخفى على متأمل . وكتابه الذي يبناه في الحكم منسوخ من كتاب بزرجهر في الحكمة فأبي صنع له في ذلك ، وأي فضيلة حازها فيما جاء به ؟ وبعده فليس يوجد له كتاب يدعي مدع أنه عارض فيه القرآن ، بل يزعمون أنه اشتغل بذلك مدة ثم مزق ما جهم ، واستحيا لنفسه من اظهاره . فان كان كذلك فقد أصاب وأبصر النصد ، ولا يمتنع أن يشبه عليه الحال في الابتداء ثم يلوح له رشده ويتبين له أمره وينكشف له عجزه . ولو كان بقي على اشتباه الحل عليه لم يخف علينا موضع غفلته ولم يشبهه لدينا وجه شبهته ، ومتى أمكن أن تدعي الفرس في شيء من كتبهم أنه معجز في حسن تأليفه وعجيب نظمه ؟



## فصل

## ﴿ في جملة وجوه اعجاز القرآن ﴾

ذكر أصحابنا وغيرهم في ذلك ثلاثة أوجه من الاعجاز :  
 أحدها يتضمن الاخبار عن الغيوب وذلك مما لا يقدر عليه البشر ولا سبيل  
 لهم اليه . فن ذلك ما وعد الله تعالى نبيه عليه السلام أنه سيظهر دينه على  
 الأديان بقوله عز وجل ( ٩ : ٣٣ ) « هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق  
 ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » ففعل ذلك . وكان أبو بكر  
 الصديق رضي الله عنه إذا أغزى جيوشه عرفهم ما وعدهم الله من اظهار دينه  
 لينتقوا بالنصر ويستيقنوا بالنجح . وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يفعل  
 كذلك في أيامه حتى وقف أصحابُ جيوشه عليه ، فكان سعد بن أبي وقاص  
 رحمه الله وغيره من امراء الجيوش من جهته يذكر ذلك لاصحابه ويحرضهم  
 به ويوثق لهم ، وكانوا يلتقون الظفر في مؤججهم ، حتى فتح الى آخر أيام عمر  
 رضي الله عنه الى بلخ وبلاد الهند ، وفتح في أيامه مرو والشاهجان ومر و الروذ  
 ومنعهم من العبور ببيحون ، وكذلك فتح في أيامه فارس إلى اصطخر وكرمان  
 ومكران وسجستان وجميع ما كان من مملكة كسرى وكل ما كان يملكه  
 ملوك الفرس بين البحرين من الفرات الى جيحون ، وأزال ملك ملوك الفرس  
 فلم يعد الى اليوم ولن يعود أبداً ان شاء الله تعالى (١) ثم الى حدود إزمينية والى  
 باب الابواب . وفتح أيضاً ناحية الشام والأردن وفلسطين وفسطاط مصر وأزال  
 ملك قيصر عنها وذلك من الفرات الى بحر مصر وهو ملك قيصر . وغزت  
 الخليلول في أيامه الى عمورية ، فأخذ الضواحي كلها ولم يبق دونها الا ما حجز

(١) أي ان يعود من سلطان الاسلام الى سلطان الجوسية



دونه بحر أو حال عنه جبل منيع أو أرض خشنة أو بادية غير مسلوكة . وقال الله عز وجل (٣ : ١٢) « قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد » فصدق فيه ؛ وقال في أهل بدر (٨ : ٧) « وإذ يبعثكم الله احدى الطائفتين أنها لكم » ووفى لهم بما وعد . وجميع الآيات التى يتضمنها القرآن من الاخبار عن الغيوب يكثر جداً وانما أردنا أن ننبه بالبعض على الكل

والوجه الثانى أنه كان معلوماً من حال النبي ﷺ انه كان أمياً لا يكتب ولا يحسن أن يقرأ (١) ، وكذلك كان معروفاً من حاله أنه لم يكن يعرف شيئاً من كتب المتقدمين وأقاصيصهم وأنبأهم وسيرهم ، ثم أتى بجمل ما وقع وحدث من عظيات الامور ومهمات السير من حين خلق الله آدم عليه السلام الى حين مبعثه ، فذكر في الكتاب الذي جاء به معجزة له قصة آدم عليه السلام وابتداء خلقه وما صار اليه أمره من الخروج من الجنة ، ثم جلا من أمر ولده وأحواله وقوبته ، ثم ذكر قصة نوح عليه السلام وما كان بينه وبين قومه وما انتهى اليه أمره ، وكذلك أمر ابراهيم عليه السلام ، الى ذكر سائر الانبياء المذكورين في القرآن والملوك والفراعنة الذين كانوا في أيام الانبياء صلوات الله عليهم . ونحن نعلم ضرورة أن هذا مما لا سبيل اليه الا عن تعلم ، واذ كان معروفاً أنه لم يكن ملاسماً لأهل الآثار وحمله الاخبار ولا متردداً الى التعلم منهم ولا كان ممن يقرأ فيجوز أن يقع اليه كتاب فيأخذ منه ، علم أنه لا يصل الى علم ذلك الا بتأييد من جهة الوحي ولذلك قال عز وجل (٢٩ : ٤٨) « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه

(١) فهم بعض من لا يحسن الفهم من هذا التفسير أنه كان صلى الله عليه وسلم يقرأ غير أنه لا يحسن القراءة . وفهم من قول الطبري في صمرة الحديبية عند كتابة الكتاب ج ٣ ص ٨٠ « وليس يحسن يكتب » أنه كان يكتب ولكن لا يحسن ، وهذا الفهم خطأ نشأ من عدم فهم أساليب العربية وآداب الكتابة .

بَيْمِينِكَ إِذَا لَارْتَابَ الْمُحِبُّونَ » وقال (٦ : ١٠٥) « وكذلك نُصِرَفَ الْآيَاتِ  
وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ » وقد بينا أن من كان يختلف إلى تعلم علم ويستغل بملازمة  
أهل صنعة لم يخف على الناس أمره ولم يختلف عندهم مذهبه ، وقد كان يعرف  
فيهم من يحسن هذا العلم وإن كان نادراً ، وكذلك كان يعرف من يختلف إليه  
للتعليم ، وليس يخفى في العرف عالم كل صنعة ومتعلمها ، فلو كانت منهم لم  
يخف أمره

والوجه الثالث أنه بديع النظم عجيب التأليف متناهٍ في البلاغة إلى الحد  
الذي يُعَلِّمُ عَجْزَ الْخَلْقِ عَنْهُ ، والذي أطلقه العلماء هو على هذه الجملة ، ونحن  
نفصل ذلك بهض التفضيل ونكشف الجملة التي أطلقوها

فالذي يشتمل عليه بديع نظمه المتضمن للاعجاز وجوه :

منها ما يرجع إلى الجملة ، وذلك أن نظم القرآن على تصرف وجوهه  
واختلاف مذاهبه خارج عن المهود من نظام جميع كلامهم ومباين للمألوف من  
ترتيب خطابهم ، وله أسلوب يختص به ويتميز في تصرفه عن أساليب الكلام  
المعتاد ، وذلك أن الطرق التي يتقيد بها الكلام البديع المنظوم تنقسم إلى  
أعاريض الشعر على اختلاف أنواعه ، ثم إلى أنواع الكلام الموزون غير المقفى  
ثم إلى أصناف الكلام المعدل المسجع ، ثم إلى معدل موزون غير مسجع ، ثم  
إلى ما يرسل أرسالا فتطلب فيه الإصابة والافادة وافهام المعاني المعترضة على وجه  
بديع وترتيب لطيف وإن لم يكن معتدلا في وزنه ، وذلك شبيهة بجملة الكلام  
الذي لا يتعمل ولا يتصنع له . وقد علمنا أن القرآن خارج عن هذه الوجوه  
ومباين لهذه الطرق ، ويبقى علينا أن نبين أنه ليس من باب السجع  
ولا فيه شيء منه ، وكذلك ليس من قبيل الشعر ، لأن من الناس من زعم أنه  
كلام مسجع ، ومنهم من يدعي أن فيه شعراً كثيراً ، والكلام عليهم يذكر



بعد هذا الموضوع . فهذا اذا تأمله المتأمل تبين - بخروجه عن أصناف كلامهم  
وأساليب خطابهم - أنه خارج عن العادة وأنه معجز ، وهذه خصوصية (١)  
ترجع الى جملة القرآن وتميز حاصل في جميعه (٢)

ومنها أنه ليس للعرب كلام مشتمل على هذه الفصاحة والغرابة والتصرف  
البديع والمعاني اللطيفة والفوائد الغزيرة والحكم الكثيرة والتناسب في البلاغة  
والتشابه في البراعة على هذا الطول وعلى هذا القدر . وانما تنسب الى حكيمهم  
كلمات معدودة وألفاظ قليلة ، والى شاعرهم قصائد محصورة يقع فيها ما يبينه بعد  
هذا من الاختلال ، ويعترضها ما نكشفه من الاختلاف ، ويقع فيها ما نبديه  
من التمثل والتكلف والتجوز والتعسف . وقد حصل القرآن على كثرته  
وطوله متناسبا في الفصاحة على ما وصفه الله تعالى به فقال عز من قائل (٣٩ : ٢٣)  
« الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون  
ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله » (٤ : ٨٢) « ولو كان من عند  
غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا » . فأخبر أن كلام الآدمي ان امتد وقع  
فيه التفاوت وبان عليه الاختلال ، وهذا المعنى هو غير المعنى الأول الذي  
بدأنا بذكره ، فتأمله تعرف الفضل

وفي ذلك معنى ثالث (٣) ، وهو أن عجيب نظمه وبديع تأليفه لا يتفاوت  
ولا يتباين على ما يتصرف اليه من الوجوه التي يتصرف فيها ، من ذكر قصص  
ومواعظ واحتجاج وحكم وأحكام واعذار وانذار ووعد ووعيد وتبشير  
وتخويف وأوصاف وتعليم أخلاق كريمة وشيم رفيعة وسير مأثورة ، وغير ذلك

(١) يفتح الحاء وضما قالوا والفتح أفصح كقولهم لمن بين الامروصية بفتح اللام

(٢) أي من وجوه الاعجاز

(٣) هذا هو الوجه الثالث من وجوه الاعجاز

من الوجوه التي يشتمل عليها . ونجد كلام البليغ الكامل والشاعر المفلق والخطيب المصقع يختلف على حسب اختلاف هذه الامور

فمن الشعراء من يجود في المدح دون الهجو ، ومنهم من يبرز في الهجو دون المدح ، ومنهم من يسبق في التقريرض دون التأبين ، ومنهم من يجود في التأبين دون التقريرض ، ومنهم من يغرب في وصف الابل أو الخيل أو سير الليل أو وصف الحرب أو وصف الروض أو وصف الخمر أو الغزل أو غير ذلك مما يشتمل عليه الشعر ويتداوله الكلام ، ولذلك ضرب المثل بامريه القيس اذا ركب ، والتابغة اذا رهب ، و بزهير اذا رغب ، ومثل ذلك يختلف في الخطب والرسائل وسائر أجناس الكلام . ومتى تأملت شعر الشاعر البليغ رأيت التفاوت في شعره على حسب الاحوال التي يتصرف فيها ، فيأتي بالغاية في البراعة في معنى ، فاذا جاء الى غيره قصر عنه ووقف دونه وبان الاختلاف على شعره ، ولذلك ضرب المثل بالذين سميتهم لانه لاخلاف في تقدمهم في صنعة الشعر ، ولا شك في تبريزهم في مذهب النظم . فاذا كان الاختلال بينا في شعرهم لاختلف مايتصرفون فيه استغنيانا<sup>(١)</sup> عن ذكر من هو دونهم ، وكذلك يستغني به عن تفصيل نحو هذا في الخطب والرسائل ونحوها . ثم نجد في الشعراء من يجود في الرجز ولا يمكنه نظم القصيد أصلا ، ومنهم من ينظم القصيد ولكن يقصر فيه مها تكلفه أو عمله ، ومن الناس من يجود في الكلام المرسل فاذا أتى بالموزون قصر ونقص نقصانا عجيبا ، ومنهم من يوجد بضد ذلك

وقد تأملنا نظم القرآن فوجدنا جميع مايتصرف فيه من الوجوه التي قد منا ذكرها على حد واحد ، في حسن النظم وبديع التأليف والرصف ، لاتفاوت فيه ولا انحطاط عن المنزلة العليا ولا إسفاف فيه الى الرتبة الدنيا ، وكذلك قد

(١) كان في الاصل « واستغنيانا »



تأملنا ما يتصرف إليه وجوه الخطاب من الآيات الطويلة والقصيرة، فرأينا الاعجاز في جميعها على حد واحد لا يختلف. وكذلك قد يتفاوت كلام الناس عند إعادة ذكر القصة الواحدة. فرأينا غير مختلف ولا متفاوت بل هو على نهاية البلاغة وغاية البراعة، فاعلمنا بذلك انه مما لا يقدر عليه البشر لان الذي يقدرون عليه قد يتنا فيه التفاوت الكثير عند التكرار وعند تباین الوجوه واختلاف الاسباب التي يتضمن

ومعنى رابع وهو أن كلام الفصحاء يتفاوت تفاوتاً بيناً في الفصل والوصل والعلو والنزول والتقريب والتبعيد وغير ذلك مما ينقسم إليه الخطاب عند النظم ويتصرف فيه القول عند الضم والجمع، ألا ترى ان كثيراً من الشعراء قد وصف بالنقص عند التنقل من معنى الى غيره والخروج من باب الى سواه، حتى ان أهل الصنعة قد اتفقوا على تقصير البحترى مع جودة نظمه وحسن وصفه في الخروج من النسب الى المديح، وأطبقوا على أنه لا يحسنه ولا يأتي فيه شيء وأما اتفق له - في مواضع معدودة - خروج برضى وتنقل يستحسن. وكذلك يختلف سبيل غيره عند الخروج من شيء الى شيء والتحول من باب الى باب. ونحن نفصل بعد هذا ونفسر هذه الجملة ونبين على أن القرآن - على اختلاف ما يتصرف فيه من الوجوه الكثيرة والطرق المختلفة - يجعل المختلف كالمؤلف والمتباين كالمقاسم والمتنافر في الافراد الى حد الآحاد، وهذا أمر عجيب قبيح به الفصاحة، وتظهر به البلاغة، ويخرج به الكلام عن حد العادة ويتجاوز العرف.

ومعنى خامس وهو أن نظم القرآن وقع موقفاً في البلاغة يخرج عن عادة كلام الانس والجن، فهم يعجزون عن الاثيان بمثله كعجزنا ويقصرون دونه كقصورنا، وقد قال الله عز وجل ١٧ : ٨٨ « قل لئن احتممت الانس والجن

على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا \*  
 فان قيل : هذه دعوى منكم وذلك أنه لا سبيل لنا الى أن نعلم عجز الجن عن  
 مثله ، وقد يجوز أن يكونوا قادرين على الاتيان بمثله وان كنا عاجزين ، كما  
 أنهم قد يقدرون على أمور لطيفة وأسباب غامضة دقيقة لا تقدر نحن عليها ،  
 ولا سبيل لنا للطفها اليها ، واذا كان كذلك لم يكن الى علم ما ادعيتم سبيل .  
 قيل : قد يمكن أن نعرف ذلك بخبر الله عز وجل . وقد يمكن أن يقال ان هذا  
 الكلام خرج على ما كانت العرب تعتقد من مخاطبة الجن وما يروون لهم من  
 الشعر ويحكون عنهم من الكلام ، وقد علمنا أن ذلك محفوظ عندهم منقول  
 عنهم ، والقدر الذي نقلوه قد تأملناه فهو في الفصاحة لا يتجاوز حد فصاحة  
 الانس ولعله يقصر عنها ، ولا يمتنع أن يسمع الناس كلامهم ويقع بينهم وبينهم  
 محاورات في عهد الانبياء صلوات الله عليهم ، وذلك الزمان مما لا يمتنع فيه  
 وجود ما ينقض العادات . على أن القوم الى الآن يعتقدون مخاطبة الغيلان  
 ولهم أشعار محفوظة مروية في دواوينهم . قال تأبط شرا (١) :

وأدهم قد جئت جلبابه كما اجتابت الكاعب الخيلعا (٢)

(١) أنشد ابن بري البيت الاول لحاجز السروي اللس غير أن المحفوظ أنها لتأبط شرا  
 ثابت بن جابر من بني فهم وهو جاهلي :

أرى ثابتا قد غدا مرلا	تقوله سليمان جاراتها
ألف الديرين ولا زملا	لها الويل ما وجدت ثابتا
إذا بادر الجملة الهضلا	ولا رعش الساق عند الجرا
ويكسو هواديهما القسطلا	يفوت الجياد بتقريبه

(٢) وأدهم يريد الليل . نص اصحاب كتب اللثة على معنى اجتاب القميص ايسه ودخلية  
 ولم يذكرها لفظ جبت القميص أو القلام أي لبسته ودخلت فيه وهو هنا بهذا المعنى والخيل  
 فيمن لا كمي له



الى أن حدا الصبحُ أثناءه ومزق جلبابه الأليسا (١)  
 على شيم نار تنورثها فبت لها مُدبراً مُقبلاً (٢)  
 فأصبحت والغول لى جارة وطالبتها بضعها ، فالتوت  
 بوجه تهول واستغولاً (٣)  
 فمن سال أين ثوت جارتى فان لها باللوى منزلا  
 وكنتُ اذا ما هممت اعتره ت وأحر اذا قلت أن أفلا  
 وقال آخر :

عشوا نارى فقلت منون أنتم فقالوا الجنُّ قلت عموا ظلاما  
 فتمت الى الطعام فقال منهم زعيم يحسد الانس الطعاما  
 ويذكرون لامريء القيس قصيدة مع عمرو الجنى وأشعارا لها كرهنا  
 ذكرها لطلوها . وقال عبيد بن أيوب (٤) :  
 فله در الغول أي رفيقة لصاحب فقر خائف يتقفر (٥)

(١) حدا : ساق . وأثناء جمع ثى على وزن حمل من قولك مفي ثى من الليل أي ساعة  
 ووقت . وليل أليل شديد الظلمة  
 (٢) الشيم النظر الى النار وتنورت النار من بعيد تبصرتها  
 (٣) البضع جمع بضعة كتمر وتمره وهي النقطمة من اللحم . وتهول صار هولاً من الهول  
 يهزع منه . وتفوت الغول واستغولت تلوت وتنجلت . ويروى عجز هذا البيت « فكان من  
 الراى أن تغلأ » ويروى بده :

عظاية أرض لها حلنا ن من ورق الطلح لم تنزلا  
 فن كان يسأل عن جارتى ... الخ

(٤) عبيد بن أبوب بن ضرار وكنيته أبو المطراد أحد بنى المنبر بن عمرو بن تميم . وكان  
 لصا فائسكا يقطع الطريق هو والاحيمر السعدي سعد بن زيد مناة بن تميم ما بين البصرم  
 والحجاز وكثيرا ما يذكر الغول في شعره انظر الحيوان للجاحظ ج ٥ ص ٤٢ وج ٦ ص  
 ٤٨ و ٥٠ و ٥١ . وفي ص ٧٣ منه ثلاثة أبيات على السين لم ينسها وهي له  
 (٥) كانت في الاصل « متقفر » على الاقواء . والرواية في الحماسة البصرية وفي الحيوان  
 للجاحظ « يتقفر » والنصيدة كلها مرفوعة الروي

أرنت بلحن بعدلحن وأوقدت  
وقال ذو الرمة بعد قوله :

قد أعسف النازح المجهول معسفه  
للجن بالليل في حافتها زجل<sup>(١)</sup>  
كما تناوح يوم الريح عيشوم<sup>(٢)</sup>  
دوية ودجى ليل كأنهما  
يم ترطن في حافته الروم<sup>(٣)</sup>  
وقال أيضاً :

وكم عرست بعد السرى من معرس  
به من كلام الجن أصوات سامر<sup>(٤)</sup>  
وقال :

ورمل عريف الجن في عقباته  
هزيز كتضراب المغنين بالطبل<sup>(٥)</sup>

وإذا كان القوم بمتعقدون كلام الجن ومخاطباتهم ويحكون عنهم ، وذلك القدر المحكي لا يزيد أمره على فصاحة العرب ، صبح ما وصف عندهم من عجزهم عنه كعجز الأوس . وبين ذلك من القرآن أن الله تعالى حكى عن الجن ما تفاوضوا فيه من القرآن فقال ( ٤٦ : ٢٩ ) « واذ صرفنا اليك نفراً من الجن »

(١) المسف ركوبك الامر بلا تدبر ولا روية . والنازح المجهول يريد فلاة . في ظل اخضر : يريد الليل . وأحضر أسود . وبروح في ظل أعصف ولبس أغصف ألبس ظلامه . والهام أنى اليوم واليوم خاص بالذكور على الاكثر ودعاه اليوم هامة معروف في شعر العرب ، فن ذلك قول يزيد بن مفرغ الحميري

وشريت برداً ليتني  
من بعد برد كنت هامة  
مئاة تدعو صدى  
بين المشقر واليهامة

واستشهد صاحب اللسان بهذا البيت في ترجمة ( خضر ) على قولهم أنا معه في أمر أخضر أي جديد غض . وبأن مما شرحنا به البيت أنه لا يصح هذا الاستشهاد (٢) زجل جلبة . تناوح تضطرب وتمتز . والبعشوم نصب دقائق طوال كالاسل تتخذ منه الحصر المصيفة الرقيقة

(٣) الدوية المغازة . والدجى جمع دجبة على وزن جملة وهي الظلمة

(٤) كانت في الاصل « بعد النوى من معرس لها » وصححناه من نسخة الديوان المخطوطة بدار الكتب المصرية . والسامر القوم يسامرون

(٥) هزيف الجن صوتها . والمقبة جبل صعب بهترض الطريق فيأخذ فيه . وهزيز يدوي دويًا



يستمعون القرآنَ فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قُضيَ ولَّوا إلى قومهم مُنذرينَ ،  
الى آخر ما حكى عنهم فيما يتلوه . فإذا ثبت أنه وصف كلامهم ، ووافق ما يعتقدونه  
من نقل خطابهم ، صح أن يوصف الشيء المألوف بأنه ينحط عن درجة القرآن  
في الفصاحة

وهذان الجوابان أسدّ عندني من جواب بعض المتكلمين عنه بأن عجز  
الانس عن القرآن يثبت له حكم الاعجاز فلا يعتبر غيره . ألا ترى أنه لو  
عرفنا من طريق المشاهدة عجز الجن عنه فقال لنا قائل فدأوا على أن الملائكة  
تعجز عن الاتيان بمثله لم يكن لنا في الجواب غير هذه الطريقة التي قد بينها .  
وأما ضمنا هذا الجواب لان الذي - حكى وذكر عجز الجن والانس عن الاتيان  
بمثله ، فيجب أن نعلم عجز الجن عنه كما علمنا عجز الانس عنه ، ولو كان وصف  
عجز الملائكة عنه لوجب أن نعرف ذلك أيضاً بطريقة

فان قيل : أنتم قد انتهيتم الى ذكر الاعجاز في التفاصيل وهذا الفصل إنما  
يدل على الاعجاز في الجملة . قيل : هذا كما أنه يدل على الجملة فانه يدل على  
التفصيل أيضاً ، فصح أن يلحق هذا القبيل كما كان يصح أن يلحق بباب الجمل  
ومعنى سادس وهو أن الذي ينقسم عليه الخطاب ، من البسط والاقتصار ،  
والجمع والتفريق ، والاستعارة والتصريح ، والنجوز والتحقيق ، ونحو ذلك  
من الوجوه التي توجد في كلامهم ، موجود في القرآن . وكل ذلك مما يتجاوز  
حدود كلامهم المعتاد بينهم في الفصاحة والابداع والبلاغة . وقد ضمنا بيان  
ذلك بعد لأن الوجه ههنا ذكر المقدمات دون البسط والتفصيل

ومعنى سابع وهو أن المعاني التي تتضمن في أصل وضع الشريعة والاحكام  
والاحتجاجات في أصل الدين والرد على الملحدين على تلك الالفاظ البديعة  
وموافقة بعضها بعضا في اللطف والبراعة ، مما يتعذر على البشر ، ويمنع ذلك

أنه قد علم أن تخير الالفاظ للمعاني المتداولة المألوفة ، والاسباب الدائرة بين الناس ، أسهل وأقرب من تخير الالفاظ لمعان مبتكرة ، وأسباب مؤسسة مستحدثة ، فإذا برع اللفظ في المعنى البارع كان أطف وأعجب من أن يوجد اللفظ البارع في المعنى المتداول المتكرر والامر المنتقرر المتصور ، ثم انضاف الى ذلك التصرف البديع في الوجوه التي تتضمن تأييد ما يتبدأ تأسيسه ، ويراد تحقيقه ، بأن التفاضل في البراعة والفصاحة ، ثم اذا وجدت الالفاظ وفق المعنى والمعاني وفقها لايفضل أحدهما على الآخر ، فالبراعة أظهر والفصاحة أتم

ومعنى تامن وهو أن الكلام يبين فضله ورجحان فصاحته ، بأن تذكر منه الكلمة في تضاعيف كلام ، أو تقذف ما بين شعر ، فتأخذ الالسماع وتشوف اليه النفوس ، ويرى وجه رونقه باديا غامراً سائراً ما يقرب به ، كالدرة التي ترى في سلك من خرز ، وكالياقوتة في واسطة العقد . وأنت ترى الكلمة من القرآن يتمثل بها في تضاعيف كلام كثير وهي غرة جسيمه ، وواسطة عقده ، والمنادي على نفسه بتميزه وتخصه برونقه وجماله ، واعتراضه في جنسه ومائه ، وهذا الفصل أيضاً مما يحتاج فيه الى تفصيل وشرح ونص ليتحقق ما ادعينا منه ، ولولا هذه الوجوه التي بينها لم يتحير فيه أهل الفصاحة ، ولكانوا يفرعون الى التعامل للمقابلة ، والتصنع للمعارضة ، وكانوا ينظرون في أمرهم ، ويراجعون أنفسهم ، أو كان يراجع بعضهم بعضاً في معارضته ويتوقفون لها . فلما لم نرهم اشتغلوا بذلك ، علم ان أهل المعرفة منهم بالصنعة إنما عدلوا عن هذه الامور لعلمهم بعجزهم عنه ، وقصور فصاحتهم دونه . ولا يتمتع ان يلبس - على من لم يكن بارعاً فيهم ولا متقدماً في الفصاحة منهم - هذا الحال حتى لا يعلم إلا بعد نظر وتأمل ، وحتى يعرف حال عجز غيره . الا



أنا رأينا صناديدهم وأعيانهم ورجوهم ساموا ولم يشتغلوا بذلك ، تحققا بظهور العجز وتبينأله . وأما قوله تعالى حكاية عنهم ( ٨ : ٣١ ) « لو نشاء لقلنا مثل هذا » فقد يمكن أن يكونوا كاذبين فيما أخبروا به عن أنفسهم ، وقد يمكن أن يكون هذا الكلام إنما خرج منهم ، وهو يدل على عجزهم . ولذلك أورد الله مورد تقيعهم ، لأنه لو كانوا على ما رصفوا به أنفسهم لكانوا يتجاوزون الوعد الى الانجاز ، والضمان الى الوفاء ، فلما لم يستعملوا ذلك - مع استمرار التحدي وتطول زمان الفسحة في اقامة الحجة عليهم بعجزهم عنه - علم عجزهم ، اذ لو كانوا قادرين على ذلك لم يقتصروا على الدعوى فقط . ومعلوم من حالهم وسميتهم أن الواحد منهم يقول في الحشرات والموام والحيات وفي وصف الازمة والأنساع والامور التي لا يؤبه لها ولا يحتاج اليها ، ويتنافسون في ذلك أشد التنافس ، ويتبجحون به أشد التبجح ، فكيف يجوز أن تمكنهم معارضته في هذه المعاني الفسيحة ، والعبارات الفصيحة ، مع تضمن المعارضة تكذيبه ، والذب عن أديانهم القديمة ، واخراجهم أنفسهم من تسفيهه رأيهم ، وتضليله اياهم ، والتخلص من مزارعته ، ثم من محاربتة ومقارعته ، ثم لا يفعلون شيئا من ذلك ، وإنما يُحْيَون أنفسهم على التعاليل ، ويعلمونها بالباطيل ومعنى تاسع وهو أن الحروف التي بنى عليها كلام العرب تسعة وعشرون حرفا ، وعدد السور التي افتتح فيها بذكر الحروف ثمان وعشرون سورة ، وجملة ما ذكر من هذه الحروف في أوائل السور من حروف المعجم نصف الجملة وهو أربعة عشر حرفا ، ليدل بالمدكور على غيره ، وليعرفوا أن هذا الكلام منتظم من الحروف التي ينظمون بها كلامهم . والذي تنقسم اليه هذه الحروف على ما قسمه أهل العربية وبنوا عليها وجوها أقسام ثخن ذا كروها

فمن ذلك أنهم قسموها الى حروف مهموسة وأخرى مجهورة . فالمهموسة منها عشرة . وهي : ( الحاء ) و ( الهاء ) و ( الخاء ) و ( الكاف ) و ( الشين ) و ( التاء ) و ( الفاء ) و ( التاء ) و ( الصاد ) و ( السين ) ، وما سوى ذلك من الحروف فهي مجهورة . وقد عرفنا أن نصف الحروف المهموسة مذكورة في جملة الحروف المذكورة في أوائل السور ، وكذلك نصف الحروف المجهورة على السواء لازيادة ولا نقصان . و ( المجهور ) معناه أنه حرف أشبع الاعتماد في موضعه ومنع أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد ويجري الصوت ، و ( المهموس ) كل حرف أضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى معه النفس . وذلك مما يحتاج الى معرفته لتبنتي عليه أصول العربية

وكذلك مما يقسمون اليه الحروف يقولون انها على ضربين : أحدهما حروف الخلق وهي ستة أحرف ( العين ) و ( الحاء ) و ( الهمزة ) و ( الهاء ) و ( الخاء ) و ( الفين ) والنصف من هذه الحروف مذكور في جملة الحروف التي تشمل عليها الحروف المبينة في أوائل السور ، وكذلك النصف من الحروف التي ليست بحروف الخلق

وكذلك تنقسم هذه الحروف الى قسمين آخرين : أحدهما حروف غير شديدة ، و الى الحروف الشديدة وهي التي تمنع الصوت أن يجري فيه ، وهي ( الهمزة ) و ( القاف ) و ( الكاف ) و ( الجيم ) و ( الظاء ) و ( الدال ) و ( الزاء ) و ( الباء ) . وقد علمنا أن نصف هذه الحروف أيضاً هي مذكورة في جملة تلك الحروف التي بنى عليها تلك السور ومن ذلك الحروف المطبقة ، وهي أربعة أحرف وما سواها منقحة ، فالمطبقة ( الطاء ) و ( الظاء ) و ( الصاد ) و ( الضاد ) وقد علمنا أن نصف هذه في جملة الحروف المبدوء بها في أوائل السور



وإذا كان القوم - الذين قسموا في الحروف هذه الاقسام لاغراض لهم فيها ترتيب العربية وتزويلها بعد الزمان الطويل من عهد النبي ﷺ - رأوا (١) مابني اللسان على هذه الجهة ، وقد نبه بما ذكر في أوائل السور على ما لم يذكر على حد التنصيف الذي وصفنا ، دل على أن وقوعها الموقع الذي يقع التواضع عليه - بعد العهد الطويل - لا يجوز أن يقع إلا من الله عز وجل ، لأن ذلك يجري مجرى علم الغيوب ، وإن كان إنما نبهوا (٢) على ما بني عليه اللسان في أصله ولم يكن لهم في التقسيم شيء ، وإنما التأثير لمن وضع أصل اللسان . فذلك أيضاً من الباع الذي يدل على أن أصل وضعه وقع موقع الحكمة التي يقصر عنها اللسان ، فإن كان أصل اللغة توقيفاً فالامر في ذلك أبين ، وإن كان على سبيل التواضع فهو عجيب أيضاً ، لأنه لا يصح ان تجتمع هممهم المختلفة على نحو هذا إلا بأمر من عند الله تعالى . وكل ذلك يوجب اثبات الحكمة في ذكر هذه الحروف على حد يتعلق به الاعجاز من وجه ، وقد يمكن ان تعاد فاتحة كل سورة لفائدة تخصها في النظم اذا كانت حروفاً كنجو (آم) ، لأن الالف المبدوء بها هي أقصاها مطعماً ، واللام متوسطة ، والميم منطرفة لأنها تأخذ في الشفة ، فبها يذكرها على غيرها من الحروف ، وبين أنه إنما أتاهم بكلام منظوم بما يتعارفون من الحروف التي تتردد بين هذين الطرفين ، ويشبه ان يكون التنصيف وقع في هذه الحروف دون الالف لأن الالف قد تلغى وقد تقع الهمزة وهي موقعا واحدا

ومعنى عاشر وهو أنه سهل سبيله فهو خارج عن الوحشي المستكره ، والغريب المستفكر ، وعن الصنعة المتكلمة ، وجعله قريبا الى الافهام يبادر معناه لفظه الى

(١) في الاصل ( ورأوا ) غير ان سياق الكلام يقتضي حذف الواو فيكون د وإذا كان القوم .... رأوا مابني اللسان على هذه الجهة ... دل ذلك على أن  
(٢) في المخطوطة « شهبوا »

القلب ، ويسابق المغزى منه عبارته الى النفس . وهو مع ذلك ممتنع المطلب عسير المتناول ، غير مطمع مع قر به في نفسه ولا موهم مع دنوه في موقعه أن يقدر عليه أو يظفر به . فأما الانحطاط عن هذه الرتبة الى رتبة الكلام المبتل والقول المسفسف ، فليس يصح أن تقع فيه فصاحة أو بلاغة فيطلب فيه التمتع أو يوضع فيه الاعجاز . ولكن لو وضع في وحشي مستكره ، أو غمر بوجوه الضنعة وأطبق بأبواب التعسف والتكلف ، لكان لقائل ان يقول فيه ويعتذر ويعيب ويقرع . ولكنه أوضح مناره وقرب منهاجه وسهل سبيله وجعله في ذلك متشابها متماثلا ، وبين مع ذلك اعجازهم فيه . وقد علمت أن كلام فصحاءهم وشعر بلغائهم لا ينفك من تصرف في غريب مستنكر ، أو وحشي مستكره ، ومعان مستبعدة . ثم عدوهم الى كلام مبتل وضع لا يوجد دونه في الرتبة ، ثم يحولهم الى كلام معتدل بين الامرين متصرف بين المنزلتين . فمن شاء ان يتحقق هذا نظر في قصيدة امريء القيس :

\* قفانك من ذكري حبيب ومنزل \*

ونحن نذكر بعد هذا على التفصيل ما تتصرف اليه هذه القصيدة ونظائر ها ومنزلتها من البلاغة ، ونذكر وجه فوت نظم القرآن محلها على وجه يؤخذ باليد ، ويتناول من كتب ، ويتصور في النفس كتصور الاشكال ، ليبين ما ادعيناه من الفصاحة العجيبة للقرآن

واعلم ان من قال من أصحابنا ان الاحكام معللة بلل موافقة مقتضى العقل ، جعل هذا وجها من وجوه الاعجاز ، وجعل هذه الطريقة دلالة فيه كنجوما يعلون به الصلاة ومعظم الفروض وأصولها ، ولهم في كثير من تلك العلل طرق حريية ووجوه تستحسن . وأصحابنا من أهل خراسان يولعون بذلك ، ولكن الأصل الذي يبنون عليه ، عندنا غير مستقيم . وفي ذلك كلام يأتي في



## كتابنا في الاصول

وقد يمكن في تفاصيل ما أوردنا من المعاني الزيادة والافراد ، فانا جمعنا بين أمور وذكرنا المزية المتعلقة بها وكل واحد من تلك الأمور مما قد يمكن اعتماده في اظهار الاعجاز فيه

فان قيل : فهل تزعمون أنه معجز لانه حكاية لكلام القديم سبحانه ؟ أو لانه عبارة عنه ، أو لانه قديم في نفسه ؟ قيل : لسنا نقول بأن الحروف قديمة ، فكيف يصح التركيب على الفاسد ؟ ولا نقول أيضاً ان وجه الاعجاز في نظم القرآن انه حكاية عن الكلام القديم ، لانه لو كان كذلك لكانت التوراة والانجيل وغيرهما من كتب الله عز وجل معجزات في النظم والتأليف ، وقد بينا ان اعجازها في غير ذلك ، وكذلك كان يجب ان تكون كل كلمة مفردة معجزة بنفسها ومنفردها ، وقد ثبت خلاف ذلك



## فصل

﴿ في شرح ما بيننا من وجوه اعجاز القرآن ﴾

فأما الفصل الذي بدأنا بذكره <sup>(١)</sup> من الاخبار عن الغيوب والصدق والاصابة في ذلك كله ، فهو كقوله تعالى (٤٨ : ١٦) « قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سُدُّعُونَ إِلَى قَوْمِ أُولِي الْأَسْبَابِ شَدِيدًا لُقَاتلُوهُمْ أَوْ يُسَلِّمُوا » فأغزاهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما إلى قتال العرب والفرس والروم ، وكقوله (٣٠ : ١ - ٤) « أَلَمْ غَلَبتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بِضْعِ سِنِينَ » وراهن أبو بكر الصديق رضي الله عنه في ذلك وصدق الله وعده . وكقوله في قصة أهل بدر (٥٤ : ٤٥) « سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ » وكقوله (٤٨ : ٢٧) « لَقَدْ صَدَّقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الْوَيْلًا بِالْحَقِّ لَنَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ » وكقوله (٧ : ٨) « وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ أَحَدِي الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ » في قصة أهل بدر وكقوله (٢٤ : ٥٥) « وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا » وصدق الله تعالى وعده في كل ذلك . وقال في قصة المتخلفين عنه في غزوته (٩ : ٨٣) « لَنْ نَخْرُجَا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تَقَاتِلَا مَعِيَ عَدُوًّا » فحق ذلك كله وصدق ولم يخرج من المخالفين الذين خوطبوا بذلك معه أحد . وكقوله (٩ : ٣٣) « لِيُظَاهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ » وكقوله (٣ : ٦٠) « قَاتِلُوا تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ نَمُوتُ نَبْتَهُلٌ فَتَجْعَلُ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ » فامتنعوا من المباهاة ولو



أجابوا اليها اضطربت عليهم الأودية ناراً على ما ذكر في الخبر . وكقوله ( ٢ : ٩٤ - ٩٥ ) « قل إن كانت لكم الدارُ الآخرةُ عند الله خالصةً من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين . ولن يتمنوه أبداً بما قدمت أيديهم » ولو تمنوه لوقع بهم . فهذا وما أشبهه فصل  
وأما الوجه الثاني الذي ذكرناه (١) من اخباره عن قصص الاولين وسير

المتقدمين ، فمن العجيب الممتنع على من لم يقف على الاخبار ولم يشتغل بدرس الآثار . وقد حكى في القرآن تلك الامور حكاية من شهدها وحضرها ، ولذلك قال الله تعالى ( ٢٩ : ٤٨ ) « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تحطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون » وقال ( ٢٨ : ٤٤ ) « وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر وما كنت من الشاهدين » وقال ( ٢٨ : ٤٦ ) « وما كنت بجانب الطور اذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتندر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك » فبين وجه دلالته من اخباره بهذه الامور الغائبة السالفة . وقال ( ١١ : ٤٩ ) « تلك من انباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا » الآية

فأما الكلام في الوجه الثالث وهو الذي بيناه (٢) من الاعجاز الواقع في النظم والتأليف والرصف ، فقد ذكرنا من هذا الوجه وجوها منها : انا قلنا انه نظم خارج عن جميع وجوه النظم المعتاد في كلامهم ، ومباين لاساليب خطابهم . ومن ادعى ذلك لم يكن له بد من أن يصحح أنه ليس من قبيل الشعر ولا السجع ولا الكلام الموزون غير المقفى ، لان قوما من كفار قريش ادعوا انه شعر ، ومن الملحدة من يزعم أن فيه شعرا ، ومن أهل الملة من يقول انه كلام مسجع الا أنه أفصح مما قد اعتادوه من أسجاعهم ، ومنهم من يدعي أنه كلام موزون فلا يخرج بذلك عن أصناف ما يتعارفونه من الخطاب

## فصل

### ﴿ في نفي الشعر من القرآن ﴾

قد علمنا أن الله تعالى نفي الشعر من القرآن ومن النبي ﷺ فقال  
 ( ٣٦ : ٦٩ ) « وما علمناه الشعرَ وما ينبغي له ان هو الا ذكرٌ وقرآن مبين »  
 وقال في ذم الشعراء ( ٢٦ : ٢٢٤ - ٢٢٥ ) « والشعراء يتبعهم الغاؤون . ألم تر انهم  
 في كل واد يهيمون » الى آخر ما وصفهم به في هذه الآيات فقال ( ٦٩ : ٤١ )  
 « وما هو بقول شاعر » وهذا يدل على ان محاكاة عن الكفار من قولهم  
 انه شاعر ، وان هذا شعر ، لا بد من أن يكون محمولا على انهم نسبوه في  
 القرآن الى أن الذي أتاهم به هو من قبيل الشعر الذي يتعارفونه على الاعاريض  
 المحصورة المألوفة ، أو يكون محمولا على ما كان يطلق الفلاسفة على حكائهم  
 وأهل الفطنة منهم في وصفهم اياهم بالشعر ، لدقة نظرهم في وجوه الكلام وطرق  
 لهم في المنطق ، وان كان ذلك الباب خارجا عما هو عند العرب شعر على الحقيقة ،  
 أو يكون محمولا على انه أطلق عن بعض الضعفاء منهم في معرفة أوزان الشعر ،  
 وهذا أبعد الاحتمالات فان حمل على الوجهين الاولين كان ما أطلقوه صحيحا ،  
 وذلك ان الشاعر يظن لما لا يظن له غيره ، واذا قدر على صنعة الشعر كان  
 على مادونه - في رأيهم وعندهم - أقدر ، فنسبوه الى ذلك لهذا السبب . فان  
 زعم زاعم انه قد وجد في القرآن شعرا كثيرا فمن ذلك ما يزعمون انه بيت  
 تام أو أبيات تامة ومنه ما يزعمون انه مصراع كقول القائل :

قد قلت لما حاولوا سلوتي ( هيهات هيهات لما توعدون ) ( ٢٣ : ٣٦ )

ومما يزعمون انه بيت قوله ( ٣٤ : ١٣ ) . « ورجفان للجواب وقدور »



راسيات « قالوا هو من الرمل من البحر الذي قيل فيه :

سَاكِنُ الرِّيحِ نَطَوُ فُ الْمَزَنِ مُنْحَلُّ الْعَزَالِي (١)  
وكقوله (٣٥ : ١٨) « من تزكى فأنا يتزكى لنفسه » كقول الشاعر من

بحر الخفيف :

كل يوم بشمسه وغدًا مثل أمسه

وكقوله عز وجل (٦٥ : ٢-٣) « ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب » قالوا هو من المنقارب. وكقوله (٧٦ : ١٤) « ودانية عليهم ظلالها وذلت قطوفها تذليلاً » ويشبعون حركة الميم فيزعمون انه من الرجز. وذكر عن أبي نواس انه ضمن ذلك شعرا وهو قوله :

وفتية في مجلس وجوههم ربحانهم قد عدموا التثقيلا

دانية عليهم ظلالها وذلت قطوفها تذليلا

وقوله عز وجل (٩ : ١٤) « ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم

مؤمنين » زعموا انه من الوافر كقول الشاعر (٢) :

لنا غنم نسوقها غزار كأن قرون جلتها عصى (٣)

وكقوله عز وجل (١٠٧ : ١-٢) « أرايت الذي يكذب بالدين فذلك

الذي يدع اليتيم » ضمنه أبو نواس في شعره ففصل وقال « فذاك الذي »

وشعره :

وقرا معلنا ليصدع قلبي والهوى يصدع الفؤاد السقيا

(١) بصف سخابة . أطوف : عطور ، تظفر حتى الصباح . والعزالي : جمع مزلاء وهو

مصعب الماء من الراوية والقربة في اسقامها

(٢) امرؤ النيس الكندي

(٣) غزار : جزيرة البانها . وجلة الابل مساكنها جمع جليل مثل صبي وصبية . ورواية صدر

البيت المشهورة « ألا ان لم تكن ابل فمزي »

أرأيت الذي يكذب بالدين  
فذلك الذي يدعُ البديا  
وهذا من الخفيف كتول الشاعر :

وفؤادي كعهده بسليمي  
بهوى لم يحل ولم يتغير  
وكما ضمنه في شعره من قوله (٤٣ : ١٣) :

سبحان (من) سخر هذا لنا (حقاً) وما كنا له مقرنين

فزاد فيه حتى انتظم له الشعر وكما يقولونه في قوله عز وجل (١٠٠ : ١-٢)  
« والعاديات ضبحاً فلموريات قدحا » ونحو ذلك في القرآن كثير كقوله (٥١ :  
١-٣) « والذاريات ذرواً فالخاملات قرأاً فالجاريات بسرّاً » وهو عندهم  
شعر من بحر البسيط

والجواب عن هذه الدعوى التي ادعواها من وجوه : أولها ، ان الفصحاء  
منهم حين أورد عليهم القرآن لو كانوا يعتقدونه شعراً ولم يروه خارجاً عن  
أساليب كلامهم لبادروا الى معارضته ، لان الشعر مسخر لهم مسهل عليهم لهم  
فيه ما قد علمت من التصرف العجيب والاقتدار اللطيف ، فلما لم يروهم اشتغلوا  
بذلك ولا عوتلوا عليه علم انهم لم يعتقدوا فيه شيئاً مما يقدره الضعفاء في الصنعة  
والمرميدون في هذا الشأن (١) ، وان استدراك من يجيء الآن على فصحاء  
قريش وشعراء العرب قاطبة في ذلك الزمان وبلغائهم وخطبائهم ، وزعمه انه قد  
ظفر بشعر في القرآن ذهب أولئك النفر عنه وخفى عليهم مع شدة حاجتهم  
الى الطعن في القرآن والغرض منه والتوصل الى تكذيبه بكل ما قدروا عليه ،  
لن (٢) يجوز أن يخفى على أولئك وان يجوهه ويعرفه من جاء الآن وهو بالجهل  
حقيق . اذا كان كذلك علم أن الذي أجاب به العلماء عن هذا السؤال سديد (٣)

(١) أرمذ الرجل جهل وانقر

(٢) في الاصل ( فان ) وبها لا يستقيم المعنى ولا الكلام ، وتقدم خبر « وان استدراك »

(٣) « شديد في الاصل »



وهو انهم قالوا : ان البيت الواحد وما كان على وزنه لا يكون شعرا وأقل الشعر بيتان فصاعدا ، والى ذلك ذهب أكثر أهل صناعة العربية من أهل الاسلام . وقالوا أيضا : ان ما كان على وزن بيتين الا انه يختلف رويهما وقافيتهما فليس شعر . ثم منهم من قال : ان الرجز ليس بشعر أصلا لاسيما اذا كان مشطورا أو منهوكا ، وكذلك ما كان يقارنه في قلة الاجزاء . وعلى هذا يسقط السؤال . ثم يقولون : ان الشعر انما يطلق متى قصد القاصد اليه على الطريق الذي يعتمد ويسلك ، ولا يصح ان يتفق مثله الا من الشعراء دون ما يستوي فيه العامى والجاهل والعالم بالشعر واللسان وتصرفه وما يتفق من كل واحد فليس يكتب اسم الشعر ولا صاحبه اسم شاعر ، لانه لو صح ان يسمى [شاعرا] كل من اعترض في كلامه ألفاظ تتزن بوزن الشعر ، أو تنتظم انتظام بعض الأعراب ، كان الناس كلهم شعراء . لان كل متكلم لا ينفك من ان يعرض في جملة كلام كثير يقوله ما قد يزن بوزن الشعر وينتظم انتظامه . ألا ترى ان العامى قد يقول لصاحبه « أغلق الباب واثني بالطعام » ويقول الرجل لأصحابه « اكرموا من لقيتم من تميم » ومتى تتبع الانسان هذا عرف انه يكثر في تضاعيف الكلام مثله وأكثر منه . وهذا القدر الذي يصح فيه التوارد ليس بعدة أهل الصناعة سرقة اذ لم تعلم فيه حقيقة الأخذ ، كقول امرئ القيس :

وقوفاً بها صحبى عليّ مطيهم      يقولون لاتهلك أسى ونجمي  
وكقول طرفة :

وقوفاً بها صحبى عليّ مطيهم      يقولون لاتهلك أسى ونجمي

ومثل هذا كثير . فاذا صح مثل ذلك في بعض البيت ولم يمتنع التوارد فيه فكذلك لا يمتنع وقوعه في الكلام المنشور اتفاقا غير مقصود اليه ، فاذا اتفق لم يكن ذلك شعرا ، وكذلك يمتنع التوارد على بيتين وكذلك يمتنع في الكلام

المشور وقوع البيتين ونحوهما . فثبت بهذا ان ما وقع هذا الموضع لم يعد شعراً<sup>١</sup> وإنما يُعدُّ شعراً ما اذا قصده صاحبه تأتياً له ولم يمتنع عليه ، فاذا كان هو مع قصده لا يتأتى له وإنما يعرض في كلامه عن غير قصد اليه لم يصح ان يقال انه شعر ولا ان صاحبه شاعر ، ولا يصح ان يقال ان هذا يوجب ان مثل هذا لو اتفق من شاعر فيجب ان يكون شعراً ، لانه لو قصده لكان يتأتى منه . وإنما لم يصح ذلك لان ما ليس بشعر فلا يجوز أن يكون شعراً من أحد وما كان شعراً من أحد من الناس كان شعراً من كل أحد . ألا ترى أن السوقي قد يقول « استقي الماء يا غلام سريعاً » وقد يتفق ذلك من الساهي ومن لا يقصد النظم . فأما الشعر اذا بلغ الحد الذي بيننا فلا يصح ان يقع الا من قاصد اليه . وأما الرجز فانه يعرض في كلام العوام كثيراً فاذا كان بيتاً واحداً فليس ذلك بشعر ، وقد قيل : ان أقل ما يكون منه شعراً أربعة أبيات بعد أن تتفق قوافيها ولم يتفق ذلك في القرآن بحال ، فأما دون أربعة أبيات منه أو ما يجري مجراه في قلة الكلمات فليس بشعر وما اتفق في ذلك من القرآن مختلف الروي ، ويقولون : انه متى اختلف الروي خرج من ان يكون شعراً . وهذه الطرق التي سلكوها في الجواب معتمدة أو أكثرها ، ولو كان ذلك شعراً لكانت النفوس تتشوف الى معارضته لان طريق الشعر غير مستصعب على أهل الزمان الواحد وأهله يتقاربون فيه أو يضربون فيه بسهم

فان قيل : في القرآن كلام موزون كوزن الشعر وان كان غير مقفى بل هو مزاج متساوي الضروب ، وذلك آخر أقسام كلام العرب . قيل : من سبيل الموزون من الكلام ان تتساوى أجزاءه في الطول والقصر والسواكن والحركات ، فان خرج عن ذلك لم يكن موزوناً كقوله :

رب أخ كنتُ به مغتبطاً أشدُّ كفى بعراً صحبته



تمسكا مني بالود ولا أحسبه يزهد في ذي أمل  
 تمسكا مني بالود ولا أحسبه يغير العهد ولا  
 يحول عنه أبدا فخاب فيه أملي

وقد علمنا أن هذا القرآن ليس من هذا القبيل بل هذا قبيل غير ممدوح ولا مقصود من جملة الفصيح ، وربما كان عندهم مستنكرا بل أكثره على ذلك . وكذلك ليس في القرآن من الموزون الذي وصفناه أولا وهو الذي شرطنا فيه التعادل والتساوي في الأجزاء غير الاختلاف الواقع في التقفية . وبين ذلك أن القرآن خارج عن الوزن الذي بينا وتم فائدته بالخروج منه ، وأما الكلام الموزون فان فائدته تتم بوزنه

## فصل

### ﴿ في نفي السجع من القرآن ﴾

ذهب أصحابنا كلهم الى نفي السجع من القرآن ، وذكره أبو الحسن الأشعري في غير موضع من كتبه . وذهب كثير ممن يخالفهم الى اثبات السجع في القرآن ، وزعموا أن ذلك مما يبين به فضل الكلام وانه من الأجناس التي يقع بها التفاضل في البيان والفصاحة كالتجنيس والالتفات وما أشبه ذلك من الوجوه التي تعرف بها الفصاحة . وأقوى ما يستدلون به عليه اتفاق الكل على أن موسى أفضل من هرون عليهما السلام ولمسكان السجع قيل في موضع هرون وموسى ولما كانت الفواصل في موضع آخر بالواو والنون قيل موسى وهرون . قالوا وهذا يفارق أمر الشعر لأنه لا يجوز أن يقع في الخطاب إلا مقصوداً إليه ، وإذا وقع غير مقصود إليه كان دون القدر الذي يسمى شعراً وذلك القدر

ما يتفق وجوده من المفحّم كما يتفق وجوده من الشاعر . وأما ما في القرآن من السجع فهو كثير لا يصح أن يتفق كله غير مقصود إليه ، وبينون الأمر في ذلك على تحديد معنى السجع ، قال أهل اللغة : هو موالة الكلام على وزن واحد . قال ابن دريد ، سجعت الحماة معناها ردّدت صوتها . وأنشد :

طربت فأبكتك الحمامُ السواجم تَميلُ بها ضحواً غصون نوائم<sup>(١)</sup>  
(النوائم ، الموائل : من قولهم جائع نائم أي متمايل ضعفا) ، وهذا الذي يزعمونه غير صحيح ، ولو كان القرآن سجعا لكان غير خارج عن أساليب كلامهم ، ولو كان داخلا فيها لم يقع بذلك اعجاز . ولو جاز أن يقال : هو سجع معجز لجاز لهم أن يقولوا : شعر معجز . وكيف والسجع مما كان يألفه الكهان من العرب ونفيه من القرآن أجدر بأن يكون حجة من نفي الشعر ، لأن الكهانة تنافي النبوات وليس كذلك الشعر . وقد روي أن النبي ﷺ قال للذين جاؤه وكلوه في شأن الجنين : كيف ندي من لا شرب ولا أكل<sup>(٢)</sup> ، ولا صاح فاستهل ، أليس دمه قد يطل ؟ فقال « أسجاعة كسجاعة الجاهلية ؟ » وفي بعضها « أسجعا كسجع الكهان » ؟ فرأى ذلك مذموما لم يصح أن يكون في دلالته . والذي يقدرونه أنه سجع فهو وهم لأنه قد يكون الكلام على مثال السجع وإن لم يكن سجعا ، لأن ما يكون به الكلام سجعا يختص ببعض الوجوه دون بعض لأن السجع من الكلام يتبع المعنى فيه اللفظ الذي يؤدي السجع ، وليس كذلك ما اتفق مما هو في تقدير السجع من القرآن لأن اللفظ يقع فيه تابعا للمعنى ، وفصل بين أن ينتظم الكلام في نفسه بألفاظه التي تؤدي المعنى

(١) ضحواً : ضحى . ونوائم : جم نائم ، قال ابن دريد : ناع يبيع وينوع : تمايل . وبروي « غصون يوائم »  
(٢) كانت في الاصل « من لا أكل ولا شرب »



المقصود فيه وبين أن يكون المعنى منتظما دون اللفظ، ومتى ارتبط المعنى بالسجع كانت افادة السجع كإفادة غيره ومتى ارتبط المعنى بنفسه دون السجع كان مستجلبا لتجنيس الكلام دون تصحيح المعنى. فان قيل: فقد يتفق في القرآن ما يكون من القبيلين جميعا فيجب أن تسموا أحدهما سجعا. قيل: الكلام في تفصيل هذا خارج عن غرض كتابنا وإلا كنا تأتي على فصل فصل من أول القرآن إلى آخره وبين في الموضع الذي يدعون الاستغناء عن السجع من الفوائد ما لا يخفى، ولكنه خارج عن غرض كتابنا، وهذا القدر يحقق الفرق بين الموضوعين. ثم إن سلم لهم مسأله موضعا أو مواضع معدودة، وزعم أن وقوع ذلك موقع الاستراحة في الخطاب إلى الفواصل لتحسين الكلام بها، وهي الطريقة التي يباين القرآن بها سائر الكلام، وزعم أن الوجه في ذلك أنه من باب الفواصل، أو زعم أن ذلك وقع غير مقصود إليه، وأن ذلك إذا اعترض في الخطاب لم يعد سجعا على ما قد بينا من القليل من الشعر كالبيت الواحد والمصراع والبيتين من الرجز ونحو ذلك يعرض فيه فلا يقال أنه شعر، لأنه لا يقع مقصودا إليه وإنما يقع مغمورا في الخطاب، فكذلك حال السجع الذي يزعمونه ويقدرونه. ويقال لهم: لو كان الذي في القرآن على ما تقدرونه سجعا لكان مذموما مردولا، لأن السجع إذا تفاوتت أوزانه، واختلفت طرقة، كان قبيحا من الكلام، وللسجع منهج مرتب محفوظ وطريق مضبوط، متى أخل به المتكلم أو وقع الخلل في كلامه ونسب إلى الخروج عن الفصاحة، كما أن الشاعر إذا خرج عن الوزن المعهود كان مخطئا وكان شعره مردولا، وربما أخرجه عن كونه شعرا. وقد علمنا أن بعض ما يدعونه سجعا متقارب الفواصل متداني المقاطع، وبعضها مما يمتد حتى يتضاعف طوله عليه، وترد الفاصلة على ذلك الوزن الأول بعد كلام كثير، وهذا في السجع غير مرضي ولا محمود

فان قيل : متى خرج السجع المعتدل الى نحو ما ذكرتموه خرج من أن يكون سجعاً ، وليس على المتكلم أن يلتزم أن يكون كلامه كله سجعاً ، بل يأتي به طوراً ثم يعدل عنه الى غيره ، ثم قد يرجع اليه

قيل : متى وقع أحد مصراعي البيت مخالفاً للآخر كان تخليطاً وخبطاً ، وكذلك متى اضطرب أحد مصراعي الكلام المسجع وتفاوت كان خبطاً ، وعلم ان فصاحة القرآن غير مذمومة في الاصل فلا يجوز أن يقع فيها نحو هذا الوجه من الاضطراب . ولو كان الكلام الذي هو في صورة السجع منه لما تحيروا فيه ، وكانت الطباع تدعو الى المعارضة ، لان السجع غير ممتنع عليهم بل هو عادتهم ، فكيف تنقض العادة بما هو نفس العادة وهو غير خارج عنها ولا مميز منها ؟ وقد يتفق في الشعر كلام على منهاج السجع وليس بسجع عندهم ، وذلك نحو قول البحرني :

تَشَكَّى الوجى ، والليل ملتبسُ الدجا غَيْرِيَّةُ الانسابِ مَرَّتْ نَقِيْعَهَا (١)  
وقوله (البحرني) :

قريب المدي ، حتى يكون الى الندى ، عدوُّ البنى ، حتى يكون معالي (٢)  
ورأيت بعضهم يرتكب هذا فيزعم أنه سجع مداخل ، ونظيره من القرآن

(١) من قصيدة له يمدح المتوكل وينذكر صلح ثعلب وهي من خير قصائده . وهذا البيت في نائنه . الوجى من قولهم وجيت الناقة وجى وجيت في خفها . والابل الغريزية مذسوبة الى الغرير وهو فعل لعله كان لانعمان بن المنذر . لمرت الارض لا كلاً بها وان مطرت . والنقيع البئر الكثيرة الماء ، أو هو من المياه البارد المذب

(٢) من قصيدته في مدح محمد بن همر بن علي بن سره . وهي جلية . المدي الناية . وقوله قريب للمدى أى قريب الناية والانتهاه فيما يسوءك كالنضب حتى يصير الى الندى فهناك سيب لا غاية لجوده . وهو عدو كل بناء لا يكون بناء للمعالي . وكان من حق الاهراب على البحرني أن يقول « حتى يكون معالياً » ولعله اراد « حتى يكون بناء معال » فأجراه والبنية بكسر الباء أو ضمها وسكون النون هو ما بنيته ، وهو البنى بالكسر أو الضم أيضا مقصوداً



قوله تعالى (١٦ : ٢٧) « ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِبُهُمْ وَيَقُولُ بَيْنَ يَدَيْهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقِقُونَ فِيهِمْ » وقوله (١٧ : ١٦) « أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا » وقوله (٩ : ٢٤) « أَحَبُّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ » وقوله (٣ : ٤٨ ، ٤٩) « وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ، وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ » وقوله (٤ : ١٩) « إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي » ولو كان ذلك عندهم سجعاً لم يتحبروا فيه ذلك التحبر حتى سماه بعضهم سحراً ، وتصرفوا فيما كانوا يسمونه به ويصرفونه اليه ويتوهمونه فيه ، وهم في الجملة عارفون بعجزهم عن طريقه ، وليس القوم بعاجزين عن تلك الاساليب المعتادة عندهم المألوفة لديهم . والذي تكلمنا به في هذا الفصل كلام على جملة دون التفصيل ، ونحن نذكر بعد هذا في التفصيل ما يكشف عن مبينة ذلك وجوه السجع

ومن جنس السجع المعتاد عندهم قول أبي طالب لسيف بن ذي يزن « أَنْبَتَكَ مَنبِتًا طَابَتْ أَرْوَمَتُهُ ، وَعَزَّتْ جُرُومَتُهُ ، وَثَبَّتْ أَصْلُهُ وَأَسَقَ فَرْعُهُ ، وَنَبَتَ زَرْعُهُ فِي أَكْرَمِ مَوْطِنٍ ، وَأَطْيَبِ مَعْدِنٍ » وما يجري هذا الجري من الكلام

والقرآن مخالف لنحو هذه الطريقة مخالفته للشعر وسائر أصناف كلامهم الدائر بينهم : ولا معنى لقولهم ان ذلك مشتق من ترديد الحماسة صوتها على نسق واحد وروي غير مختلف ، لان ما جرى هذا الجري لا يُدبني على الاشتقاق وحده ؛ ولو بُنيَ عليه لكان الشعر سجعاً ، لأن رويته يتفق ولا يختلف . وتورد القوافي على طريقة واحدة . وأما الامور التي يستريح اليها الكلام فانها تختلف : فربما كان ذلك يسمى <sup>(١)</sup> قافية وذلك انما يكون في الشعر ، وربما كان ما ينفصل عنده الكلامان [ يسمى <sup>(٢)</sup> ] مقاطع السجع وربما

(١) في النسخة المخطوطة : مسمى (٢) الزيادة في لطبوعه وليست في المخطوطة

سمى ذلك فواصل . وفواصل القرآن - مما هو مختص بها - لا شركة بينه وبين سائر الكلام فيها ولا تناسب

وأما ما ذكره من تقديم موسى على هارون عليهما السلام في موضع وتأخيره عنه في موضع لمكان السجع ولتساوي مقاطع الكلام ، فليس بصحيح ، لان الفائدة عندنا غير ما ذكره . وهي ان اعادة ذكر القصة الواحدة بألفاظ مختلفة تؤدي معنى واحدا ، من الامر الصعب الذي تظهر فيه الفصاحة وتبين فيه البلاغة ، وأعيد كثير من القصص في مواضع مختلفة على ترتيبات متفاوتة ، ونُبِّهوا بذلك على عجزهم عن الاتيان بمثله مبتدأً به ومكرراً . ولو كان فيهم تَمَكُّنٌ من المعارضة لقصدا تلك القصة فعبروا عنها بألفاظٍ لهم تؤدي تلك المعاني وتحويها ، وجعلوها بازاء ما جاء به ، وتوصلوا بذلك الى تكذيبه والى مساواته فيما جاء به . كيف وقد قال لهم ( ٥٢ : ٣٤ ) « فليأتوا بحديثٍ مثله ان كانوا صادقين » فعلى هذا يكون المقصدُ - بتقديم بعض الكلمات وتأخيرها - اظهارَ الاعجاز على الطريقتين جميعاً دون التسجيع الذي توهموه

فان قال قائل : القرآن مختلط من أوزان كلام العرب ففيه من جنس خطيبهم ، ورسائلهم ، وسجعهم ، وموزون كلامهم الذي هو غير مقفى ، ولسكنه أبداع فيه ضرباً من الابداع ابراعته وفصاحته

قيل : قد علمنا ان كلامهم ينقسم الى نظم ، ونثر ، وكلام مقفى غير موزون ، ونظم موزون ليس بمقفى كالخطب والسجع ، ونظم مقفى موزون له روي . ومن هذه الاقسام ما هو سجيّةُ الاغلب من الناس . فتناولهُ أقرب ، وسلوكه لا يتعذر . ومنه ما هو أصعب تناولاً كالموزون عند بعضهم أو الشعر عند الآخرين . وكل هذه الوجوه لا تخرج عن أن يقع لهم بأحد أمرين : إما بعمل وتكلف وتعلم وتصنع ، أو باتفاق من الطبع وقذف من



النفس على اللسان للحاجة اليه . ولو كان ذلك مما يجوز اتفاهه من الطبايع ، لم ينفك العالم من قوم يتفق ذلك منهم ويتعرض على ألسنتهم وتجيش به خواطرهم ، ولا ينصرف عنه الكل <sup>(١)</sup> مع شدة الدواعي اليه . ولو كان طريقه التعلم لتصنعوه وتعلموه ، فالمهله لهم فسيحة والأمد واسع وقد اختلفوا في الشعر كيف اتفق لهم ؟ فقد قيل : انه اتفق في الأصل غير مقصود اليه على ما يعرض من أصناف النظام في تضاعيف الكلام ، ثم لما استحسنوه واستطابوه ورأوا انه تألفه الاسماع وتقبله النفوس ، تدبوه من بعد وتعلموه . وحكى لي بعضهم عن أبي عمر <sup>(٢)</sup> غلام ثعلب عن ثعلب أن العرب تعلم أولادها قول الشعر بوضع غير معقول يوضع على بعض أوزان الشعر كأنه على وزن

قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل

وبسمون ذلك الوضع (الهزير <sup>(٣)</sup>) واشتقاقه من المتر وهو الجذب أو القطع يقال مترت الجبل بمعنى قطعته أو جذبتة ، ولم يذكر هذه الحكاية عنهم غيره فيحتمل ما قاله . وأما ما وقع السبق اليه فيشبه أن يكون على ما قدمنا ذكره أو لا وقد يحتمل - على قول من قال بأن اللفظة اصطلاح - انهم تواضعوا على هذا الوجه من النظم . وقد يمكن ان يقال مثله على المذهب الآخر ، وانهم وقفوا على ما يتصرف اليه القول من وجوه التفاضح ، أو توافقوا هم بينهم على

(١) كانت بالاصلين « عند الكل »

(٢) كانت بالاصلين « أبي عمرو » بالواو وصوابه أبو عمرو الزاهد (بجذف الواو) محمد ابن عبد الواحد غلام ثعلب القفوي الثقة الحافظ له كتب  
(٣) لم أعثر بعد على هذه القصة عن أبي عمرو الزاهد ولا عن غيره ولست أعرف هذه الكلمة (المتر) وليست مثبتة في كتب اللغة لا بهذا المعنى ولا بغيره . وقوله ان اشتقاقه من المتر يدل بعض الشيء على أنها على وزن (فعل) بمعنى مفعول أي ممتور أي منظم

ذلك ؛ ويمكن أن يقال ان التواضع وقع على أصل الباب وكذلك التوقيف ، ولم يقع على فنون تصرف الخطاب ، وان الله تعالى أجرى على لسان بعضهم من النظم ما أجرى ، وفظنوا لحسنه فمتبعوه من بعد وبنوا عليه وطلبوه ورتبوا فيه المحاسن التي يقع الاضطراب بوزنها ، ونهش النفوس اليها ؛ وجمع<sup>(١)</sup> دواعيهم وخواطرهم على استحسان وجوه من ترتيبها ، واختيار طرق من تنزيلها ، وعرفهم محاسن الكلام ، ودلهم على كل طريقة عجيبة ، ثم أعلمهم عجزهم عن الاتيان بالقرآن ، والقدر الذي يتناهى اليه قدرهم ، هو ما لم يخرج عن لغتهم ، ولم يشذ من جميع كلامهم بل قد عرض في خطابهم ، ووجدوا ان هذا انما تعذر عليهم مع التحدي والتفريع الشديد والحاجة الماسة اليه مع علمهم بطريق وضع النظم والنثر وتكامل أحوالهم فيه ، دل<sup>(٢)</sup> على انه اختص به ليكون دلالة على النبوة ومعجزة على الرسالة ، ولولا ذلك لكان القوم إذا اهدتوا في الابتداء الى وضع هذه الوجوه التي يتصرف اليها الخطاب على براعته وحسن انتظامه ، فلأن يقدروا بعد التنبيه على وجهه والتحدي اليه أولى ان يبادروا اليه لو كان لهم اليه سبيل . فلو كان الأمر على ما ذكره السائل لوجب أن لا يتحيروا في أمرهم ، ولا تدخل عليهم شبهة فيما نابهم ، ولكانوا يسرعون الى الجواب ويبادرون الى المعارضة ؛ ومعلوم من حالهم أن الواحد منهم يقصد الى الامور البعيدة عن الوهم ، والاسباب التي لا يحتاج اليها ، فيكثر فيها من شعر ورجز ؛ ونجد من يعينه على نقله عنه على ما قدمنا ذكره من وصف الابل ونتاجها وكثير من أمرها لا فائدة في الاشتغال به في دين ولا دنيا . ثم كانوا يتفاخرون بالأسن

(١) يريد جمع افق تعالى

(٢) هذا كلام مضطرب وفي المخطوطة أكثر اضطراباً لأن أول الجملة هناك « بل قد عرض في كلامهم ووجد » بالبناء للمجهول « وأن هذا .. » فهذا كما ترى لا يؤدي معنى وأحسب الصواب « ولما وجدوا ان هذا انما تعذر ... دل على ... »



والذلاقة والفصاحة والدرابة ويتنافرون فيه ، وتجري بينهم فيه الأسباب المنقولة في الآثار على ما لا يخفى على أهله . فاستدلنا بتحريم في أمر القرآن على خروجه عن عادة كلامهم ، ووقوعه موقعاً يخرق العادات ، وهذه سبيل المعجزات

فبان بما قلنا أن الحروف التي وقعت في الفواصل متناسبةً موقعَ النظائر التي تقع في الاسجاع ، لا يخرجها عن حدها ولا يدخلها في باب السجع . وقد بينا أنهم يذمون كل سجع خرج عن اعتدال الاجزاء فكان بعض مصاربعه كلمتين وبعضها تبليغ كلمات ، ولا يرون في ذلك فصاحة بل يرونه عجزاً . فلو رأوا ان ما تلى عليهم من القرآن سجعا لقالوا : نحن نعارضه بسجع معتدل ، فنزيد في الفصاحة على طريقة القرآن ونتجاوز حده في البراعة والحسن . ولا معنى لقول من قدر أنه ترك السجع تارة الى غيره ثم رجع اليه ، لان ما تخلل بين الامرين يؤذن بأن وضع الكلام غير ما قدره من التسجيع ، لانه لو كان من باب السجع لكان أرفع نهاياته وأبعد غاياته

ولا بد لمن جوز السجع فيه وسلك ما سلكوه من أن يسلم ما ذهب<sup>(١)</sup>

(١) الذي ذهب اليه النظام هو ما حكاه ابن الحياط المعتزلي في كتابه « الانتصار والرد على ابن الراوندي المحدث » ص ٢٧ قال ( أي ابن الراوندي ) « وكان يزعم ( أي ابراهيم النظام ) ان نظم القرآن وتأليفه ليسا بحجة للنبي صلى الله عليه وسلّم وان الخلق يقدرون على مثله ( ثم قال ) هذا مع قول الله عز وجل « قل لئن اجتمعت الانس والجن « الآية اهـ - عليك الله الخبير - ان القرآن حجة للنبي صلى الله عليه وسلّم على نبوته عند ابراهيم من غير وجه فأحدها ما فيه من الاخبار بالنيوب ( وذكر آيات مضت في كتابنا هذا « اعجاز القرآن » ) ، الى أن قال : ومثل اخباره بما في نفوس قوم وبما سيقولونه وهذا وما أشبهه في القرآن كثير . فالقرآن عند ابراهيم حجة على نبوة النبي صلى الله عليه وسلّم من هذه الوجوه وما أشبهها وايها من الله تعالى بقوله « قل لئن اجتمعت الانس والجن « الآية . اه باختصار أي أن القرآن معجز بمنه وحسب

اليه النظام<sup>(١)</sup>، وعباد بن سلمان<sup>(٢)</sup>، وهشام الفوطني<sup>(٣)</sup> ويذهب مذهبهم في أنه ليس في نظم القرآن وتأليفه اعجاز، وأنه يمكن معارضته، وإنما صُرفوا عنه ضرباً من الصرف. ويتضمن كلامه تسليم الخبط في طريقة النظم، وأنه منتظم من فرق شتى ومن أنواع مختلفة ينقسم إليها خطابهم ولا يخرج عنها، ويستعين بقديم نظمه وعجيب تأليفه الذي وقع التحدي إليه. وكيف يُعجزهم الخروج عن السجع والرجوع إليه وقد علمنا عاداتهم في خطبهم وكلامهم أنهم كانوا لا يلزمون أبداً طريقة السجع والوزن، بل كانوا يتصرفون في أنواع مختلفة، فإذا ادعوا على القرآن مثل ذلك لم يجدوا فاصلة بين نظمي الكلامين



- (١) النظام هو أبو اسحاق ابراهيم بن سيار ذكره الذهبي فيمن مات بين سنة ٢٢١ الى سنة ٢٣١ هـ. من تملقات الانتصار ص ١٨٢
- (٢) ذكر صاحب الانتصار في ص ٩٠، ٩١ وجلا اسمه عباد بن سليمان وترجم له ابن المرتضى بهذا الاسم وقال كان من أصحاب هشام الفوطني طاش هذا الرجل في القرن الثالث. من تملقات الانتصار ص ٢٠٣
- (٣) بالاصل المخطوط (القرطي) والمطبوع (القرظي) والصواب ما أثبتناه. والفوطني بضم الفاء فتفتح الواو نسبة الى الفوط وهي نوع من الثياب واحده فوطة (السمعاني). وهو هشام بن عمرو الشيباني ذكره ابن المرتضى ولده مات في الربع الاول من القرن الثالث هـ. تملقات الانتصار ص ١٩٢ - ١٩٣ وذكر هشاماً هذا ابن حزم في كلامه في الملل والنحل ج ٤ ص ١٩٦، ٢٠٢



## فصل

## ﴿ في ذكر البديع من الكلام ﴾

ان سأل سائل فقال : هل يمكن ان يعرف اعجاز القرآن من جهة ما يتضمنه من البديع ؟

قيل : ذكر أهل الصنعة ومن صنف في هذا المعنى من صفة البديع ألفاظا نحن نذكرها ، ثم نبين ما سألوا عنه ليكون الكلام واردا على أمر مبين مقرر وباب مصور . ذكروا ان من البديع في القرآن قوله عز ذكره ( ١٧ : ٢٤ ) « وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ » وقوله ( ٤٣ : ٤ ) « وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيمٌ حَكِيمٌ » وقوله ( ١٩ : ٤ ) « وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا » وقوله ( ٣٦ : ٣٧ ) « وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمُ مُظْلِمُونَ » وقوله ( ٢٢ : ٥٥ ) « أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ عَقِيمٍ » وقوله ( ٢٤ : ٣٥ ) « نُورٌ عَلَى نُورٍ » . وقد يكون البديع من الكلمات الجامعة الحكيمة كقوله ( ٢ : ١٧٩ ) « وَالسُّمُّ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ » وفي الألفاظ الفصيحة كقوله ( ١٢ : ٨٠ ) « فَلَمَّا اسْتَيْسَوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا » وفي الألفاظ الالهية كقوله ( ٢٧ : ٩١ ) « وَهُوَ كُلُّ شَيْءٍ » وقوله ( ١٦ : ٥٣ ) « وَمَا يَكُومُ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ » وقوله ( ٤٠ : ١٦ ) « لَمَنْ الْمَلِكُ الْيَوْمَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ » ويذكرون من البديع من قول النبي ﷺ « خَيْرُ النَّاسِ رَجُلٌ مُمْسِكٌ عِنَانَِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَا سَمِعَ هَيْعَةَ طَارِ الْبَهِيمَةِ »<sup>(١)</sup> وقوله « رَبَّنَا تَقَبَّلْ تَوْبَتِي وَاغْسِلْ حَوْبَتِي »<sup>(٢)</sup> وقوله « غَلَبَ عَلَيْكُمْ دَاةُ الْأُمَمِ قَبْلَ سَكْمِ الْحَسَدِ »

(١) الهيمة : صوت الصارخ الفرع

(٢) الحوبة : الخطيئة والذنب

والبغضاء وهي الحالقة حالقة الدين لاحالقة الشعر « وكقوله « الناس كابل مائة لانجد فيها راحلة » وكقوله « وهل يكب الناس على مناخرهم في نار جهنم إلا حصادئ أسفنتهم <sup>(١)</sup> » وكقوله « ان مما يُبْتِ الرِّبيع ما يقتل حَبَطًا أو يُبَلِّم <sup>(٢)</sup> »

وكقول أبي بكر الصديق رضي الله عنه في كلام له قد نقلناه بعد هذا على وجهه <sup>(٣)</sup> وقوله لخالد بن الوليد « احْرِصْ على الموت توهب لك الحياة » وقوله « فر من الشرف يتبعك الشرف »

وكقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم وجهه في كتابه الى ابن عباس وهو عامله على البصرة « ارْغَبْ رَاغِبَهُمْ واحلْ عَقْدَةَ الخوفِ عنهم » وقوله حين سئل عن قول النبي ﷺ « انما قال ذلك والدين في قل فأما وقد اتسع نطاق الاسلام فكل امرئ وما اختار » وسأل علي رضي الله عنه بعض كبراء فارس عن أحمد ملوكم عندهم فقال « لاردشير فضيلة السبق غير

(١) قال ابن الاثير بعد ذكر الحديث « أي ما يقتطعونه من الكلام الذي لا خير فيه واحدها حصيدة تشبها بما يحصد من الزرع وتشبها لسان وما يقتطعه من القول بحمد المنجل الذي يحصد به »

(٢) قال الازهري وابن الاثير ان هذا الخبر لا يكاد يفهم اذا فرق أو بقرأنا اثباته هنا . روى البخاري في صحيحه ( المطبوعة اليونانية ج ٨ ص ٩١ ) عن أبي سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان اكثر ما أخف عليكم ما يخرج الله لكم من بركات الارض . قيل وما بركات الارض ؟ قاله زهرة الدنيا . فقال له رجل : هل يأتي الخير بالنسر ؟ فصدمت النبي صلى الله عليه وسلم حتى ظننا انه ينزل عليه . ثم جعل يمسح عن جبينه فقال : أين السائل ؟ قال : أنا . قال أبو سعيد لقد حمدناه حين طلع ذلك . قال : لا يأتي الخير الا بالخير ان هذا المال خضرة حلوة وان كل ما أنبت الربيع ما يقتل حبطا أو يلم الا آكلة الخضرة أكلت حتى اذا امتدت خاصرتها اذا استقبلت الشمس فلبترت وثلثت وبالت ثم عادت فأكلت ، وان هذا المال حلوة من أخذه بحقه ووضعه في حقه فتمم المونة هو ، ومن أخذه بغير حقه كان كالذي يأكل ولا يشبع . اه من كتاب الرقاق من البخاري (٣) انظر بعد « خطبة أبي بكر ومهده الى عمر رضي الله عنه »



ان أحمد هم أنو شروان « قال « فأى أخلاقه كان أغلب عليه ؟ » قال « الجلبم والأناة » فقال علي رضي الله عنه « هما توأمان يُنتَجِمُهُما علو الهمة » وقال « قيمة كل امرئ ما يُحْسِنُ » وقال « العلم قفْلٌ ومِفْتَاحُه المسئلة »  
 وكتب خالد بن الوليد الى مرزبة فارس « أما بعد فالحمد لله الذي فضّل خدمتكم وفرّق كلمتكم « والخدمة الحلقة المستديرة ولذلك قيل للخلائيل خدام وقال الحجاج « دلّوني على رجل سَمِين الأمانة »  
 ولما عقدت الرئاسة لعبد الله بن وهب الراسبي <sup>(١)</sup> على الخوارج أرادوه على السكلام فقال « لاخبر في الرأي الفطير <sup>(٢)</sup> » وقال « دَعُوا الرَّأْيَ يُغِيبُ <sup>(٣)</sup> »

وقال اعرابي في شكر نعمة « ذاك عنوان نعمة الله عز وجل » ووصفه اعرابي قوماً فقال « إذا اصطَفُوا سَفَرْتْ بينهم السهام وإذا تصافحوا بالسيوف قعد الحمام <sup>(٤)</sup> » وسئل اعرابي عن رجل فقال « صَفِرْت عِيَاب الوُدِّ بَيْنِي وبينه بعد امتلائها ، واكفهرت وجوه كانت بمائها <sup>(٥)</sup> » وقال آخر « من ركب

(١) من بني راسب بن مالك له ادراك وشهد فنوح العراق مع سعد بن أبي وقاص زمن عمر وكان مع علي في حروبه حتى وقع التحكيم وأنكرته الخوارج وأصرهوا عليهم عبد الله بن وهب وكان عجيباً في العبادة حتى لتب لكثرة عبادته وسجوده « ذا الثغفات » وقتل يوم النهروان . اهـ ، باختصار من الاصابة  
 (٢) الفطير ما أعجل عن ادراكه وانضجه

(٣) ينب بفتح الباء المشددة لا الضم والمعنى دعوا الرأي يمكث يوماً أو يومين حتى ينضج  
 (٤) سفرت السهام صارت كالسفرء وهي الرسل بين القوم لصلح أو غيره ، أي انهم حين يبرزون للحرب نسفراؤهم السهام . وحين يرى الموت سيوفهم بقعد ليستريح ، فسبوفهم موت آخر

(٥) صفرت : خلت . والعيايب جمع هيبة وهي ما تجمل فيه الثياب ، يريد بالعياب الصدور . واكفهر وجهه انقبض وكبح حتى ما يرى به أثر بشر أو فرح ، وأراد بقوله « بمائها » أي ماء البشر

ظَهَرَ الباطل نَزَلَ دَارَ النَّدَامَةِ « وقيل لرؤبة : كيف خلقت ما وراءك ؟ فقال  
« الترابُ يا بس ، والمالُ عابس »<sup>(١)</sup>

ومن البديع في الشعر طرق كثيرة قد نقلنا منها جملة لتستدل بها على  
ما بعدها ، فن ذلك قول امرئ القيس :

وقد أعتدي والطيرُ في وُكُنَاتِهَا      بمنجَرِدِ قَيْدِ الأوابِدِ هَيْكَلِ<sup>(٢)</sup>

قوله « قيد الاوابد » عندهم من البديع ومن الاستعارة ويروونه من الالفاظ  
الشريفة ، وعنى بذلك انه اذا أرسل هذا الفرس على الصيد صار قيدا لها ،  
وكانت بحالة المقيّد من جهة سرعة إحضاره . وابتدى به الناس واتبعه الشعراء  
فقيل : « قيدُ النواظر » و « قيدُ الالحاظ » و « قيد الكلام » و « قيد الحديث »  
و « قيد الرهان » وقال الأسود بن يعفر :

بِمُقَلَّصِ هَيْدِ جَهِيْزِ شَدِه      قيد الاوابد والرهان جواد<sup>(٣)</sup>  
وقال أبو تمام :

لها منظرُ قَيْدِ الأوابِدِ لم يَزَلْ      يروحُ ويغدو في خَفَّارَتِهِ الحُبُّ  
وقال آخر :

ألحاظه قَيْدُ عِيونِ الوُرَى      فليس طَرْفُ يَتَعَدَّاهُ  
وقال آخر :

قَيْدُ الحُسْنِ عليه الحَدَقَا

(١) الجملة الاولى أراد بها القحط ، وأراد بالثانية قلة المال وانه لا يؤاتي فهو عبوس  
الوجه قاطبه

(٢) وكناتها أوكرها . منجرد تصير الشعر وذلك فيه عتق . قيد الاوابد بقيد الاوابد  
وهي امير الوحشية والوحش بلعاقه اياها على سرعتها . الهيكَل العظيم الخلق

(٣) في الاصل المخطوط والمطبوع « عتر جهيز » بالراء نهاية في كليهما وهو خطأ .  
فرس مقلص طويل القوائم منضم البطن . عند بفتح أوله وثانيه أو كسره شديد تام الخلق  
سريع الوثبة معد للجري ليس فيه اضطراب ولا رخاوة . قال أبو عبيدة جهيز شده  
سريع العدو



وذكر الأصمعي وأبو عبيدة وحماد وقبلهم أبو عمرو أنه <sup>(١)</sup> أحسن في هذه اللفظة وأنه أتبع فيها فلم يلحق ، وذكره في باب الاستعارة البليغة ، وماها بعض أهل الصنعة باسم آخر ، وجعلوها من باب الازداف ، وهو أن يريد الشاعر دلالة على معنى فلا يأتي باللفظ الدال على ذلك المعنى بل بلفظ هو تابع له وردف . قالوا ومثله قوله <sup>(٢)</sup> :

نُومُ الضُّحَى لَمْ تَنْطِقْ عَنْ تَفْضُلِ

وانما أراد ترفهها بقوله « نُومُ الضُّحَى » ومن هذا الباب قول الشاعر :  
بعيدة مهوى القرط إما لنوفل أبوها وإما عبد شمس وهاشم  
وانما أراد أن يصف طول جيدها ، فأتى بردفه . ومن ذلك قول  
المرعي القيس :

وليل كموج البحر أرخى سدوله

وذلك من الاستعارة المليحة . ويجعلون من هذا القبيل ما قدمنا ذكره من القرآن (١٩ : ٤) « واشتعل الرأس شيبا » (١٧ : ٢٤) « واخفض لها جناح الذل من الرحمة » ، وما يعدونه من البديع التشبيه الحسن كقول  
المرعي القيس :

كأن عيون الوحش حول خباثنا وأرحلنا الجزع الذي لم يُثَقَّبِ <sup>(٣)</sup>  
وقوله :

كأن قلوب الطير رطباً ويابساً لدى وكرها العناب والحشف البالي  
واستبدعوا تشبيهه شيتين بشيتين على حسن تقسيم ويزعمون ان أحسن  
ما وجد في هذا للمحدثين قول بشار :

(١) يريد أصم القيس

(٢) هو أصم القيس أيضاً

(٣) الجزع الحرز الجاني وهو القدي فيه يياض وسواد

كَانَ مُثَارَ النَّعْرِ فَوْقَ رُووسِنَا وَأَسْيَافِنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبُهُ  
وقد سبق امرؤ القيس الى صحة التقسيم في التشبيه ، ولم يتمكن بشار إلا من  
تشبيهه احدي الجملتين بالأخرى دون صحة التقسيم والتفصيل . وكذلك عدوا  
من البديع قول امرئ القيس في أذني الفرس  
وَسَامِعَتَانِ يُعْرَفُ الْعِتْقُ فِيهَا كَسَامِعَتِي مَذْعُورَةٌ وَسَطَ رَبِّرَبِّ  
وانبعه طرفه فقال فيه :

وَسَامِعَتَانِ يُعْرَفُ الْعِتْقُ فِيهَا كَسَامِعَتِي شَاةٌ بِحَوْمَلٍ مُفْرَدٌ  
ومثله قول امرئ القيس في وصف الفرس :  
وَعَيْنَانِ كَالْمَاوِيَّتَيْنِ وَنَحْجَرٍ إِلَى سَنَدٍ مِثْلِ الصَّفِيحِ الْمُنْصَبِ (١)  
وقال طرفة في وصف عيني نائته :

وَعَيْنَانِ كَالْمَاوِيَّتَيْنِ اسْتَكْنَتَا بِكَمْ فِي حِجَابِي صَخْرَةٌ قَلْتِ مَوْرِدٍ (٢)  
ومن البديع في التشبيه قول امرئ القيس :

لَهُ أَيُّظًا ظِيْرٌ وَسَافًا نَعَامَةٌ وَارْحَاءٌ سَرْحَانٌ تَقْرِبُ تَقْمَلُ  
وذلك في تشبيهه أربعة أشياء بأربعة أشياء أحسن فيها (٣)

ومن التشبيه الحسن في القرآن قوله تعالى (٥٥ : ٢٤) « وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ » وقوله تعالى (٣٧ : ٤٩) « وَكَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ  
مَكْنُونٌ » ومواضع نذكرها بعد هذا

ومن البديع في الاستمارة قول امرئ القيس :

وَلَيْلٍ كَمَوْجِ الْبَحْرِ أَرْخَى سُدُوهَ عَلَى بَأْنَوَاعِ الْهُمُومِ لِيَتَلَى  
فَقَلْتُ لَهُ لِمَا نَطَلَى بِصُلْبِهِ وَأَرْدَفَ أَعْجَازًا وَنَاءَ بِكُلِّكِلْ

(١) الماوية المرأة . ويريد بالسند الحد

(٢) استكن اختبأ والحجاج منبت شعر الحاجب والقلت وقبة العين وأصله نقرة في الجبل تمسك للام

(٣) هي تشبيهه بكشحي الظبي اياه الى عبائهما ، وساقيه بساقي النعامة ، وعدوه وبدو النتب ،  
وانه يرفع يديه معا ويخلها معا كما يفعل ولد الثعلب ، يريد انه سريع الخطا صليب القوائم



وهذه كلها استعارات أتت بها في ذكر طول الليل . ومن ذلك قول النابغة :  
 وصدر أراحَ الليلُ عازبَ همِّه : تضاعف فيه الحزنُ من كل جانبِ  
 فاستعاره من اراحة الراعي ابله الى مواضعها التي تأوي اليها بالليل . وأخذ  
 منه ابن الدمينه فقال :

أقضيَ نهارى بالحديث وباللنى ويجمعنى والهمَّ والليلَ جامعاً<sup>(١)</sup>  
 ومن ذلك قول زهير :

صحا القلبُ عن ليلى وأقصرَ باطله وعُرِّيَ أفراس الصبا ورَواحلُه  
 ومن ذلك قول امرئ القيس :

هَمَّوتُ اليها بعدَ ما نام أهلها سَمُوَ حَبابُ الماءِ حالاً على حالِ  
 وأخذهُ أبو تمام فقال :

سَمُوَ عباب الماء جاشت غواربه

وانما أراد امرؤ القيس اخفاء شخصه . ومن ذلك قوله :

كأني وأصحابي على قرنٍ أغفراً

يريد أنهم غير مطمئنين

ومن ذلك ما كتب الى الحسن بن عبد الله بن سعيد قال : أخبرني أبي قال  
 أخبرنا عسل بن ذكوان ، أخبرنا أبو عثمان المازني قال : سمعت الأصمعي  
 يقول : أجمع أصحابنا أنه لم يُقل أحسن ولا أجمع من قول النابغة :  
 فإنك كالليل الذي هو مُدرِكِي وإن خلت أن أمنتأى عنك واسمُ  
 قال الحسن بن عبد الله : وأخبرنا محمد بن يحيى ، أخبرنا عون بن محمد  
 السكندي ، أخبرنا قعنب بن مُحَرِّز قال : سمعت الأصمعي يقول : سمعت

(١) كذا في الاصلين والذي يرويه القالي في اماليه :

أقضي نهارى بالحديث وباللنى ويجمعنى بالليل والهم جامع  
 من قصيدة لقيس بن ذريح . وقيل :

نهارى نهار الناس حتى اذا دجا لي الليل هزني اليك المضاجع



أبا عمرو يقول : كان زهير يمدح السُّوقَ ، ولو ضرب على أسفل قدميه مِثْمَا  
دَقَلَ (١) على أن يقول كقول النابغة :

فانك كالليل الذي هو مُدركي وان خلت أن المنتأى عنك واسع  
لما قل ، يريد أن سلطانه كالليل يصل الى كل مكان . واتبعه الفرزدق فقال :  
ولو حَمَلْتَنِي الرِّيحُ ثم طَلَبْتَنِي لَسَكَنْتُ كَشِيءٍ أَدْرَكْتَنِي مِقَادِرُهُ  
فلم يأت بالمعنى ولا اللفظ على ما سبق اليه النابغة ثم أخذه الأخطل فقال :

وان أمير المؤمنين وفعله اسكالدهر لا عار بما فعل الدهر  
وقد روي نحو هذا عن النبي ﷺ « نصرت بالرعب وجعل رزقي تحت ظل  
رحمي وليدخلن هذا الدين على ما دخل عليه الليل » وأخذه علي بن [ جبلة ] (٢) فقال :

وما لامريء حاولته عنك مهربٌ ولو كان في جوف السماء المطالع  
بلى هارب لا يهتدي لمكانه ظلام ولا ضوء من الصبح طالع  
ومثله قول سلم الخاسر :

فأنت كالدهر مبشوناً بجائله والدهر لا ملجأ منه ولا هرب  
ولو ملكتُ عنان الرِّيحِ أصرفه في كل ناحية ما فاتك الطلب  
فأخذه البحترى فقال :

ولو أنهم ركبوا السكواكب لم يكن ينجيهم عن خوف بأسك مهرب  
ومن بديع الاستعارة قول زهير :  
فلما وردن الماء زُرُوقاً جهامه وضعن عصي الحاضر المتخيم  
وقول الأعشى :

(١) هنا بالأصل الخطي زيادة كلمة [ صى ] هكذا بلا اعجام ولعلها صني . والصني : الصياح ، أي

يسمع لهذا الضرب صوت الصياح .

(٢) بالأصل يابض يتسع لكامة واحدة ، وقد اكملناه من معاهد التصييص ، ورؤايه المعاهد :

وما لامريء حاولته منك مهرب ولو رفعت في السماء المطالع

وبعد البيت الثاني كرواية المؤلف ثم قال : « واكثر الادباء يرجحه على بيت النابغة »

وان عتاق العيس سوف يزورك  
ومنه أخذ نصيب فقال :

فعاجوا فاثروا بالذي أنت أهله  
ومن ذلك قول تأبط شرا :

فخالط سهل الأرض لم يكده الصفا به كدحةً والموت خزيان ينظر

ومن الاستعارة في القرآن كثير كقوله (٤٣ : ٤٤) « وانه لذكر لك

وتقومك » يريد ما يكون الذر عنه شرفا . وقوله (١ : ١٣٨) : « صبغة الله

ومن أحسن من الله صبغة » قيل دين الله أراد وقوله (١ : ١٦) : « اشتروا

الضلالة بالهدى ، فما ربحت تجارتهم »

ومن البديع عندهم الغلو<sup>(١)</sup> : كقول النمر بن تولب

أبقى الحوادث والأيام من نمر  
تظل تحفر عنه ان ضربت به

بعد الذراعين والقيدين والهادي<sup>(٢)</sup>

و كقول النابغة :

تقد السلوقي المضاعف نسجه  
ويوقدن بالضفاح نار الخبايب

و كقول عنتره :

فازور من وقع القنا بلبانه  
وشكا الى بهرة وتحمحم

و كقول أبي تمام :

لو يعلم الركن من قد جاء يلتمه  
لخر يلتم منه موطن القدم

و كقول البحجري :

(١) الغلو : ادغال ، بلوغ وصف في الشدة او الضعف حدا يستحيل ان يصدق العقل او يدعن له

العرف . ولا يقبل منه عند الادباء الا ما اقترن به شيء يقربه من الصحة او تضمن حسن تخييل او ما

خرج مخرج الخلاعة . وتفصيل هذه الاشياء في مظانها من كتب البلاغة

(٢) الرواية في غير هذا الكتاب :

ابقى الحوادث والايام من نمر  
تظل تحفر عنه الارض مندفا

اسباب سيف كريم اثره بادي  
بعد الذراعين والقيدين والهادي



ولوان مشتاقا تكاف فوق ما في وسعه ، لمشى اليك المنبر  
ومن هذا الجنس في القرآن ( ٥٠ : ٣٠ ) : « يوم نقول لجهنم هل امتلأت  
وتقول هل من مزيد » وقوله ( ٢٥ : ١٢ ) : « اذا رأهم من مكان بعيد سمعوا لها  
تغيظا وزفيرا » وقوله ( ٦٧ : ١ ) : « تكاد تميز من الغيظ »  
ومما يمدونه من البديع المائلة وهو ضرب من الاستعارة وذلك أن يقصد  
الإشارة الى معنى فيضع ألفاظا تدل عليه وذلك المعنى بألفاظه مثال للمعنى الذي  
قصد الإشارة اليه <sup>(١)</sup> نظيره من المنثور أن يزيد بن الوليد بلغه أن مروان بن  
محمد يتلكأ عن بيعته فكتب اليه « أما بعد فاني أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى  
فاعتمد على أيهما شئت » وكنحو ما كتب به الحجاج الى المهلب « فان أنت  
فعلت ذلك والاشرعت اليك الريح » فأجابه المهلب « فان أشرع الامير  
الريح قلبت اليه ظهر الجن » وكقول زهير :

ومن يعص أطراف الزجاج فانه يطيع العوالى ركبت كل لهدم  
وكقول امرئ القيس :

وما بذرت عينك الا لتضربني بسهميك في أعشار قلب مقتل  
وكقول عمر بن معدى كرب :

فلو أن قومي أنطقني رماحهم نطقت ، ولكن الرماح أجزت  
وكقول القائل :

بني عنالاند كروا الشعر بعدما دفنتم بصحراء الغمير القوافيا  
وكقول الآخر :

أقول وقد شدوا لساني بنسعة أمعشر تيم أطلقوا عن لساني

(١) كذلك فرها ابو هلال العسكري وهو غير المعنى الذي اصطلاح عليه المتأخرون حيث فسروها  
بان تتائل الفاظ الكلام او بعضها في الوزن دون التلفية ، كقول امرئ القيس :  
كأن للدمام وصبو الغمام وريح الخزامى ونشر القطر  
وكقول ابن حمديس :

على قرب عنالي وفقد اجتي وامواه اجفاني ونيران اضلعي

ومن هذا الباب في القرآن كقوله ( ١ : ١٧٥ ) : « فما أصبرهم على النار »  
وكقوله ( ٤ : ٧٤ ) : « وثيابك فطهر » قال الاصمعي : أراد البدن قال : وتقول  
العرب « فدي لك نويامي » يريد نفسه ، وأنشد :

ألا أبلغ أبا حفص رسولا فدي لك من أخي ثقة ازارى  
ويرون من البديع أيضا ما يسمونه المطابقة ، وأكثرهم على أن معناها أن  
يذكر الشيء وضده كالليل والنهار ، والسواد والبياض ، واليه ذهب الخليل بن  
أحمد والاصمعي ومن المتأخرين عبد الله بن المعتز وذو كرا بن المعتز من نظائره من  
المنثور ما قاله بعضهم : « أتيناك لتسلك بنا سبيل التوسع فأدخلتنا في ضيق  
الضمان » ونظيره من القرآن ( ١ : ١٧٩ ) : « واسكنم في القصاص حياة » وقوله ( ٣٠ : ١٩ ) :  
« يُخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي » وقوله ( ٢٢ : ٦١ ) :  
« يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل » <sup>(١)</sup> ومثله كثير جدا ، وكقول  
النبي ﷺ للانصار « انكم تكثرون عند الفروع وتقلون عند الطمع » وقال  
آخرون : بل المطابقة أن يشترك معنيان بلفظة واحدة ، واليه ذهب قدامة بن  
جعفر الكاتب ، فمن ذلك قول الافوه الاودي :

وأقطع المهوجل مستأنسا بهوجل مستأنس عنتريس  
عنى بالهوجل الاول الارض وبالثنائي الناقة . ومثله قول زياد الاعجم :  
وُنبتهم يستنظرون بكاهل ولوم فيهم كاهل وسنمام  
ومثله قول أبي دواد :

عهدت لها منزلا دائرا وآلا على الماء يحملن آلا  
فالآل الاول أعمدة الخيام تنصب على البئر للستى ، والآل الثاني السراب ؛  
وليس عنده قول من قال : المطابقة إنما تكون بأجماع الشيء وضده بشيء ،  
ومن المعنى الأول قول الشاعر :

(١) وفي ( ٣٥ : ١٣ ) و ( ٥٧ : ٦ ) و ( ٣١ : ٢٩ )



أهين هم نفسي لا كرمها بهم وان تُكرم النفس التي لا تُهينها  
ومثله قول امرئ القيس :

وتردى على صم صلاب مَلَا طس  
شديدات عقد لِيناتِ مِتان  
وكقول النابغة :

ولا يحسبون الخير لاشر بعده  
ولا يحسبون الشر ضربة لازب  
وكقول زهير وقد جمع فيه طباقين :

بعزيمة مأمور مُطيعٍ وأمرٍ  
مطاع ، فلا يُلقى لخرمهم مثل  
وكقول الفرزدق :

والشيب ينهض في الشباب كأنه  
ليل يصيح بجانيبه نهار  
ومما قيل فيه ثلاث تطبيقات قول جرير :

وباسطٍ خير فيكمُ يمينه  
وقابض شر عنكمُ بشمالها  
وكقول رجل من بلعنبر :

يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة  
ومن اساءة أهل السوء احسانه  
وروى عن الحسن بن علي رضي الله عنهما أنه مثل بقول القائل :

فلا الجود يُفنى المال والجُدُّ مقبل  
ولا البخل يُبقى المال والجُدُّ مدبر  
وكقول الآخر :

فسرى كاعلاني وتلك سحجتي  
وظلمة ليلى مثل ضوء نهاريا  
وكقول قيس بن الخطيم :

إذا أنت لم تنفع فصر ، فانما  
يرجى الفتى كما يضر وينفعا  
وكقول السموأل :

وما ضرنا انا قليل وجارنا  
عزيز وجار الا كثيرين ذليل  
فهذا باب يرويه من البديع

وباب آخر وهو التجنيس ومعنى ذلك أن تأتي بكلمتين متجانستين : فمنه  
 ما تكون الكلمة تجانس الاخرى في تأليف حروفها واليه ذهب نخليل ، ومنهم  
 من زعم أن المجانسة أن تشترك اللفظتان على جهة الاشتقاق ، كقوله عز وجل  
 ( ٣٠ : ٤٢ ) « فاقم وجهك للدين القيم » وكقوله ( ٢٧ : ٤٤ ) « وأسألتُ مع  
 سليمان » وكقوله ( ١٢ : ٨٤ ) « يَا سَافِرِ عَلَى يَوْمِ سَفَرٍ » وكقوله ( ٦ : ٨٢ ) :  
 « الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبَسُوا إِيمَانَهُمْ بَظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْاَمْنُ » وكقوله ( ٦ : ٢٦ )  
 « وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ » وكقول النبي ﷺ « أسلم سألها الله وغفر  
 غفر الله لها وعصية عصت الله ورسوله » وكقوله « الظلم ظلمات يوم القيامة »  
 وقوله « لا يكون ذو الوجهين وجيها عند الله » وكتب بعض الكتاب « العذر  
 مع المتعذر واجب فرأيتك فيه » وقال معاوية لابن عباس : مالكم يا بني هاشم  
 تصابون في أبصاركم ؟ فقال : كما تصابون في بصائرهم . وقال عمر بن الخطاب رضي  
 الله عنه « هاجروا ولا تمجروا » ومن ذلك قول قيس بن عاصم :

ونحن حفزنا الحوفزان بطعنة كسمة نجيعا من دم الجوف أشكلا

وقل آخر : أملَ عليها بالبلى الملوان

وقال الآخر :

وذاكم أن ذل الجار حالفكم وأن أنفكم لا نعرف إلا أنفا

وكتب الى بعض مشايخنا قال : أنشدنا الاخفش عن المبرد عن التوزي :

وقالوا حمامات فحمم لقاءها وطلح فزيرت والمطى طلوح

عقاب بأعقاب من النأى بعدما جرت نية تنسى المحب طروح

وقال صحابي هدهد فوق بانه هدى وبيان بالنجاح يلوح

وقالوا دم دامت موثيق عهدده ودام لنا حسن الصفاء صريح

وقال آخر :



أقبلن من مصر يبارين البرى

وقال القطامي :

ولما ردها في الشول شالت بديال يكون لها لفاعا  
وقد يكون النجنيس بزيادة حرف أو ما يقارب ذلك<sup>(١)</sup> ، كقول البحترى  
هل لما فات من تلاف تلاف أم لشاك من الصبابة شاف<sup>(٢)</sup>  
وقل ابن مقبل :

يمشبن هيل النقا مالت جوانبه ينهال حيناً وينهال الثرى حيناً  
وقال زهير :

هم يضربون حبيك البيض اذ لحقوا لا ينكفون اذا ما استلجموا وحوا  
ومن ذلك قول أبي تمام :

بدون من أيد عواص عواصم تصول بأسياف قواض قواضب  
وأبو نواس يقصد في مصر عسى مقدمات شعره هذا الباب كقوله :  
ألا دارها بالماء حتى تليئها فلن تكرم الصبابة حتى تهينها  
وكذلك قوله :

ديار نوار ما ديار نوار كسوتك شجواً هن منه عوار  
وكقول ابن المعتز :

سأنتى على عهد المطيرة والقمصر وأدعوها بالساكين وبالقطر  
وكقوله :

هى الدار الا أنها منهم قفر وأني بها ناور وانهم سمقر  
وكقوله :

اللاماني حديث يقر ويسوء الدهر من قـ يسر

(١) يريد بما يقاربه ان يكون حرف مكان حرف كما سيذكر من الامثلة

(٢) محل الاستشهاد في بيت البحترى الشطر الثاني ، فاما الاول فدخل في معنى النجنيس الاول

وكقول المتنبي :

وقد أراني الشبابُ الرُّوحَ في بدني      وقد أراني المشيبُ الروحَ في بدلي  
وقد قيل ان من هذا القبيل قوله عز وجل ( ٢١ : ٣٧ ) « خلق الانسان  
من عجل سأريكم آياتي فلا تستعجلون » وقوله ( ٣٩ : ١٤ - ١٥ ) ( قل الله أعبد  
مخلصا له ديني فاعبدوا ما شئتم من دونه »  
ويعدون من البديع المقابلة وهي أن يوفق بين معانٍ وانظارها والمضاد  
بضده وذلك مثل قول النابغة الجعدي :

فتى تمّ فيه مايسر صديقه      على ان فيه مايسوء الأعدايا  
وقال تأبط شرا :

أهز به في ندوة الحى عطفه      كماهز عطفي بالهجان الاوارك  
وكقول الآخر :

واذا حديث ساءني لم أكتئب      واذا حديث سرّني لم أمرر  
وكقول الآخر :

وذى اخوة قطعت أقران بينهم      كما تركوني واحدا لا أخاليا  
ونظيره من القرآن ( ١٦ : ٥٣ - ٥٤ ) . « ثم اذا مضى الضر فاليه  
تجارون . ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم يرمهم يشركون »  
ويعدون من البديع الموازنة <sup>(١)</sup> وذلك كقول بعضهم : اصبر على حر اللقا  
ومضض النزال وشدة المصارع <sup>(٢)</sup> وكقول امرئ القيس :

سايح الشظاعبل الشوى شنجج "المسا

(١) الموازنة : تساوى الفاصلتين في الوزن دون التنقية نحو : ( ومارق مصفوفة ، وزرابي مبثوثة )  
وكقول امرئ القيس :

اناد فساد ، وقاد فزاد      وساد فجاد ، وعاد فافضل  
وهي تشبه بالمائلة التي سلف ذكرها ، والفرق بينهما دقيق  
(٢) في النسخة الخطية « المصاع »



ونظيره من القرآن ( ٨٥ : ١ - ٣ ) « والسما ذات البروج . واليوم الموعود  
وشاهد ومشهود »

ويعدون من البديع المساواة وهي أن يكون اللفظ مساوياً للمعنى لا يزيد  
عليه ولا ينقص عنه وذلك يعدّ من البلاغة وذلك كقول زهير :

ومهما تكن عند امرئ من خليفة وان خالها تخفى على الناس تعلم  
وكقول جرير :

فلو شاء قومي كان حلبيّ فيهم<sup>(١)</sup> وكان على جهال أعدائهم جهلي<sup>(١)</sup>  
وكقول الآخر :

إذا أنت لم تقصر عن الجهل وانحنا أصبت حلبياً أو أصابك جاهل  
وكقول الهذلي :

فلا نجزعن من سنة أنت سرتها وأول راض سيرة من يسيرها  
وكقول الآخر :

فإن هم طاعوك فطاعوهم وان عاصوك فاعصى من عصاك  
ونظير ذلك في القرآن كثير

ومما يعدّونه من البديع الإشارة وهو اشتمال اللفظ القليل على المعاني  
الكثيرة . وقال بعضهم في وصف البلاغة لمحّة دالة<sup>(٢)</sup> . ومن ذلك قول طرفة :

فظل لنا يوم لزيد بنعمة فقل في مقيل نحسه متغيّب  
وكقول زيد الخليل :

فخبية من يخيب على غنى وباهلة بن أعصر والرباب

ونظيره من القرآن ( ١٣ : ٣١ ) « ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو  
قطعت به الأرض أو كلم به المونى » ومواضع كثيرة

ويعدون من البديع المبالغة والغلو<sup>(٣)</sup> والمبالغة تأكيد معاني القول وذلك

(١) في النسخة الخطية ، وكان على أعداء جهلم جهلي ، ولعله سهو من الناسخ

(٢) نسبة ابن رشيق لخلف الأحمر

(٣) قد تقدم له ذكر الغلو ، وشرحنا معناه عندئذ

كقول الشاعر :

ونكرم جارنا ما كان فينا      وننبهه السكرامة حيث مالا  
ومن ذلك قول الآخر :

وهم تركوك أسلح من حباري      رأيت صقراً وأشرداً من نعم  
فقوله رأيت صقراً مبالغة . ومن الغلو قول أبي نواس :

توهمتني في كأسها فكأنما      توهمت شيئاً ليس يدركه العقل  
فما يرتقي التكيف فيها إلى مدى      يحمد به إلا ومن قبله قبل  
وقول زهير :

لو كان يقع فوق الشمس من كرم      قوم بأولهم أو مجدهم قصدوا  
وكقول النابغة :

بلغنا السماء مجدنا وسناؤنا      وأنا لارجو فوق ذلك مظهرا  
وكقول الخنساء :

وما بلغت كف امرئ متناول      بها المجد إلا حينما نلت أطول  
وما بلغ المهدون في القول مدحة      وإن أطنبوا إلا الذي فيك أفضل  
وقول الآخر :

له هم لا منتهى لكبارها      وهمته الصغرى أجل من الدهر  
له راحة لو أن معشار جودها      على البرصار البرأ ندى من البحر  
ويرون من البديع الأيغال<sup>(١)</sup> في الشعر خاصة فلا يطلب مثله في القرآن  
إلا في الفواصل كقول امرئ القيس :

كأن عيون الوحش حول خبائنا      وأرحلنا الجزع الذي لم ينقب  
وقد أوغل بالقافية في الوصف وأكد التشبيه لها والمعنى قد يستقل دونها

(١) الأيغال : أن يستوفى معنى الكلام قبل البلوغ إلى مقطعه ثم يأتي بالمقطع فيزيد معنى آخر يزيد

به وضوحاً وشرحاً وتوكيداً وحسناً

ومن البديع عندهم التوشيح وهو أن يشيد أوّل البيت بقافيته وأوّل الكلام بآخره كقول البحرني :

فليس الذي حلته بحلّل وليس الذي حرّمته بحرام  
ومثله في القرآن (٥ : ٣٩) « فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإن الله يقوب عليه »

ومن ذلك رد عجز الكلام على صدره كقول الله عز وجل (١٧ : ٢١)  
« انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا »  
وكقوله (٢٠ : ٦١) : « لا تقفوا على الله كذباً فيسحقكم بعذاب وقد خاب من اقتري » . ومن هذا الباب قول القائل :

وان لم يكن إلا تملّل ساعة قليلا فاني نافع لي قليلا  
وكقول جرير :

سقى الرمل جون مستهل غمامه وما ذاك إلا حب من حل بالرمل  
وكقول الآخر :

يودّ الفتى طول السلامة والغنى فكيف يرى طول السلامة يفعل  
وكقول أبي صخر الهذلي :

عجبت لسعي الدهر بيني وبينها فلما انقضى ما بيننا سكن الدهر  
وكقول الآخر :

أصدّ بأبيدي العيس عن قصد أرضها وقلبي اليها بالموذّة قاصد  
وكقول عمرو بن معدى كرب :

إذا لم تستطع شيئاً فدعه وجاوزه الى ما تستطيع

ومن البديع صحة التقسيم<sup>(١)</sup> ومن ذلك قول نصيب :

(١) التقسيم الصحيح ان تقسم الكلام قسمة مستوية تحتوى على جميع انواعه ولا يخرج منها جنس من اجناسه . فمن ذلك قول الله تعالى ( هو الذي يرثكم البرق خوفاً وطمعاً ) وهذا احسن تقسيم لان الناس عند رؤية البرق بين خائف وطماع



فقال فريق القوم لا وفريقهم نعم وفريق قال ويحك ما يدري  
وليس في أقسام الجواب أكثر من هذا . وكقول الآخر :

فكأنما فيه نهار ساطع وكأنه ليل عليها مظلم  
وقول المفنم الكندي :

وان يأكلوا لحمي وفرت لحومهم<sup>(١)</sup> وان يهدموا مجدي بنيت لهم مجددا  
وان ضيعوا غيبي حفظت غيوبهم وان هم هووا غيبي هويت لهم رشدا  
وان زجروا طيراً بنحس تمر بي زجرت لهم طيراً تمر بهم سعدا  
و كقول عروة بن حزام :

بن لوأراه غائباً لفديته ومن لو رأني غائباً لفداني

ونحوه قول الله عز وجل ( ١ : ٢٥٧ ) « الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من  
الظلمات الى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور  
الى الظلمات »

ونحوه صحة التفسير ، كقول الفائل :

ولى فرس للحلم بالحلم ملجم ولى فرس للجهل بالجهل مسرج  
ومن البديع التكميل والتميم<sup>(٢)</sup> كقول نافع بن خليفة :

رجال اذا لم يقبلوا الحق منهم ويعطوه عادوا بالسيوف القواطع  
وانما تم جودة المعنى بقوله ويعطوه وذلك كقول الله عز وجل ( ٣١ : ٣٤ )  
« ان الله عنده علم الساعة » الى آخر الآية . ثم قال : « ان الله علم خبير »  
ومن البديع الترصيم<sup>(٣)</sup> وذلك من ألوان منها قول امرئ القيس :

( ١ ) الرواية : فان اكلوا لحمي وفرت لحومهم

( ٢ ) هو ان توفى المعنى حفظه من الجودة و تعطيه نصيبه من الصحة ، \* لا تنادر معنى يكون فيه

تلمحه الا تورده او افظلا يكون فيه توكيده الا تذكره

( ٣ ) الترصيم : ان يكون حشو البيت مسجوعا ، وهو انواع وضروب

محش محش مقبل مدير معا كتميس طباء الحلب في العدوان<sup>(١)</sup>  
ومن ذلك كثير من مقدمات أبي نواس

يامنة امتها السكر ما ينقضى مني لها السكر  
و كقوله وقد ذكرناه قبل هذا :

ديار نوار ما ديار نوار كسونك شجوا هن منه عوار  
ومن ذلك الترصيع مع التجنيس كقول ابن المعتز :

ألم تجزع على الربع المحيل وأطلال وآثار محول

ونظيره من القرآن كقوله : ( ٧ : ٢٠١ - ٢٠٢ ) « ان الذين اتقوا اذا

مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون واخوانهم يدعونهم في النغي

ثم لا يقصرون » وقوله ( ٦٨ : ٢ - ٣ ) : « ما أنت بنعمة ربك بمجنون وان

لك لأجراً غير ممنون » و كقوله ( ١٠٠ : ٧ - ٨ ) « وانه على ذلك شهيد وانه

حب الخير لشديد » و كقوله ( ٥٢ : ١ - ٢ ) : « والطور . وكتاب مسطور »

وقوله ( ٧٩ : ٣ - ٤ ) : « والسابحات سبحاً . فالسابتات سبحاً » وقد أولع

الشعراء بنحو هذا فأكثر وافية ومنهم من امتنع بالترصيع في بعض أطراف

السلام ومنهم من بني كلامه عليه كقول ابن الرومي :

أبدانهم وما لبس ن من الحرير معاً حرير

أردانهم وما مسس ن من العبير معاً عبير

و كقوله :

فلاهب أن لا يربب أمانه ولراغب أن لا يريث نجاحه

ومما يقارب الترصيع ضرب يسمى المضارعة وذلك كقول الخنساء :

حامي الخقيبة محمود الخليفة مه دي الطريقة نفاع وضرار

( ١ ) هذه رواية البيت في اصول الكتاب ، وفي شعر امرئ القيس مكر مفر الخ ، والحلب : بقلة  
تأكلها الوحش فتضم عليها يطونها وقال القتيبي هو نبات تعاده الطيار يخرج منه ما يشبه اللبن لنا قطع وانما  
سعى الحلب لتجابه ، والعدوان : المرع



جواب قاصية جزاز ناصية عقاد أولية للخيل جرار  
ومن البديع باب التكافؤ ، وذلك قريب من المطابقة ، كقول المنصور :  
« لا تخرجوا من عز الطاعة الى ذل المعصية » وقول عمر بن ذر : « انما لم نجد لك  
اذ عصيت الله فينا خيراً من أن نطيع الله فيك » ومنه قول بشار :

إذا أيقظتكَ حروب العدا فنبه لها مُعمرًا ثم نم

ومن البديع باب التعطف ؛ كقول امرئ القيس :

عود على عود على عود خلق

وقد تقدم مثاله

ومن البديع السلب والایجاب ، كقول القائل :

ونكر ان شئنا على الناس قولهم ولا ينكرون القول حين نقول

ومن البديع السكناية والتعريض ، كقول القائل :

وأحر كالدياج أما مماءه فرياً وأما أرضه فمحول

ومن هذا الباب لحن القول

ومن ذلك العكس والتبديل ، كقول الحسن : « ان من خوفك لتأمن  
خير ممن أمتك لتخاف » و كقوله : « اللهم أغنى بالفقر اليك ولا تفقرني  
بالاستغناء عنك » و كقوله : « بع دنياك بأخرتك تربحها جميعاً ، ولا تبع  
آخرتك بدنياك فتخسرهما جميعاً » و كقول القائل :

وإذا الدر زان حسن وجوه كان للدر حسن وجهك زينا

وقد يدخل في هذا ألباب قوله تعالى (٢٢ : ٦١) : « يولج الليل في  
النهار ويولج النهار في الليل » . ومن البديع الانتفات ، فن ذلك ما كتب الى  
الحسن بن عبد الله العسكري ، أخبرنا محمد بن عبد الله الصولي ، حدثني يحيى  
ابن علي المنجم عن أبيه عن اسحاق بن ابراهيم قال : قال لي الأصمعي : أتعرف  
الانتفاتات جرير ؟ قلت : لا ، فما هي ؟ قال :



أنسى إذ قودنا سليمي بفرع بشامة ؤسقى البشام  
ومثل ذلك الجرير :

مقى كان الخيام بندي طلوح سقيت الغيث أيتها الخيام  
ومعنى الالتفات أن أنه اعترض في الكلام قوله « سقيت الغيث » ولو لم  
يعترض لم يكن ذلك انتفاً و كان الكلام منتظماً و كان يقول « مقى كل الخيام  
بندي طلوح أيتها الخيام » فقضى خرج عن الكلام الأول ثم رجع إليه على وجه  
يلطف كان ذلك انتفاً . ومثله قول النابغة الجعدي :

ألا زعمت بنو سعد بأني - ألا كذبوا - كبير السن فاني  
ومثله قول كثير :

لو أن الباذلين ، وأنت منهم ، رأوك تعلموا منك المصلا  
ومثله قول أبي تمام :

وأنجدتم من بعد اتهام داركم فيادمع أنجدني على سا كني نجد  
و كقول جرير :

طرب الحمام بندي الأراك فشاقي لا زلت في غلل وأبك نضري  
التفت الى الحمام فدعاهما ، ومثله قول حسان :

ان التي ناولتني فردتها 'قتلت' قتلت فهاتها لم تقتل  
ومنه قول عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر :  
وأجمل إذا ما كنت لا بد ما لنا وقد بنع الشيء الفتي وهو مجمل  
و كقول ابن ميادة :

فلا صرمة يبدو وفي اليأس راحة ولا وصله يصفو لنا فنكارمه  
ونظير ذلك من القرآن ما حكى الله تعالى عن ابراهيم الخليل من قوله

( ٢٩ : ١٦ - ٢٤ ) : « اعبدوا الله واتقوه ذاكم خير لكم ان كنتم تعلمون .  
انما تعبدون من دون الله اوثاناً و تخلقون أفكاً - الى قوله - فما كان جواب قومه »

وقوله عز وجل ( ١٤ : ٢٠ - ٢١ ) : « ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز . وبرزوا لله جميعا » ومثله قوله ( ١٠ : ٢٢ ) : « حتى اذا كنتم في الفلك وجرين ٣٣ . بريح طيبة » الى آخر الآية . ومثله قوله ( ٧ : ١٧٥ - ١٧٦ ) : « وائل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها - الى قوله - فثأله كمثل السكاب ان نحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث » ومثله قوله ( ٥ : ٣٨ - ٣٩ ) : « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديها جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم . فمن تاب من بعد ظلمه »

ومنهم من لا يمد الاعتراض والرجوع من هذا الباب ، ومنهم من يفردده عنه كقول زهير :

قف بالديار التي لم يعنّها القدم نعم وغيرها الأرواح والديم (١)  
و كقول الاعرابي :

أليس قليلا نظرة ان نظرتها اليك ، وكلا ليس منك قليل  
و كقول ابن هرمة :

ليت حظي كحظّة العين منها وكثير منها القليل المهنا  
ومن الرجوع قول الفائل :

بكلّ قداوينا فلم يشف ما بنا على ان قرب الدار خير من البعد (٢)  
وقال الاعشى :

صرمت ولم أصرمك وكصارم أخ قد طوى كشحا وآب ليندها  
و كقول بشار :

لى حيلة فيمن يئم وليس في الكذاب حيلة  
من كان يخلق ما بقو ل فخيلتي فيه قليله

( ١ ) كذا في النسختين : « نعم ، وغيرها الخ ، وهو اجود وعليه يتم الاستشهاد ويمكن

( ٢ ) في الخطبة : « ولم يشف » بالنون الموحدة ، والذي في ديوان ابن النسيمه يطابق ما اثبتناه باليه

المتناة والعمل مبني للمجهول



وقال آخر:

وما بي انتصار ان غدا الدهر ظلمي عليّ بلى ان كان من عندك النصر  
وباب آخر من البديع بسمى التذييل ، وهو ضرب من التأكيذ وهو ضد  
ما قدمنا ذكره من الاشارة ، كقول أبي دواد :

اذا ما عقدنا له ذمة شددنا العناج وعقد الكرب  
وأخذه الحطيئة فقال :

فدعوا نزال فكنت أول نازل وعلام أركبه اذا لم أنزل  
و كقول جرير :

لقد كنت فيها يا فرزدق تابماً وريش الذنابي تابع للقوام  
ومثله قوله عز وجل ( ٢٨ : ٤ - ٨ ) : « ان فرعون علا في الأرض وجعل  
أهلها شيعة » . الى قوله : « انه كان من المفسدين وزريد أن من على الذين  
استضعفوا في الأرض ويجعلهم أئمة ويجعلهم الوارثين - الى قوله - كانوا خاطئين »  
وباب من البديع يسمى الاستطراد فن ذلك ما كتب الى الحسن بن عبد  
الله قال أنشدني أبو بكر بن دريد قال أنشدنا أبو حاتم عن أبي عبيدة الحسان بن  
ثابت رضي الله تعالى عنه :

ان كنت كاذبة التي حدثتني فنجوت منجى الحارث بن هشام  
ترك الاحبية لم يقاتل دونهم ورمى برأس طيرة وجام (١)  
و كقول السموأل :

وانا لقوم لانرى القتل سبباً اذا ما رأته عامر وسلول  
و كقول الآخر :

خليلي من كعب أعينا أخا كما على دهره ان الكرم معين  
ولا تبخلا يحل ابن قرعة انه مخافة أن يرجي نراه حزين

(١) كذا بالاصلين : « لم يقاتل » الخ . والذي في ديوان حسان : « ترك الاحبية أن يقاتل دونهم »



و كقول الآخر :

فأذّر قرن الشمس حتى كأننا من العي نحكي أحمد بن هشام

و كقول زهير :

ان البغيل ملوم حيث كان وا' كمن الجواد على علاته هرم

وفما كتب الى الحسن بن عبد الله قال : أخبرني محمد بن يحيى ، حدثني

محمد بن علي الأباري ، قال : سمعت البحري يقول : أنشدني أبو تمام لنفسه :

وسابح هطل التعداء هتان على الجراء أمين غير خوان

أظمي الفصوص ولم تظاً قوائمه فجل عينك في ريان ظمان

ولو تراه مشيحاً والحصى فلقى بين السنايك من مثني ووحدان

أيقنت - ان لم تثبت - أن حافره من صخر تدمر أو من وجه عمان

وقال لي : ما هذا من الشعر ؟ قلت : لأدري . قال : هذا المستطرد ، أو

قال : الاستطراد ، قلت : وما معنى ذلك ؟ قال : يرى أنه يصف الفرس ويريد

هجاء عمان ، فقال : وقال البحري :

ما ان يعاف قذى ولو أوردته يوما خلايق حمدويه الاحول

قال : فقيل للبحري : انك أخذت هذا من أبي تمام ، فقال ما يعاب علي

ان آخذ منه وأتبعه فيما يقول . ومن هذا الباب قول أبي تمام :

صب الفراق علينا صب من كتبنا عليه اسحق يوم الزوع منتقما

ومنه قول السري الرفاء :

نزع الوشاة لنا بسهم قطيعة برمي بسهم الحين من يرمي به

ليت الزمان أصاب حب قلوبهم بقنا ابن عبد الله أو بحرابه

و نظيره من القرآن ( ١٦ : ٤٨ - ٤٩ ) : « أولم يروا الى ما خلق الله من

شيء يتفيؤ ظلاله عن اليمين والشمال سجداً لله وهم داخرون والله يسجد ما في

السموات وما في الارض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون » كأنه كان

المراد أن يجري بالقول الاول الى الاخبار عن ان كل شيء يسجد لله عز وجل  
وان كان ابتداء الكلام في أمر خاص

ومن البديع عندهم التكرار كقول الشاعر:

هلا سألت جموع كذا مدة يوم ولو أن أين  
وكقول الآخر:

وكانت فزارة تصلي بنا فأرلى فزارة أولى لها

ونظيره من القرآن (٩٤ : ٥ - ٦) « فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا » والتكرار في قوله (١٠٩ : ١) « قل يا أيها الكافرون » وهذا فيه معنى زائد على التكرار لانه يفيد الاخبار عن الغيب . ومن البديع عندهم ضرب من الاستثناء<sup>(١)</sup> كقول النابغة :

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب  
وكقول النابغة الجعدي :

فتى كملت أخلاقه غير أنه حواد فلا يبتغي من المال بقيا  
فتى تم فيه مايسر صديقه على ان فيه ما يسوء الاعاديا  
وكقول الآخر :

حليم اذا ما الحلم زين أهله مع الحلم في عين العدو مهيب  
وكقول أبي تمام :

تنصل ربها من غير جرم اليك صوى النصيحة والوداد  
ووجه البديع كثيرة جدا فقتصرنا على ذكر بعضها ونهنا بذلك على  
مالم نذكر كراهة التطويل ، فليس الغرض ذكر جميع أبواب البديع  
وقد قدر مقدرون أنه يمكن الاستفادة اعجاز القرآن من هذه الابواب التي  
تقلناها وان ذلك مما يمكن الاستدلال به عليه ، وليس كذلك عندنا ، لان



هذه الوجوه اذا وقع التنبيه عليها أمكن التوصل اليها بالتدرب والتعود والتصنع لها ، وذلك كالشعر الذي اذا عرف الانسان طريقه صح منه التعامل له وأمكنه نظمه ، والوجوه التي نقول ان اعجاز القرآن يمكن أن يُعلم منها فليس مما يقدر البشر على التصنع له ، والتوصل اليه بحال ، وبين ما قلنا ان كثيرا من الحديثين قد تصنع لآبواب الصنعة حتى حشى جميع شعره منها واجتهد ان لا يفوته بيت الا وهو يمازوه من الصنعة ، كما صنع أبو تمام في لاميته :

متى أنت عن ذهلية الحى ذاهل      وصدرك منها مدة الدهر آهل  
تطل طول الدمع في كل موقف      وتثل بالصبر الديار الموائل  
دوارس لم يحف الربيع روعها      ولا مرّ في اغفائها وهو غافل  
فقد سحبت فيها السحاب ذيوها      وقد أخلت بالنور تلك الخائل  
تفنين من زاد العفاة اذا اتحى      على الحى صرف الازمة المتاحل  
لم سلف صمر العوالى وسامر      وفيهم جمال لا يفيض وجمال  
يبالى أضلت العزاء وخذلت      بعثلك آرام الخدور العقائل  
من الهيف لو أن الخلاخيل صيرت      لها وشحا حالت عليه الخلاخل  
مهى الوحش الا ان هاتا أو انس      قنا الخط الا ان تلك ذوابل  
هوى كان خلسا ان من أطيب الهوى <sup>(١)</sup>      هوى حلت في أفيائه وهو خامل

ومن الادبا من عاب عليه هذه الابيات ونحوها على ما قد تكلف فيها من البديع ، وتعمل من الصنعة ، يقال قد أذهب ماء هذا الشعر وروقه وفائده اشتغالا بطلب التطبيق ومسائر ما جمع فيه ، وقد تعصب عليه أحمد بن عبيد الله ابن عمار وأسرف حتى تجاوز الى الغرض من محاسنه ، ولما قد أولع به من الصنعة ربما غطى على بصره حتى يبدع في القبيح وهو يريد أن يبدع في الحسن كقوله في قصيدة أولها :

(١) ان دنا هي التي بمعنى « نعم »



سرت تستجير الدمع خوف نوى غد وعاد قتادا عندها كل مرقد  
فقال فيها:

لممرى لقد حررت يوم لقيته لو أن القضاء وحده لم يبرد  
وكقوله

لو لم تدارك مُسنّ المجد مذ زمن بالجود والبأس كان المجد قد خرفا  
فهذا من الاستعارات القبيحة والبيديع المقيت كقوله:

تسعون ألفا كآساد السرى نضجت أعمارهم قبل نضج التين والعنب  
وكقوله:

لو لم يمّت بين أطراف الرماح إذا لمات ، اذ لم يمّت ، من شدة الحزن  
وكقوله:

خشنت عليه أخت بني خشين

و كقوله:

ألا لا يمدّ الدهر كغفأ بسى . الى مجتدى نصر فتقطع من الزند  
وقال في وصف المطايا:

لو كان كفها عبيد حاجة يوماً لزنى شدّ قمّاً وجديلاً  
و كقوله:

فضربت الشتاء في أخدعيه ضربة غادرته عوداً ركوباً

فهذا وما أشبه، انما يحدث من غلوه في محبة الصنعة حتى يعميه عن وجه الصواب، وربما أسرف في المطابق والمجاس ووجه البيديع من الاستعارة وغيرها حتى استنقل نظمه واستوخم رصعه، وكان التكليف بارداً والتصرف جامداً، وربما اتفق مع ذلك في كلامه النادر المليح، كما يتفق البارد القبيح فأما البحثري فإنه لا يرى في التمجيس ما يراه أبو تمام ويقل التصنع له فاذا وقع في كلامه كان في الاكثر حسناً رشيقاً وظريفاً جميلاً وتصنعه للمطابق كثير حسن وعمقه في وجوه الصنعة على وجه طلب السلامة والرغبة في السلاسة

لذلك يخرج سليماً من العيب في الاكثر وأما وقوف الألفاظ به عن تمام الحسنى  
 وقعود العبارات عن الغاية القصوى فشيء لا بد منه وأمر لا يحصى عنه كيف  
 وقد وقف على من هو أجل منه وأعظم قدراً في هذه الصنعة وأكبر في الطبقة  
 كإريء القيس وزهير والتابغة والى يومه ونحن نبين تميز كلامهم<sup>(١)</sup> وانحطاط درجة  
 قولهم ونزول طبقة نظمهم عن بديع نظم القرآن في باب مفرد يتصور به ذوالصنعة  
 ما يجب تصوره ويتحقق وجه الإعجاز فيه بمشيئة الله وعونه

ثم رجع الكلام بنا الى ما قدمناه من أنه لا سبيل الى معرفة اعجاز  
 القرآن من البديع الذي ادعوه في الشعر ووصفوه فيه ، وذلك ان هذا الفن ليس  
 فيه ما يخرق العادة ويخرج عن العرف ، بل يمكن استدراكه بالتعلم والتدرب به  
 والتصنع له ، كقول الشعر ، ووصف الخطب ، وصناعة الرسالة ، والحنق في  
 في البلاغة . وله طريق يسلك ، ووجه يقصد ، وسلم يرتقى فيه اليه ، ومثال قد  
 يقع طالبه عليه . فرب انسان يتعود أن ينظم جميع كلامه شعراً ، أو يتعود أن  
 يكون جميع خطابه سجعاً أو صنعة متصلة ، لا يسقط من كلامه حرف ، وقد  
 يباده به ما قد تعود ، وأنت ترى أديبا زماننا يضيفون المحاسن في جزء . وكذلك  
 يؤلفون أنواع البارع ثم ينظرون فيه اذا أرادوا انشاء قصيدة أو رسالة أو خطبة  
 فيحشون به كلامهم ، ومن كان قد تدرّب وتقدّم في حفظ ذلك اشغل عن  
 هذا التصنيف ولم يحتاج الى تكلف هذا التأليف ، وكان ما أشرف عليه من  
 هذا الشأن باسما من باع كلامه ووشحاً بأنواع البديع ما يحاوله من قوله . وهذا  
 طريق لا يتعذر وباب لا يتمتع وكل يأخذ فيه مأخذاً ويقف فيه موقفاً على قدر  
 ما معه من المعرفة وبحسب ما بمدته من الطبع

فأما شأؤ نظم القرآن فليس له مثال يحتذى اليه ، ولا امام يقتدى به ، ولا  
 يصح وقوع مثله اتفاقاً ، كما يتفق للشاعر البيت المنادر ، والكأمة الشاردة .

(١) كذا في النسخة الخطية ، وفي المطبوعة : . كلامه ، وهو خطأ



والمعنى الغندالغريب ، والشيء النليل العجيب ، وكما يلحق بكلامه بالوحشيات<sup>(١)</sup> ويضاف من قوله الى الأابد ، لان ماجرى هذا الجرى ووقع هذا الموقع فأنما يتفق للشاعر في ألمع من شعره ، وللكتاب في قليل من رسائله ، وللخطيب في يسير من خطبه ، ولو كان كل شعره نادراً ، ومثلاً سائراً ، ومعنى بديعاً ، ولفظاً رشيقاً وكل كلامه مملوئاً من رونقه ومائه ، ومملأً<sup>(٢)</sup> بهجته وحسن روايته ، ولم يقم فيه المتوسط بين الكلامين ، والمتروك بين الطرفين ، ولا البارد المستعمل ، والغث المستنكر : لم يبين الاعجاز في الكلام ، ولم يبين التفاوت العجيب بين النظام والنظام .

وهذه جملة تحتاج الى تفصيل ، ومبهم قد يحتاج في بعضه الى تفسير ، وسند كذا ذلك بمشيئة الله وعونه . ولكن قد يمكن أن يقال في البديع الذى حكيناه وأضفناه اليهم ، ان ذلك باب من أبواب البراعة ، وجنس من أجناس البلاغة وانه لا ينفك القرآن عن فن من فنون بلاغتهم ، ولا وجه من وجوه فصاحتهم ، واذا أورد هذا المورد ووضع هذا الموضوع كان جديراً . وانما لم نطلق التول اطلاقاً لاننا لا نجعل الاعجاز متعلقاً بهذه الوجوه الخاصة وواقعاً عليها ومضافاً إليها ، وان صح ان تكون هذه الوجوه مؤثرة في الجملة آخذة بحظها من الحسن والبهجة متى وقعت في الكلام على غير وجه التكلف المستبشم والتعمل المستشنع

### ﴿ فصل في كيفية الوقوف على اعجاز القرآن ﴾

قد بينا انه لا يتهيأ لمن كان لسانه غير العربية من العجم والترك وغيرهم ان يعرفوا اعجاز القرآن الا أن يعلموا ان العرب قد عجزوا عن ذلك فاذا عرفوا هذا بأن علموا أنهم قد سجدوا على أن يأتيوا بمثله وقرعوا على ترك الايمان بمثله ولم يأتيوا به تبينوا أنهم عاجزون عنه ، واذا عجز أهل ذلك اللسان فهم عنه أعجز .

(١) انظر في هذه الجملة قلق واضطراب

(٢) في الخطبة ملاء بضم الميم الاولى وفتح الثانية



وكذلك نقول : ان من كان من أهل اللسان العربي الا أنه ليس يبلغ في الفصاحة الحد الذي يتأهى الى معرفة أساليب الكلام ووجوه تصرف اللغة وما يعدونه فصيحاً بليغاً بارعاً من غيره فهو كالأعجمي في أنه لا يمكنه أن يعرف اعجاز القرآن إلا بمثل ما ينأ أن يعرف به الفارسي الذي بدأنا بذكره وهو من ليس من أهل اللسان سواء

وأما من كان قد تنهى في معرفة اللسان العربي ووقف على طرقها ومذاهبها فهو يعرف القدر الذي ينتهي اليه وسع التمكن من الفصاحة ويعرف ما يخرج عن الوسع ويتجاوز حدود القدرة فليس يخفى عليه اعجاز القرآن كما يميز بين جنس الخطب والرسائل والشعر وكما يميز بين الشعر الحميد والردى والفصيح والبديع والبارع والغريب ، وهذا كما يميز أهل كل صناعة صنعتهم فيعرف الصبر في من النقد ما يخفى على غيره ، ويعرف البزاز من قيمة الثوب وجودته ودرأته ما يخفى على غيره ، وان كان يبقى مع معرفة هذا الشأن أمر آخر وربما اختلفوا فيه ، لان من أهل الصنعة من يختار الكلام المتين والقول الرصين ، ومنهم من يختار الكلام الذي يروق ماؤه وتروع بهجته ورواؤه ويسلس مأخذه ، ويسلم وجهه وينفذه ويكون قريب المتناول غير هويص اللفظ ولا غاض المعنى ، كما يختار قوم ما يغض معناه ويعرب لفظه ويختار ما سهل على اللسان وسبق الى البيان ، وروى ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه وصف زهيراً فقال كان لا يمدح الرجل الا بما فيه ، وقال لعبد بنى الحساس حين أنشده :

كفى الشيب والاسلام للمرء ناهياً :

أما انه لو قلت مثل هذا لاجزتك عليه ، وروي ان جريراً سئل عن أحسن الشعر فقال : قوله :

ان الشقي الذي في النار منزله والفوز فوز الذي ينجو من النار  
 كأنه فضله لصدق معناه . ومنهم من يختار الغلو في قول الشعر والافراط فيه

حتى ربما قالوا : أحسن الشعر أ كذبه ، كقول النابغة :  
 يقدُّ السلوقى لمضاعف نسجه ويوقدن بالصفاح نار الجبابح  
 وأكثرهم على مدح المتوسط بين المذهبين في اللغو والانتصاد وفي المتانة  
 والسلاسة ، ومنهم من رأى أن أحسن الشعر ما كان أكثر صنعة وألطف تعاملا  
 وإن يتخير الالفاظ الرشيقة للمعاني البديعة والقوافي الواقعة كذهب البحترى  
 وعلى ما وصفه عن بعض الكتاب :

في نظام من البلاغة ما شكَّ امرؤ انه نظام فريد  
 وبديع كأنه الزهر الضاحك في رونق الربيع الجديد  
 حزن مستعمل الكلام اختيارا ونجدين ظلمة التعقيد  
 وركبين اللفظ القريب فادر؟ من به غاية المراد البعيد  
 ويرون ان من تعدى هذا كان سالكا مسلكا عاميا ولم يروه شاعرا ولا  
 مصيبا ، وفيما كتبت الحسن بن عبد الله أبو أحمد العسكري قال : أخبرني محمد  
 ابن يحيى ، قال : أخبرني عبد الله بن الحسن قال : قال لى البحترى : دعانى على  
 ابن الجهم فضيت اليه فافضنا في اشعار المحدثين الى ان ذكرنا شعر أشجع فقال  
 لى : انه بخلى ، وأعادها مرات ، ولم أفهما ، وانفت ان أسأله عن معناها . فلما  
 انصرفت أفكرت في الكلمة ونظرت فى شعره فاذا هو ربما مرت له الايات  
 مغسولة ليس فيها بيت رائع واذا هو يريد هذا بعينه أن يعمل الايات فلا يصيب  
 فيها بيت نادر ، كما أن الراعى اذا رمى برشمة فلم يصب بشيء قيل : قد أخلى .  
 قال : وكان على بن الجهم أحسن الناس علما بالشعر

وقوم من أهل اللغة يميلون الى الرصين من الكلام الذى يجمع الغريب  
 والمعانى مثل أبي عمرو بن العلاء وخلف الأحمر والاصمى ، ومنهم من يختار  
 الوحشى من الشعر كما اختار المفضل للمنصور من المفضليات ، وقيل انه اختار  
 ذلك لميله الى ذلك الفن ، وذكر الحسن بن عبد الله انه أخبره بعض الكتاب



عن علي بن العباس قال : حضرت مع البحترى مجلس عبید الله بن عبد الله بن طاهر : وقد سألت البحترى عن أبي نواس ومسلم بن الوليد أيهما أشعر ، فقال البحترى : أبو نواس أشعر ، فقال عبید الله : ان أبا العباس نعلبا لا يطابقك على قولك ويفضل مسلما ، فقال البحترى ليس هذا من عمل نعلب وذويه من المتعاطين لعلم الشعر دون عمله انما يعلم ذلك من وقع في سلك الشعر الى مضايقه وانتهى الى ضروراته ، فقال له عبد الله : وريت بك زنادى ياأبا عبادة وقد وافق حكك حكم أخيك بشار بن برد في جرير والفرزدق أيهما أشعر فقال : جرير أشعرهما ، فقيل له بماذا : فقال لان جريرا يشتد اذا شاء وليس كذلك الفرزدق لانه يشتد ابدأ ، فقيل له : فان بونس وأبا عبيدة يفضلان الفرزدق على جرير ، فقال : ليس هذا من عمل أولئك القوم انما يعرف الشعر من يضطر الى أن يقول مثله ، وفي الشعر ضروب لم يحسنها الفرزدق ولقد ماتت النوار امرأته فذاع عليها بقول جرير :

لولا الحياء لمادني استعبار      ولزرت قبرك والحبيب يزار

وروي عن أبي عبيدة أنه قال للفرزدق : مالك لا تنسب كما ينسب

جرير ؟ فغاب حولا ثم جاء ، فأشده :

يا أخت ناجية بن سامة انني      أخشى عليك بني ان طلبوا دمي (١)

والاعدل في الاختيار ما سلكه أبو تمام من الجنس الذي جمعه في كتاب الحماسة ، وما اختاره من الوحشيات ، وذلك أنه تنكر المستنكر الوحشي والمبتدل العمى . وأتى بالواسطة . وهذه طريقة من ينصف في الاختيار ، ولا يعدل به غرض يخصص . لان الذين اختاروا الغريب فأنما اختاروه لغرض لهم في تفسير ما يشبهه على غيرهم ، واطهار التقدم في معرفته وعجز غيرهم عنه ، ولم يكن قصدهم جيد الأشعار لشيء يرجع اليها في أنفسها . وبين هذا أن الكلام

(١) كذا النسخة الخطية : « يا أخت ناجية » بالياء المثناة من تحت ، وفي المطبوعة « ناجية » بالموحدة

موضوع للإبانة عن الاغراض التي في النفوس ، واذا كان كذلك وجب ان يتخبر من اللفظ ما كان أقرب الى الدلالة على المراد ، وأوضح في الابانة عن المعنى المطلوب ، ولم يكن مستمكراً المطلع على الاذن ، ومستنكر المورد على النفس ، حتى يتأني بقرابته في اللفظ عن الاهتمام ، أو يمتنع بتمويص معناه عن الابانة ، ويجب أن يتمكب ما كان عليه اللفظ مبدئاً للعبارة ، ريك المعنى ، سفاسفي الوضع ، مجتلب التأسيس على غير أصل ممد ، ولا طريق موطن ، وإنما فضلت العربية على غيرها لاعتدالها في الوضع . لذلك وضع أصلها على [ أن <sup>(١)</sup> ] أكثرها بالحروف المتدلة ، فقد أهملوا الالفاظ المستكرهه بي نظمتها ، وأسقطوها من كلامهم ، فجرى لسانهم على الأعدل ، ولذلك صار أكثر كلامهم من الثلاثي لانهم بدعوا بحرف وسكتوا على آخر وجعلوا حرفاً وصلة بين الحرفين ليتم الابتداء والانهاء على ذلك والثنائي أقل وكذلك الرباعي والخامس أقل ، ولو كان كاه ثنائياً لتكررت الحروف ، ولو كان كاه رباعياً أو خماسياً لكثرت الكلمات ، وكذلك بني أمر الحروف التي ابتدئ بها السور على هذا ، فأكثر هذه السور التي ابتدئت بذكر الحروف ذكر فيها ثلاثة أحرف ، وما هو أربعة أحرف سورتان ، وما ابتدئ بمخمسة أحرف سورتان ، فأما ما بدئ بحرف واحد فقد اختلفوا فيه : فمنهم من لم يجعل ذلك حرفاً وإنما جعله فملاً واسماً لشيء خاص ، ومن جعل ذلك حرفاً قال أراد أن يحقق الحروف مفرداً ومنظوماً ، ولضيق ما سوى كلام العرب أو لخروجه عن الاعتدال يتكرر في بعض الالسنه الحرف الواحد في الكلمة الواحدة والكلمات المختلفة كثيراً ، كمنحو تكرر الطاء والسين في لسان يونان ، و كمنحو الحروف السكثيره التي هي اسم لشيء واحد في لسان الترك ، ولذلك لا يمكن أن ينظم من الشعر في تلك الالسنه على الاعراض التي تمكن في اللغة العربية ، والعربية أشدها تمكناً وأشرفها تصرفاً وأعدلها ، ولذلك جعلت حالية لنظم القرآن ، وعلق بها الاعجاز ، وصارت دلالة



في النبوة ، واذا كان الكلام انما يفيد الابانة عن الاغراض القائمة في النفوس التي لا يمكن التوصل اليها بانفسها وهي محتاجة الى ما يعبر عنها فما كان أقرب في تصويرها وأظهر في كشفها للفهم الغائب عنها - وكان مع ذلك أحكم في الابانة عن المراد وأشد تحقيقا في الايضاح عن الطلب وأعجب في وضعه وأرشق في تصرفه وأبرع في نظمه - كان أولى وأحق بأن يكون شريفاً ، وقد شبهوا النطق بالخط والخط يحتاج مع بيانه الى رشاقة وصحة <sup>(١)</sup> ولطف حتى يجوز الفضيلة وبجمع السكالم ، وشبهوا الخط والنطق بالتصوير ، وقد أجمعوا أن من أحذق المصورين من صور لك البياكي المتصاحك والبياكي الحزين والمتصاحك المتباكي والمتصاحك المستبشر وكما أنه يحتاج الى لطف يد في تصوير هذه الامثلة فكذلك يحتاج الى لطف في اللسان والطبع في تصوير ما في النفس للغير ، وفي جملة السكالم الى <sup>(٢)</sup> ما تقصر عبارته وتفضل معانيه ، وفيه ما تقصر المعاني وتفضل العبارات ، وفيه ما يقع كل واحد منها وفقاً للآخر ، ثم ينقسم ما يقع وفقاً الى <sup>(٣)</sup> انه قد يفيد ما على تفصيل ، وكل واحد منها قد ينقسم الى ما يفيد ما على أن يكون كل واحد منها بديعاً شريفاً وغريباً لطيفاً ، وقد يكون كل واحد منها مستجلباً متكلفاً وبصنوعاً متعسفاً ، وقد يكون واحد منهما حسناً رشيقاً وبهيجاً نصيراً ، وقد يتفق أحد الامرين دون الآخر ، وقد يتفق أن يسلم الكلام والمعنى من غير رشاقة ولا نضارة في واحد منها ، انما يميز من يميز ويعرف من يعرف ، والحكم في ذلك صعب شديد والفضل فيه شأو بعيد ، وقد قل من يميز أصناف السكالم ، فقد حكى عن طبقة أبي عبيدة وخلف الاحمر وغيرهم في زمانهم انهم قالوا ذهب من يعرف نقد الشعر ، وقد بينا قبل هذا اختلاف القوم في الاختيار ، وما يجب أن يجمعوا عليه ويرجعوا عند التحقيق اليه ،

(١) في الخطبة يباض بتسع لكلمة واحدة

(٢) كذا في النسختين ولعل كلمة ( الى ) زيادة عما بقضيه المراد من العبارة

(٣) في هذه العبارة اضطرب جمل فهم المراد بعيداً

وكلام المقتدر نط وكلام المتوسع باب ، وكلام المطبوع له طريق ، وكلام المتكلم له منهاج ، والكلام المصنوع المطبوع له باب ، ومتى تقدم الانسان في هذه الصنعة لم تحف عليه هذه الوجوه ولم تشبهه عنده هذه الطرق ، فهو يميز قدر كل متكلم بكلامه ، وقدر كل كلام في نفسه ، ويحله محله ويعتقد فيه ما هو عليه ويحكم فيه بما يستحق من الحكم ، وان كان المتكلم يجود في شيء دون شيء عرف ذلك منه ، وان كان يعم احسانه عرف . ألا ترى أن منهم من يجود في المدح دون الهجو ، ومنهم من يجود في الهجو وحده ، ومنهم من يجود في المدح والسخف ، ومنهم من يجود في الاوصاف ، والعالم لا يشد عنه مراتب هؤلاء . ولا يذهب عليه اقدارهم ، حتى انه اذا عرف طريقة شاعر في قصائد معدودة فأنشد غيرها من شعره لم يشك أن ذلك من نسجه ولم يرتب في أنه من نظمه ، كما أنه اذا عرف خطر رجل لم يشبهه عليه خطه حيث رآه من بين الخطوط المختلفة ، وحتى يميز بين رسائل كاتب وبين رسائل غيره ، وكذلك أمر الخطب ، فان اشتبه عليه البعض فهو لاشتباه الطرفين ، وتماثل الصورتين كما قد يشبه شعر أبي تمام بشعر البحتري في القليل الذي يترك أبو تمام فيه التصنع ، ويقصد فيه التسهل ، ويسلك الطريقة السكتابية ، ويتوجه في تقريب الالفاظ وترك تهويص المعاني ، ويتفق له مثل بهجة أشعار البحتري والفاظه ، ولا يخفى على أحد يميز هذه الصنعة سبك أبي نواس ، ولا نسج ابن الرومي من نسج البحتري ، وينبهه ديباجة شعر البحتري وكثرة مائه وبدع رونقه وبهجة كلامه ، الا فيما يسترسل فيه فيشبهه بشعر ابن الرومي ، وبحركه مالشعر أبي نواس من الخلاوة والرقرة والرشاقة والسلاسة حتى يفرق بينه وبين شعر مسلم وكذلك يميز بين شعر الاعشى في التصرف ، وبين شعر امرئ القيس ، وبين شعر النابغة وزهير ، وبين شعر جرير والاخلط والبغيث والفرزدق ، وكل له منهج معروف ، وطريق مألوف ، ولا يخفى عليه في زماننا الفصل بين رسائل



عبد الحميد وطبقته ، وبين طبقة من بعده ، حتى أنه لا يشتبه عليه ما بين رسائل ابن العميد وبين رسائل أهل عصره ، ومن بعده ممن برع في صنعة الرسائل ، وتقدم في شأوها ، حتى جمع فيها بين طرق المتقدمين وطريقة المتأخرين حتى خالص لنفسه طريقة ، وأنشأ لنفسه منهاجاً ، فسلك تارة طريقة الجاحظ وتارة طريقة السجم وتارة طريقة الاصل ، وبرع في ذلك باقتداره ، وتقدم ، بمحذقه ، ولكنه لا يخفى مع ذلك على أهل الصنعة طريقه من طريق غيره ، وإن كان قد يشتبه البعض ، وبدق القليل ، وتفمض الاطراف ، وتشذ النواحي وقد يتقارب سبك نفر من شعراء عصره ، وتقداني رسائل كتاب دهر ، حتى تشبه اشتباها شديداً ، وتماثل تماثلاً قريباً ، فيفمض الفصل . وقد يشأ كل الفرع والأصل ، وذلك فيما لا يتعذر ادراك أمده ، ولا يتصعب طلاب شأوه ، ولا يتمنم بلوغ غايته والوصول الى نهايته ، لأن الذي يتفق من الفصل بين أهل الزمان اذا تفاضلوا (١) وتفاوتوا في مضمار فصل قريب وأمر يسير ، وكذلك لا يخفى عليهم معرفة سارق الالفاظ وسارق المعاني ، ولا من يخترعها ولا من يلم بها ، ولا من يجاهر بالاخذ من يكتم به ، ولا من يخترع الكلام اختراعاً ويبتدعه ابتداها ممن برؤي فيه ويجيل الفكر في تنقيحه ويصبر عليه حتى يتخلص له ما يريد وحتى يتكرر نظره فيه

قال أبو عبيدة : سمعت أبا عمرو يقول : زهير والحطيئة وأشباههما عبيد الشعر لانهم تتحوه ولم يذهبوا فيه مذهب المطبوعين ، وكان زهير يسمى كُبر شعره ( الحوليات المنقحة ) وقال عدي بن الرقاع :

وقصيدة قد بت أجمع بينها حتى أقوم ميلها وسنادها  
نظر المثقف في كعوب قنانه حتى يقم نقافه مُنَادها  
وكقول سويد بن كراع :

(١) في الحطية ياض بتسع لكلمة واحدة

أبيت بأبواب القوافي كأنما أصادى بها سرباً من الوحش نزعا  
ومهم من يُعرف بالبدئية وحدة الخاطر ونفاذ الطبع وسرعة النظم ، يرتجل  
القول ارتجالاً ويطنه عفواً صفواً فلا يقعد به عن قوم قد تعبوا وكذبوا أنفسهم  
وجاهدوا خواطرم ، وكذلك لا يخفى عليهم الكلام العلوي واللفظ الملوكي ، كما  
لا يخفى عليهم الكلام العامي واللفظ السوقي ، ثم تراهم ينزلون الكلام تنزيلاً ،  
ويعطونه كيف تصرف حقوقه ، ويمرفون مراتبه ، فلا يخفى عليهم ما يختص به  
كل فاضل تقدم في وجهه من وجوه النظم من الوجه الذي لا يشار كه فيه غيره  
ولا يسامه سواه ، الا تراهم وصفوا زهيراً بأنه أمدحهم وأشدهم أثر شعره قاله أبو  
عبيدة ، وروى أن الفرزدق انحل بيتاً من شعر جرير وقال : هذا يشبه  
شعري فكان هؤلاء لا يخفى عليهم ما قد نسبناه اليهم من المعرفة بهذا الشأن  
وهذا كما يعلم البزازون وهذا الديباج عمل بتستر وهذا لم يعمل بتستر ، وان هذا  
من صنعة فلان دون فلان ومن نسج فلان دون فلان ، حتى لا يخفى عليه وان  
كان قد يخفى على غيره

ثم انهم يملكون أيضاً من له سميت بنفسه ورفعت برأسه ، ومن يقتدي في  
الالفاظ أو في المعاني أو فيهما بغيره ، ويجعل سواه قدوة له ، ومن يلم في الاحوال  
بمذهب غيره ، ويأتي في الاحيان بمخترعه <sup>(١)</sup> وهذه أمور مهمة عند العلماء  
وأسباب معروفة عند الأدباء ، وكما يقولون ان البحثري يغير على أبي تمام اغارة  
ويأخذ منه صريحاً وإشارة ، ويستأنس بالأخذ منه بخلاف ما يستأنس بالأخذ  
من غيره ، ويألف اتباعه كما لا يألف اتباع سواه ، وكما كان أبو تمام يلم بأبي  
نواس ومسلم ، وكما يعلم أن بعض الشعراء يأخذ من كل أحد ولا يتحاشى ويؤلف  
ما يقوله من فرق شتى ، وما الذي نفع المتنبي جحوده الاخذ وانكاره معرفة

(١) لفظ ( بمخترعه ) ساقط من الخطية ، وفي مكانه بياض يتسع له ، وفيها بدل يأتي ( بطووا )



الطائفتين وأهل الصنعة يدلون على كل حرف أخذه منهما جهاراً أو ألم بهما فيه سراراً ، وأما ما لم يأخذ عن الغير ولكن سلك النمط وراعى النهج فهم يعرفونه ويقولون هذا أشبه به من النمرة بالنمرة وأقرب اليه من الماء الى الماء وليس بينهما الا كما بين الليلة واليلة ، فاذا تباينا وذهب أحدهما في غير مذهب صاحبه وسلك في غير جانبه قيل بينهما ما بين السماء والارض وما بين النجم والنون وما بين المشرق والمغرب

وانما أطلت عليك ووضعت جميعه بين يديك لتعلم أن أهل الصنعة يعرفون دقيق هذا الشأن وجليله ، وغامضه وجليله ، وقريبه وبعيده ، ومعوجه ومستقيمه . فكيف يخفى عليهم الجنس الذي هو بين الناس متداول وهو قريب متناول من أمر يخرج عن أجناس كلامهم ويبعد عما هو في عرفهم ويفوت مواقع قدرهم ، واذا اشتبه ذلك فانما يشبهه على ناقص في الصنعة أو قاصر عن معرفة طرق الكلام الذي يتصرفون فيه ويدبرونه بينهم ولا يتجاوزونه ، فلكلامهم سبل مضبوطة وطرق معروفة محصورة ، وهذا كما يشبهه على من يدعي الشعر من أهل زماننا والعلم بهذا الشأن ، فيدعي أنه أشعر من البحري ، ويتوهم أنه أدق مسلوكا من أبي نواس ، وأحسن طريقا من مسلم ، وأنت تعلم أنهما متباعدان وتمحقق أنهما لا يجتمعان ، ولعل أحدهما انما يلحظ عبارة صاحبه ، ويظالم ضياه نجمه ، ويراعي حروف جناحه ، وهو راكد في موضعه ، ولا يضر البحري ظنه ، ولا يلاحقه بشأوه وهمه

فان اشتبه على متأدب أو متشاعر أو ناشئ أو مرمد فصاحة القرآن وموقع بلاغته وعجيب براعته فما عليك منه ، انما يخبر عن نقصه ، ويدل على عجزه ، ويبين عن جهله ، ويصرح بسخافة فهمه وركاكة عقله وانما قدما ما قدمناه في هذا الفصل لتعرف ان ما ادعيناه من معرفة البليغ بعلو شأن القرآن وعجيب نظمه وبديع تأليفه أمر لا يجوز غيره ولا يحتمل

سواء ولا يشتهه على ذي بصيرة ولا يخيل عند أخى معرفة ، كما يعرف الفصل بين طبائع الشعراء من أهل الجاهلية وبين المحضرين و بين المحدثين ، ويميز بين من يجري على شاكاة طبعه و غريزة نفسه و بين من يشتغل بالتكاف والتصنع ، و بين من يصير التكاف له كالمطبوع و بين من كان مطبوعه كالتعميل المصنوع ، هيهات هيهات هذا امر - وان دق - فله قوم يقتلونه علماً ، و أهل يحيطون به فهما ، و يُعرفونه اليك ان شئت ، و يصورونه لديك ان أردت و يجولونه على خواطرك ان احببت ، و يمرضونه لفظتكم ان حاولت ، و قد قال القائل :

الحرب والضرب أقوام لها خلقوا      و للدواوين كتاب وحساب  
ولكل عمل رجال ولكل صنعة ناس ،      وفي كل فرقة الجاهل والعالم والمتوسط ،  
ولكن قد قل من يميز في هذا الفن خاصة ،      وذهب من يحصل في هذا الشأن  
الا قليلا ، فان كنت ممن هو بالصفة التي وصفناها من التناهي في معرفة الفصاحات  
والتحقق بمجاري البلاغات ، فانما يكفينك التأمل ، و يفنيك التصور ، و ان كنت في  
الصنعة مرمداً وفي المعرفة بها متوسطاً ، فلا بد لك من التقليد ولا غنى بك عن  
التسليم أن الناقص في هذه الصنعة كالتخرج عنها والشاى فيها كالبائن منها  
فان أراد أن يقرب عليه أمراً و يفسح له طريقاً و يفتح له باباً ليعرف به اعجاز  
القرآن فانا نضع بين يديه الامثلة و نعرض عليه الاساليب و نصور له صورة كل  
قبيل من النظم والنثر و نحضر له من كل فن من القول شيئاً يتأمله حق تأمله  
و يراعيه حق مراعاته فيستدل استدلال العالم ويستدرك استدراك الناقد و يقطع  
له الفرق بين الكلام الصادر عن الربوبية الطالم عن الالهية الجامع بين الحكم  
والحكم والاخبار عن الغيوب والقائبات و المنتضمن لمصالح الدنيا والدين والمستوعب  
جلية البقين والمعاني المحترمة في تأسيس أصل الشريعة وفروعها بالالفاظ الشريفة



على تفهّمها وتصرفها . ونعمد الى شيء من الشعر المجمع عليه فنيين وجه النقص فيه وندل على انحطاط ركبته ووقوع أبواب الخلل فيه حتى اذا تأمل ذلك وتأمل ما نذكره من تفصيل اعجاز القرآن وفصاحته وعجيب براعته انكشف له واتضح وثبت ما وصفناه لديه ووضح وليعرف حدود البلاغة ومواقع البيان والبراعة ووجه التقدم في الفصاحة

وذكر الجاحظ في كتاب البيان والتبيين أن الفارسي سئل فقيل له : ما البلاغة ؟ فقال : معرفة الفصل من الوصل . وسئل اليوناني عنها فقال : تصحيح الاقسام واختيار الكلام ، وسئل الرومي عنها فقال : حسن الاقتضاب عند البداهة والفرارة يوم الاطالة ، وسئل الهندي عنها فقال : وضوح الدلالة وانتهاز الفرصة وحسن الاشارة ، وقال مرة : التماس حسن الموقع والمعرفة بساحات القول وقلة الخلق بما التبس من المعاني أو غرض وشرذ من اللفظ وتعذر ، وزينته ان تكون الشائيل موزونة والالفاظ معدلة واللهجة نقيه وأن لا يكلم سيد الامة بكلام الامة ويكون في قواه فضل التصرف في كل طبقة ولا يدقق المعاني كل التدقيق ولا ينتقح الالفاظ كل التنقيح ويصفيها كل التصفية ويهديها بغاية التهذيب ، وأما البراعة ففيما يذكر أهل اللغة الخندق بطريقة الكلام ونجويده ، وقد يوصف بذلك كل متقدم في قول أو صناعة . وأما الفصاحة فقد اختلفوا فيها منهم من عبر عن معناها بأنه ما كان جزل اللفظ حسن المعنى ، وقد قيل : معناها الاقتدار على الابانة عن المعاني الكامنة في النفوس على عبارات جليلة ومعان نقيه بهية ، والذي يصور عندك ما ضمنا تصويره ويحصل عندك معرفته اذا كنت في صنعة الادب متوسطا وفي علم العربية متبيننا ان تنظر أولا في نظم القرآن ثم في شيء من كلام النبي ﷺ فتعرف الفصل بين النظمين والفرق بين الكلامين فان تبين لك الفصل ووقعت على جليلة الامر وحقيقة الفرق فقد

أدركت الغرض وصادفت المقصد ان لم تفهم الفرق ولم تقع على الفصل فلا بد لك من التقليد وعلت انك من جملة العامة وان سبيلك سبيل من هو خارج عن أهل اللسان

﴿ خطبة للنبي ﷺ ﴾

روى طلحة بن عبيد الله قال سمعت رسول الله ﷺ يخطب على منبره يقول : « ألا أيها الناس ، توبوا الى ربكم قبل أن توتوا ، وبادروا الاعمال الصالحة قبل أن تشغلوا ، وصلوا الذي بينكم وبين ربكم بكثر ذكركم له وكثرة الصدقة في السر والعلانية ترزقوا وتؤجروا وتنصروا ، واعلموا ان الله عز وجل قد افترض عليكم الجمعة في مقامى هذا في عامي هذا في شهري هذا الى يوم القيامة حياتي ومن بعد موتي . فمن تركها وله امام فلا جمع الله له ثمله . ولا يارك له في أمره ، ألا ولا حج له ، ألا ولا صوم له ، ألا ولا صدقة له ، ألا ولا بر له ألا ولا يؤم اعرابي مهاجرا ، ألا ولا يؤم فاجر مؤمناً إلا أن يقهره سلطان يخاف سيفه أو سوطه »

﴿ خطبة له ﷺ ﴾

أيها الناس ، ان لكم معالم فانتموهوا الى معالمكم ، وان لكم نهاية فانتموهوا الى نهايتكم ، ان المؤمن بين مخافتين : بين أجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه ، وبين أجل قد بقي لا يدري ما الله تعالى قاض عليه فيه . فليأخذ العبد لنفسه من نفسه ، ومن دنياه لآخرته ، ومن الشيبية قبل الكبر ، ومن الحياة قبل الموت . والذي نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعقب ، ولا بعد الدنيا دار الا الجنة أو النار .

﴿ خطبة له ﷺ ﴾

ان الحمد لله أحمده وأستعينه ، نعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ،



من يهد الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له . وأشهد ان لا إله إلا الله  
 وحده لا شريك له ، ان أحسن الحديث كتاب الله ، قد أفلح من زينته الله في  
 قلبه ، وأدخله في الاسلام بعد الكفر ، واختاره على ما سواه من أحاديث الناس ،  
 انه أصدق الحديث وأبلغه . أحبوا من أحب الله ، وأحبوا الله من كل قلوبكم ،  
 ولا تملوا كلام الله وذكروه ، ولا تقسوا عليه قلوبكم . اعبدوا الله ولا تشركوا به  
 شيئاً ، اتقوا الله حق تقاته وصدقوا صالح ما تعملون بأفواهكم ، وتحابوا بروح  
 الله بينكم ، والسلام عليكم ورحمة الله .

﴿ خطبة له ﷺ في أيام التشريق ﴾

قال بعد حمد الله : أيها الناس ، هل تدرون في أي شهر أنتم وفي أي يوم أنتم  
 وفي أي بلد أنتم ؟ قالوا : في يوم حرام وشهر حرام وبلد حرام . قال ألا فان دماءكم  
 وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا الى  
 يوم تلقونه . ثم قال : اسمعوا مني تعبشوا ، ألا لا تظالموا ( فلاننا ) . ألا انه لا يحل  
 مال امرئ مسلم الا بطيب نفس منه . ألا ان كل دم ومال ومأثرة كانت في  
 الجاهلية تحت قدمي هذه . ألا ان أول دم وضع دم ربيعة بن الحارث بن عبد  
 المطلب ( كان مسترضعا في بني ليث فقتلته هذيل ) . ألا وان كل ربا كان في  
 الجاهلية موضوع ، ألا وان الله تعالى قضى ان أول ربا يوضع ربا عمى العباس ،  
 لكم رهوس أو السكم لا تظلمون ولا تظلمون . ألا وان الزمان قد استدار  
 كمينته يوم خلق الله السموات والارض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم ، فلا  
 تظلموا فيهن أنفسكم ، ألا لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض ،  
 ألا وان الشيطان قد يئس أن يعبد المصلون ولكن في التحريش بينكم ، اتقوا  
 الله في النساء فانهم عندكم عوان لا يملكن لانفسهن شيئا ، وان لمن عليكم حقا  
 والسكم عليهن حق ، ألا يوطئن فرشكم أحداً غيركم ، فان خفتن نشوزهن فعظوهن

واهجر وهن في المضاجع واضربوهن ضرباً غير مبرح ، ولهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، فأما أخذتوهن بأمانة الله تعالى ، واستحلتم فروجهن بكلمة الله ، إلا ومن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها . ثم بسط يده فقال :  
ألا هل بلغت ، ألا هل بلغت ؟ ليبلغ الشاهد الغائب ، فرب مبلغ أبلغ من سامع

### ﴿ خطبته ﷺ يوم فتح مكة ﴾

وقف على باب الكعبة ثم قال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ، ألا كل مأثرة أو دم أو مال يدهي فهو تحت قدمي هاتين إلا سدانة (١) البيت وسقاية الحاج . ألا وقتل الخطأ العمد بالسوط والعصا فيه الدية مغلظة منها أربعون خلفه في بطونها أولادها . يا معشر قريش إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظيها بالآباء ، الناس من آدم وآدم خلق من تراب ، ثم تلا هذه الآية (٤٩ : ١٣) : يا أيها الناس إذا خلقناكم من ذكروا نثى ، الآية . يا معشر قريش - أو يا أهل مكة - ما ترون أي فاعل بكم ؟ قالوا : خيرا أخ كريم وابن أخ ، قال : فاذهبوا فاتم الطلقاء.

### ﴿ خطبته ﷺ بالخيف ﴾

[روى زيد بن ثابت أن النبي ﷺ خطب بالخيف من منى فقال] (٢) :  
نصر الله عبداً سمع مقالتي فوعاها ثم أداها إلى من لم يسمعها ، فرب حامل فقه لا فقه له ، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه . ثلاث لا يغل عليهن قلب المؤمن : إخلاص العمل لله ، والنصيحة لأولى الأمر ، ولزوم الجماعة إن دعوتهم متكون من ورائه ، ومن كان همه الآخرة جمع الله شمله وجعل غنيته في قلبه وأتته الدنيا وهي راغمة ، ومن كان همه الدنيا فرّق الله أمره وجعل فقره بين

(١) في الخطبة يماض يتسع لكلمة في مكان (سدانة)

(٢) هذه العبارة كلها ليست بالخطبة



عينيه ولم يأت من الدنيا الا ما كتب له

﴿ خطبة له ﷺ ﴾

رواها أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه

خطب بعد العصر فقال : ألا ان الدنيا خضرة حلوة ، ألا وان الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون ، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء . ألا لا ينعمن رجلا مخافة الناس أن يقول الحق اذا علمه . قال : ولم يزل يخطب حتى لم يبق من الشمس الا حرة على أطراف السعف ؛ فقال : انه لم يبق من الدنيا فيما مضى الا كما بقى من يومكم هذا فيما مضى .

﴿ كتاب النبي ﷺ الى ملك فارس ﴾

من محمد رسول الله الى كبرى عظيم فارس : سلام على من اتبع الهدى . وآمن بالله ورسوله ، وشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله ، وأدعوك بدعاء الله فاني أنا رسول الله الى الناس كافة لأنذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين . فأسلم تسلم

﴿ كتاب له ﷺ الى النجاشي ﴾

من محمد رسول الله الى النجاشي ملك الحبشة : سلم أنت فاني أحمد اليك الله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن ، وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله و كلمته ألقاها الى مريم البتول الطيبة فحملت بعيسى فحملته من روحه ونفخه ، كما خلق آدم [ من طين ] <sup>(١)</sup> بيده ونفخه . واني أدعوك الى الله وحده لا شريك له والموالاته على طاعته وأن تتبعني وتؤمن بالذي جاءني واني أدعوك وجنودك الى الله تعالى فقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصحي . والسلام على من اتبع الهدى

(١) هذه الكلمة ليست بالنسخة الخطية

## ﴿ نسخة عهد الصلح مع قريش عام المدينة ﴾

هذا ما صلح عليه محمد بن عبد الله ﷺ سهيل بن عمرو : اصطالحا على وضع الحرب عن الناس عشرين سنة يأمن فيه الناس ، ويكف فيه بعضهم عن بعض ، على أنه من أتى رسول الله ﷺ بغير إذن وليه رده عليهم . ومن جاء قريشاً ممن مع رسول الله ﷺ لم يردوه عليه ، وان بيننا عيبة مكفوفة ، وأنه لا إسلال ولا اغلال ، وأنه من أحب أن يدخل في عهد رسول الله ﷺ وعقده دخل فيه ، ومن أحب أن يدخل في عهد قريش وعقدهم دخل فيه ، وأنتك ترجم عنا عامك هذا فلا تدخل علينا مكة فإذا كان عاماً قابلاً خرجنا عنك فدخلتها بأصحابك فأقت بها ثلاثاً ، وان معك سلاح الركب والسيوف في الركب فلا تدخلها بغير هذا

\*\*\*

ولا أطول عليك وأقتصر على ما أقبته اليك فان كان لك في الصنعة حظ ، أو كان لك في هذا المعنى حس ، أو كنت تضرب في الادب بسهم ، أو في العربية بقسط ، وان قل ذلك السهم أو نقص ذلك النصيب ، فما أحسب انه يشبه عليك الفرق بين براعة القرآن ، وبين ما نسخناه لك من كلام الرسول ﷺ في خطبه ورسائله ، وما عساك تسمعه من كلامه ويتساقط اليك من ألفاظه ، وأقدر أنك ترى بين الكلامين بوناً بعيداً ، وأمداً مديداً ، وميداناً واسعاً ، ومكاناً شامعاً

فان قلت لعله ان يكون تعمل للقرآن وتصنع لنظمه ، وشبه عليك الشيطان ذلك من خبيثه ، فتثبت في نفسك وارجم الى عقلك واجمع لبيك ، وتيقن ان الخطب يمتد لها في المواقف العظام والمحافل الكبار والمواسم الضخام ، ولا يتجاوز فيها ، ولا يستهان بها ، والرسائل الى الملوك مما يجمع لها الكاتب جراميزه ، ويشمر لها عن جد واجتهاد ، فكيف يقعها الاخلال ؟ وكيف يتعرض



للتفریط ؟ فستمعلم لاحتمال أن نظم القرآن من الامر الالهي ، وان كلام النبي ﷺ من الامر النبوي

فاذا أردت زيادة في التبيين ، وتقدماً في التعرف ، واشرافاً على الجلية ، وفوراً بمحكم القضية ، فأمل - هداك الله - ما ندرسه لك من خطب الصحابة والبلغاء ، لتعلم ان نسجها ونسج ما نقلنا من خطب النبي ﷺ واحد ، وسبكها سبك غير مختلف ، وانما يقع بين كلامه وكلام غيره ما يقع من التفاوت بين كلام الفصيحين ، وبين شعر الشعراء ، وذلك أمر له مقدار معروف ، وحد - ينتهي اليه - مضبوط ، فاذا عرفت أن جميع كلام الآدمي منهاج ، ولجملته طريق ، وتبينت ما يمكن فيه من التفاوت : - نظرت الى نظم القرآن نظرة أخرى ، وتأملته مرة ثانية ، فتراعى بعد موقعه ، وعالى محله وموضعه ، وحكمت بواجب من اليقين ، وتلج الصدر بأصل الدين

﴿ خطبة لابي بكر الصديق رضي الله عنه ﴾

قام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

أما بعد ، فاني وليت أمركم ، ولست بخيركم ، ولكن نزل القرآن وسن النبي ﷺ وعلما فعلنا . واعلموا ان أكيس الكيس التقى ، وان أحق الحق للفجور ، وان أقواكم عندي الضعيف حتى آخذ له بحقه ، وان أضعفكم عندي للقوي حتى آخذ منه الحق . أبا الناس ، انما أنا متبع ولست بمبتدع ، فان أحسنت فأعينوني ، وان زغت فقوموني

﴿ عهد لأبي بكر الصديق الى عمر رضي الله عنهما ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ هذا ما عهد أبو بكر خليفة رسول الله ﷺ آخر عهده بالدنيا وأول عهده بالآخرة ، ساعة يؤمن فيها الكافر ويتقى فيها الفاجر ، انى استخلفت عليكم عمر بن الخطاب ، فان برّ وعدل فذاك ظني به

ورأيي فيه ، وان جار و بدل فلا علم لي بالغيب ، والخير أردت لكم ، ولكل امرئ ما اكتسب من الاثم ، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون  
وفي حديث عبد الرحمن بن عوف رحمة الله عليه قال : دخلت على أبي بكر الصديق رضي الله عنه في علقته التي مات فيها فقلت : أراك بارئاً يا خليفة رسول الله . فقال : أما أبي علي ذلك لشديد الوجع ، ولما لقيت منكم يا مشر المهاجرين أشد علي من وجعي . اني وليت أموركم خيركم في نفسي فكلاكم ورم أفه أن يكون له الامر من دونه ، والله لتتخذن نضائد الدياج وستور الحرير وتلأمن النوم على الصوف الاذربي كما يالم أحدكم النوم على حسك السعدان . والذي نفسي بيده لان يقدم أحدكم فتضرب رقبتة في غير حد خير له من أن يخوض غمرات الدنيا ، يهادي الطريق جزت<sup>(١)</sup> ، انما هو - والله - الفجر أو البحر . قال : فقلت خفض عليك يا خليفة رسول الله ﷺ فان هذا يهيضك الى ما بك ، فوالله ما زلت صالحاً مصلحاً لانا سي على شيء فالتك من أمر الدنيا ، ولقد تخليت بالامر وحديك فما رأيت الا خيراً

وله خطب ومقامات مشهورة اقتصرنا منها على ما نقلنا ، منها قصة السقيفة

### ﴿ نسخة كتاب ﴾

كتب أبو عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل الى عمر بن الخطاب رضي الله عنهم :

سلام عليك فاننا نحمد اليك الله الذي لا إله إلا هو . أما بعد ، فاننا عهدناك وأمر نفسك لك مهم ، فأصبحت وقد وليت أمر هذه الامة أحرها وأسودها ، يجلس بين يديك الصديق والعدو والشريف والوضيع واكل حصته من العدل فانظر كيف أنت يا عمر عند ذلك ، فاننا نمحدرك يوماً تمنو فيه الوجوه ، وتجب فيه

(١) في النسختين جزت بالواو وفي غير هذا الكتاب جرت بالراء المهملة



القلوب ، وانا كنا نتحدث ان هذه الامة ترجع<sup>(١)</sup> في آخر زمانها أن يكون اخوان العلانية أعداء السريرة وانا نعوذ بالله أن تنزل كتابنا سوى المنزل الذي نزل من قلوبنا ، فانا انما كتبنا اليك نصيحة لك . والسلام  
فكتب اليهما :

من عمر بن الخطاب ، الى أبي عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل :  
سلام عليكم ، فاني أحمد اليك الله الذي لا إله إلا هو . أما بعد فقد جاني كتابك تزعمان أنه بلغك اني وليت أمر هذه الامة أحرها واسودها يجلس بين يدي الصديق والعدو والشريف والضيع وكتبنا ان انظر كيف انت يا عمر عند ذلك ، وانه لا حول ولا قوة لغير عند ذلك الا بالله . وكتبنا تحذراتي ما حذرت به الامم قبلنا ، وقد بئنا كان اختلاف الليل والنهار بأجال الناس يقربان كل بعيد ، ويبيدان كل جديد ، ويأتيان بكل موعود ، حتى يصير الناس الى منازلهم من الجنة او النار ، ثم توفي كل نفس بما كسبت ان الله سريع الحساب . وكتبنا تزعمان ان امر هذه الامة يرجع<sup>(١)</sup> في آخر زمانها ان يكون اخوان العلانية أعداء السريرة ، ولستم بذلك ، وليس هذا ذلك الزمان ، ولكن زمان ذلك حين تظهر الرغبة والرغبة ، فتكون رغبة بعض الناس الى بعض اصلاح دينهم ، ورغبة بعض الناس اصلاح دينهم . وكتبنا تعوذاني بالله أن أنزل كتابك مني سوى المنزل الذي نزل من قلوبك وانما كتبنا نصيحة لي ، وقد صدقتكم فتعهداني منكما بكتاب ولا غنى بي عنكما

﴿ عهد من عهد عمر رضي الله عنه ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم \* من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين الى عبد الله بن قيس : سلام عليك . أما بعد ، فان للقضاء فريضة محكمة ، وسنة

(١) في الخطبة يرجع

(٢) في الخطبة يرجع

متبعة ، فافهم اذا أدلى اليك ، فانه لا ينفع تكلم بحق لانفاذ له . آس بين الناس في وجهك وعدلك ومجملتك حتى لا يطعم شريف في حيفك ولا يياس ضعيف<sup>(١)</sup> من عدلك . البينة على من ادعى واليمين على من أنكرك ، والصلح جائز بين المسلمين الا صلحا أحل حراما أو حرم حلالا . ولا يمنعك قضاء قضيته بالامس فراجعت فيه عقلك وهديت لرشدك ، ان ترجع الى الحق فان الحق قديم ومراجعة الحق خير من التماذي في الباطل . الفهم الفهم فيما تلجأ في صدرك مما لبس في كتاب ولا سنة ، ثم اعرف الاشباه والامثال وقس الامور عند ذلك وأعد الى أشبهها بالحق ، واجعل لمن ادعى حقا غائبا أو بينة أمدا<sup>(٢)</sup> ينتهي اليه ، فان أحضر بينة أخذت له بحقه والا استحللت عليه القضية فانه أنفي للشك وأجلى للعمى . المسلمون عدول بعضهم على بعض الا مجلودا في حد أو مجر با عليه شهادة زور أو ظنيماً في ولا . أو نسب فان الله تولى منكم السرائر ودرأ بالايمان والبيانات ، واياك والغلو والضجر والتأذي بالخصوم والتنكر عند انخصومات فان الحق في مواطن الحق يعظم الله به الاجر ويحسن به الذخر ، فمن صحت نيته وأقبل على نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس ، ومن تخلق للناس بما يعلم الله انه ليس من نفسه شأنه الله ، فما ظنك بشواب الله عز وجل في عاجل رزقه وخزائن رحمته ، والسلام

ولعمري رضي الله عنه خطب مشهورة مذكورة في التاريخ لم نقلها اختصارا

❖ ومن كلام عثمان بن عفان رضي الله عنه ❖

خطبة له<sup>(٣)</sup> رضي الله عنه

قال : ان لكل شيء آفة ، وان لكل نعمة عاهة ، في هذا الدين عيايون ظنانون ، يظهرون لكم ما تحبون ، ويسرون ما تكرهون ، يقولون لكم

(١) في الخطبة (شريف) وهو غير ما في كتب الادب

(٢) في النسخة (امرأ) وفي غير هذا الكتاب (امدا)

(٣) في الخطبة لعثمان



وتقولون ، طعام مثل النعام ، يتبعون أول ناعق أحب مواردكم اليهم للنازح ،  
لقد أقررتم لابن الخطاب بأكثر مما تقيم على ، ولكنه وقسمكم وقمعكم وزجركم  
زجر النعام الخزمة . والله انى لا قرب ناصر ، وأعز نفرا ، وأقن ( ان قلت هلم )  
أن تجاب دعوتي من عمر . هل تفقدون من حقوقكم شيئا فمالي لأفعل في  
الحق ما أشاء ؛ اذا فلم كنت اماما ؟

﴿ كتابه الى على حين حصر - رضى الله عنهما ﴾

أما بعد ، فقد بلغ السيل الزبي ، وجاوز الحزام الطبيعيين ، وطعم في من لا  
يدفع عن نفسه . فاذا اتاك كتابي هذا فأقبل الى على كنت أم لى  
فان كنت ما كولا فكن خيرا آكل والا فأدر كنى ولما أمزق  
﴿ ومن كلام على رضى الله عنه ﴾ قال لما قبض أبو بكر رضى الله عنه  
ارتجت المدينة بالبكاء كيوم قبض النبي ﷺ وجاء على با كيا مسترجعا وهو  
يقول : اليوم انقطعت خلافة النبوة .

حتى وقف على باب البيت الذى فيه أبو بكر فقال :

رحمك الله أبا بكر ، كنت الف رسول الله ﷺ وأنسه وثقته وموضع سره ،  
كنت أول القوم اصلا ما ، وأخلصهم ايمانا ، وأشدتهم بقينا ، وأخوفهم لله ،  
وأعظمهم غناء في دين الله ، وأحوطهم على رسوله ، وأيمانهم (١) على الاسلام ،  
وآمتهم على اصحابه . أحسنهم صحبة ، وأكثرهم مناقب ، وأفضلهم سوابق ،  
وأرفعهم درجة ، وأقربهم وسيلة ، وأقربهم برسول الله ﷺ سننا وهديا ورحمة  
وفضلا ، وأشرفهم منزلة ، وأكرمهم عليه ، وأوثقهم عنده ، جزاك الله عن

(١) كنا في الخطبة (وايئهم) وفي المطبوعة (وايئهم)

الاسلام وعن رسوله خيرا ، كنت عنده ينزله السمع والبصر ، صدقت رسول الله ﷺ حين كذبه الناس فسمك الله في تنزيله صديقا ، فقال : والذي جاء بالصدق وصدق به . واسيته حين بجلوا وقرمت معه عند المسكاره حين عنه قعدوا وصحبته في الشدائد أكرم الصحبة ثاني اثنين وصاحبه في الغار والمنزل عليه السكينة والوقار ، ورفيقه في الهجرة وخليفته في دين الله وفي أمته أحسن الخلافة حين ارتد الناس فهضت حين وهن أصحابك ، وبرزت حين استكانوا وقويت حين ضعفوا ، وقمت بالأمر حين فشلوا ، ونظقت حين تبععوا . مضيت بنور اذ وقفوا ، واتبعوك فهدوا ، وكنت أصوبهم منطقا ، وأطولهم صمتا ، وابلغهم قولا ، وأكثرهم رأيا ، واشجعهم نفسا ، وأعرفهم بالامور ، وأشرفهم عملا . كنت للدين يسوياً أولاً حين نفر عنه الناس وآخرآ حين اقبلوا ، وكنت للمؤمنين أباً رحماً اذ صاروا عليك عبالا فحملت انقال ما ضعفوا ، ورعيت ما اهلوا ، وحفظت ما أضاعوا ، شمرت اذ خنعوا ، وعلوت اذ هلعوا ، وصبرت اذ جزعوا ، وأدركت أوتار ما طلبوا ، وراجعوا رشدهم برأيك فظفروا ونالوك مالم يحتسبوا ، وكنت كما قال رسول الله ﷺ آمن الناس عليه في محبتك وذات يدك ، وكنت كما قال ضعيفا في بدنك ، قويا في أمر الله متواضعا في نفسك ، عظيما عند الله جليلا في أعين الناس ، كبيرا في أنفسهم ، لم يكن لاحد فيك مغمز ولا لاحد مطعم ، ولا لمخلوق عندك هواة ، الضعيف الدليل عندك قوى عزيز حتى تأخذ له بحقه ، و الفوى العزيز عندك ضعيف ذليل حتى تأخذ منه الحق ، القريب والبعيد عندك سواء ، أقرب الناس اليك أطوعهم لله . شأنك الخلق والصدق والرفق . قولك حكم <sup>(١)</sup> ، وأمرك <sup>(٢)</sup> حزم ورأيك علم وعزم ، فأبلغت وقد نهج السبيل ، وسهل العسير ، وأطغأت النيران ،

(١) في الخطبة في المآزين يابض يتسع لكلمة واحدة وفيها واو قبل (حزم) بما يدل على ان الحذف في الموضعين لكلمة في معنى حكم وحزم



واعتمد بك الدين ، وقوى الايمان ، وظهر أمر الله ولو كره الكافرون ، واتعبت من بعدك اعمابا شديدا ، وفزت بالجد فوزا ، مبينا تجللت عن البكاء ، وعظمت رزيتك في السماء وهدت مصيبتك الانام فانا لله وانا اليه راجعون ، رضينا عن الله قضاءه ، وسلمنا له أمره ، فوالله لن يصاب المسلمون بعد رسول الله ﷺ بعتك أبدا فألحقك الله بنبيه ، ولا حرمنا أجرك ، ولا أضلنا بمدك وسكت الناس حتى انقضى كلامه . ثم بكوا ، حتى علت أصواتهم

﴿ خطبة أخرى لعلل رضي الله عنه ﴾

أما بعد ، فان الدنيا قد أدبرت وأذنت بوداع ، وان الآخرة قد اقبلت وأشرفت باطلاع ، وان المضمار اليوم وغدا السباق . ألا وانكم في أيام مهل ومن ورائه أجل ، فن أخلص في أيام أملة فقد فاز ، ومن قصر في أيام أملة قبل حضور اجله فقد خسر عمله وضره أملة ، ألا فاعملوا لله في الرغبة كما تعملون له في الرهبة . الا واني لم ار كالجنة نام طالبيها ، ولا كالنار نام هاربيها . ألا وانه من لم ينفعه الحق يضربه الباطل ومن لم يستقم (١) به الهدى يجربه للضلال : ألا وانكم قد أمرتم بالظمن ودلتم على الزاد ، ألا وان أخوف ما أخاف عليكم الهوى وطول الامل

﴿ وخطب ﴾ فقال بعد حمد الله : أيها الناس اتقوا الله فما خلق امرؤ عبثا فيلهو ولا أهمل سدى فيلغو ، مادنياه التي تحسنت اليه بخلف من الآخرة التي قبحتها سوء النظر اليه ، وما الخسيس الذي ظفر به من الدنيا بأعلى همته كالأخر الذي ظفر به من الآخرة من مهمته

﴿ وكتب على رضي الله عنه الى عبدالله بن عباس رحمه الله وهو بالبصرة ﴾

أما بعد ، فان المرء يسر بدرك مالم يكن ليحرمه ، ويسوءه فوت مالم

(١) في الخطبة ومن لا يستقيم

يكن أيدركه ، فليكن سرورك بما قدمت من أجر أو منطلق ، وليكن أسفك (١) فيما فرطت فيه من ذلك ، وانظر ما فاتك من الدنيا فلا تمكث عليه جزعا ، وما نلتها فلا تنعم به فرحا ، وليكن همك لما بعد الموت

﴿ كلام لابن عباس رضي الله عنه ﴾

قال عتبة بن أبي سفیان لابن عباس : ما منع أمير المؤمنين أن يبعثك مكان أبي موسى يوم الحكمين ؟ قال : منعه - والله - من ذلك حاجز القدر ، وقصر المدّة ، ومحنة الابتلاء أما والله لو بعثني مكانه لاعترضت له في مدارج نفسه ناقضا لما أبرم ، ومبرما لما نفذ ، أسف إذا طار ، وأطير إذا أسف . واسكن مضى قدر وبقي أسف ، ومع يومنا غد ، والآخرة خير لا مبر المؤمنين من الأولى

﴿ خطبة لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه ﴾

أصدق الحديث كتاب الله ، وأوثق (٢) العرا كلمة التقوى . خير الملل ملّة إبراهيم ، وأحسن السنن سنة النبي ﷺ . خير الأمور أوساطها ، وشر الأمور محدثاتها . ما قل و كفى خير مما كثرت وألهى . خير الغنى غنى النفس ، وخير ما ألقى في القلب اليقين . الخرج جماع الأمم ، النساء حباله الشيطان ، الشباب شعبة من الجنون . حب الكفاية مفتاح المعجزة ، من الناس من لا يأتي الجماعة إلا دبرا ، ولا يذكر الله إلا هجرا . أعظم الخطايا اللسان الكذوب ، سباب المؤمن فسق وقتاله كفر وأكل لحمه معصية . من يتألّ على الله يكذبه ، من يغفر يغفر له ، مكتوب في ديوان المحسنين من عفا عني عنه ، الشقي من شقي في بطن أمه ، والسميد من وعظ بغيره ، الأمور بعواقبها ، ملاك العمل خواتيمه ، أشرف الموت الشهادة ، من يعرف البلاء يصبر عليه ، ومن لا يعرف البلاء ينكره .

(١) في الخطبة يابض يتسع لكلمة مكان (أسفك)

(٢) كذا في الخطبة . وفي المطبوعة (واصدق)



﴿ خطبة لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه ﴾

قال الراوي : لما حضرته الوفاة قال لمولى له : من بالباب ؟ فقال : نفر من قريش يقباشرون بموتك ! فقال : ويحك ولم ؟ ثم أذن للناس ، فحمد الله فأوجز ؛ ثم قال : أيها الناس ، انا قد أصبحنا في دهر عنود ، وزمن شديد ، يعد فيه المحسن مسيئاً ، ويزداد الظالم فيه عتوا ، لا ننتفع بما علمنا ، ولا نسأل عما جهلنا ولا نتخوف من قارعة حتى تحل بنا ، فالناس على أربعة أصناف : منهم من لا يمنعه الفساد في الارض الا مهانة نفسه وكلال حده ونضيبض وفره ، ومنهم المسلط (١) سيفه والمجلب برّ جلّه والمعلن (٢) بشره ، قد أشرط نفسه وأوبق دينه لحطام ينتهزه أو مقنب يقوده أو منبر يقرعه ، وبئس المتجر أن تراها لنفسك ثمناً ومماً لك عند الله عوضاً ، ومنهم من يطلب الدنيا بعمل الآخرة ولا يطلب الآخرة بعمل الدنيا ، قد طامن من شخصه ، وقارب من خطوه وشمر من ثوبه وزخرف نفسه للامانة ، واتخذ ستر الله ذريعة الى المعصية ، ومنهم من اقمده عن الملك ضمولة في نفسه ، وانقطع سببه ، فقصرته الحال فتحلى باسم القناعة ، وتزين بلباس الزهاد ، وايس من ذلك في مراح ولا ممدى . وبقي رجال اغض ابصارهم ذكر المرجع ، وأراق دموعهم خوف المحشر ، فهم بين شديد ناد ، وخائف متقمع ، وسأكت مكهوم ، وداع مخلص ، ووجع ثكلان ، قد أخلتهم التمية ، وشملتهم الذلة ، فهم في بحر أجاج ، أفواهم دامية ، وقلوبهم قريحة ، قد وعظوا حتى ملوا ، وقهروا حتى ذلوا ، وقتلوا حتى قتلوا ، فلتكن الدنيا في عيونكم أقل من حناتة القرظ وقراضة الجلم ، واتعظوا بمن كان قبلكم قبل أن يتعظ بكم من بعدكم ، فارفضوها ذميمة فإنها قد رفضت من كان أشرف بها منكم

(١) كذا الخطبة وهو أحسن . وفي المطبوعة ( ومنهم من المصلت )

(٢) في الخطبة « الملق » وما انتباه وفاقاً للنسخة المطبوعة احسن .

## ﴿ خطبة لعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ﴾

أيها الناس : انكم ميتون ثم انكم مبعوثون ثم انكم محاسبون فلعمري  
لئن كنتم صادقين لقد قصرتم ولئن كنتم كاذبين لقد هلكتم . يا أيها الناس انه  
من يقدر له رزق برأس جبل أو بحضيض أرض يأتيه . فأجلوا في الطلب

## ﴿ خطبة للحجاج بن يوسف ﴾

حمد الله وأثنى عليه ثم قال : يا أهل العراق ، ويا أهل الشقاق والنفاق ،  
ومساوى ، الاخلاق ، وبني الكيعة وعبيد العصا وأولاد الاما ، والقع  
بالقرقر ، اني سمعت تكبيرا لا يراد به الله وإنما يراد به الشيطان ، وإنما منلى  
ومثلكم ما قاله ابن برة الهمداني :

وكننت اذا قوم غزوني غزوتهم فهل أنا في ذا يالهمدان ظالم  
متى نجمم القلب الذكي وصارما وانما حميا تجتنبك المظالم  
أما والله لا تفرع عصا عصا الا جعلتها (١) كأس الدابر

## ﴿ خطبة لقس بن ساعدة الايادي ﴾

أخبرني محمد بن علي الانصاري بن محمد بن عامر ، قال : حدثنا علي بن  
ابراهيم ، حدثنا عبد الله بن داود بن عبد الرحمن العمري ، قال : حدثنا  
الانصاري علي بن محمد الحنظلي من ولد حنظلة الفسيل ، حدثنا جعفر بن محمد ،  
عن محمد بن حسان ، عن محمد بن حجاج اللخمي ، عن مجالد ، عن الشعبي ، عن  
ابن عباس ، قال : لما وفد وفد عبد القيس على رسول الله ﷺ قال : أيكم  
يعرف قس بن ساعدة قالوا : كلنا نعرفه يا رسول الله ، قال : لست أنساه بمكافئ  
اذ وقف على بعير له أحمر فقال : أيها الناس اجتمعوا واذا اجتمعتم فاسمعوا واذا

(١) في الخطبة (جملها)



سمعتهم فعوا واذا وعيتهم فقولوا واذا قلتم فاصدقوا . من عاش مات و من مات فات ؛ وكل ما هو آت آت . أما بعد ، فإن في السماء نجراً ، وان في الارض لعبرا . مهاد موضوع ، وسقف مرفوع ، ونجوم تمور ، وبحار لا تغور . أفسم بالله قس قسماً حقاً لا كاذباً فيه ولا آتئانن كان في الارض رضا ليكونن سخط ، ان لله تعالى ديننا هو أحب اليه من دينكم الذي انتم عليه ، وقد أناكم أوانه ولحقتكم مدته . مالى أرى الناس يذهبون فلا يرجعون ، أرضوا بالمقام فأقاموا ، أم تركوا فناموا ثم قال رسول الله ﷺ : أيكم بروى شعره ؟ فأنشدوه :

في الذاهبين الأولين من القرون لنا بصائر  
لما رأيت مواردا للموت ليس لها مصادر  
ورأيت قومي نحوها يسعى الاصغر والاكابر  
لا يرجع الماضي السرى ولا من الباقيين غابر  
أيقنت أنى لاحأ لة حيث صار القوم صائر

اخبرنى الحسن بن عبد الله بن سعيد ، حدثنا علي بن الحسين بن اسماعيل ، حدثنا محمد بن زكريا ، حدثنا عبد الله بن الضحاك ، عن هشام ، عن أبيه أن وفدا من اياد قدموا على رسول الله ﷺ ، فسألهم عن حال قس بن ساعدة ، فقالوا : قال قس :

ياناعى الموت والاموات في جدث عليهم من بقايا بزهم خرق  
دعهم فان لهم يوما يصاح بهم كما ينسه من نوماته الصعق  
منهم عراة ومنهم في ثيابهم منها الحديد ومنها الاورق انخلق

مطر ونبات ، وآباء وامهات ، وذاهب وآت ، وآيات في اثر آيات ، واموات بعد اموات . ضوء وظلام ، وليال وايام ، وغنى وفقير ، وشقى وسعيد ، ومحسن ومسيء . أين الارباب الفعلة . ليصلحن كل عامل عمله . كلا بل هو الله واحد ؛ ليس بمولود ولا والد ؛ أعاد وأبدى ؛ واليه المآب غدا .

اما بعد يا معشر ابادي ابن عمود وعادي وابن الآباء والاجداد ؛ ابن الحسن الذي لم يشكر ؛ ابن الظالم الذي لم ينقم ؟ كلا ورب السكمبة ليعودن مابدا ، ولئن ذهب يوم ليعودن يوم

قال : وهو قس بن ساعدة بن حذاق بن ذهل بن اباد بن نزار ، اول من آمن بالبعث من اهل الجاهلية ، واول من توکا على عصا ، واول من تكلم بأما بعد

### ﴿ خطبة لابي طالب ﴾

الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسماعيل ، وجعل لنا بلدا حراما وبيتا محجوجا ، وجعلنا الحكماء على الناس . وان محمد بن عبد الله بن أخي لا يوازن به فقي من قریش الا رجح به بركة وفضلا وعدلا ومجدا ونبلا . وان كان في المال مقلا فان المال عارية مسترجعة وظل زائل ، وله في خديجة بنت خويلد رغبة ، ولها فيه مثل ذلك ، وما أردتم من الصداق فعلي

\*\*\*

قد نسخت لك جملا من كلام الصدر الاول ومحاوراتهم وخطبهم ، وأحملك فيما لم أنسخ على التواريخ والكتب المصنفة في هذا الشأن ، فتأمل ذلك ، وسائر ما هو مسطر من الاخبار المأثورة عن السلف وأهل البيان واللسن ، والفصاحة والفظن ، والانفاظ المنتورة ، والمحاطبات الدائرة بينهم ، والامثال المنقولة عنهم ، ثم انظر بسكون طائر وخفض جناح وتفريغ اب وجمع عقل في ذلك ، فسيق لك الفضل بين كلام الناس وبين كلام رب العالمين ، وتعلم أن نظم القرآن يخالف نظم كلام الآدميين ، وتعلم الحد الذي يتفاوت بين كلام البليغ والبليغ والخطيب والخطيب والشاعر والشاعر وبين نظم القرآن جملة ، فان خيل اليك أو شبه عليك ، وظننت أنه يحتاج أن يوازن بين نظم الشعر والقرآن لان الشعر أفصح من الخطب وأبرع من الرسائل وأدق مسلكا من جميع أصناف المحاورات - ولذلك قالوا له <sup>عليه السلام</sup> هو شاعر أو ماحر - وسؤل اليك الشيطان ان الشعر أبغ وأعجب ،



وارق وابرع ، وأحسن الكلام وأبدع ، فهذا فصل فيه نظر بين المتكلمين وكلام  
بين المحققين

أسمعت أفضل من رأيت من أهل العلم بالأدب والحدق بهذه الصناعة مع تقدمه  
في الكلام يقول : ان الكلام المنشور يتأني فيه من الفصاحة والبلاغة ما لا يتأني  
في الشعر ، لان الشعر يضيق نطاق الكلام ، ويمنع القول من انتهائه ، ويصدده  
عن تصرفه على سننه . وحضره من يتقدم في صنعة الكلام فراجمه في ذلك ،  
وذكر أنه لا يتمتع أن يكون الشعر أبلغ اذا صادف شروط الفصاحة ، وأبدع  
اذا تضمن أسباب البلاغة . ويشهد عندي للقول الاخير أن معظم براعة كلام  
العرب في الشعر ، ولا نجد في منشور قوهم ما نجد في منظومه ، وان كان قد  
أحدثت البراعة في الرسائل على حد لم يعمد في سالف أيام العرب ، ولم ينقل  
من دواوينهم وأخبارهم ، وهو وان ضيق نطاق القول فهو يجمع حواشيه ويضم أطرافه  
ونواحيه ، فهو اذا تهذب في باب زوئي له جميع أسبابه ، لم يقاربه من كلام  
الآدميين كلام ، ولم يمارضه من خطابهم خطاب ، وقد حكي عن المتنبي أنه  
كان ينظر في المصحف فدخل اليه بعض أصحابه فأنكر نظره فيه لما كان رآه عليه  
من سوء اعتقاده ، فقال له : هذا (١) المكي على فصاحته كان مفتوحا . فان صحت  
هذه الحكاية عنه في الحاده عرف بها (٢) أنه كان يعتقد أن الفصاحة في قول  
الشعر أبلغ واذا كانت الفصاحة في قول الشعر أو لم تكن وبيننا ان نظم القرآن  
يزيد في فصاحته على كل نظم ، ويتقدم في بلاغته على كل قول ، بما يتضح  
به الامر اقضاح الشمس ، ويتبين به بيان الصبح - وقفت على جليله هذا الشأن .  
فانظر فيما نعرضه عليك ما نعرضه ، وتصور بفهمك ما نصوره ، ليقع لك موقع  
عظيم شأن القرآن ، وتأمل ما ترتبه ينكشف لك الحق ، . اذا أردنا تحقيق  
ما ضمنناه لك فمن سبيلنا أن نعمد الى قصيدة متفق على كبر محلها ، وصحة نظمها

وجودة بلاغتها ومعانيها ، واجتماعهم على ابداع صاحبها فيها ، مع كونه من الموصوفين بالتقدم في الصناعة والمعروفين بالحدق في البراعة ، فنقفك (١) على مواضع خلها ، وعلى تفاوت نظنها ، وعلى اختلاف فصولها ، وعلى كثرة فصولها ، وعلى شدة تعسفها ، وبعض تكلفها ، وما يجمع من كلام رفيع يقرن بينه وبين كلام ضميم ، وبين لفظ شوقي يقرن بلفظ ملوكي ، وغير ذلك من الوجوه التي يجيء تفصيلها ، ونبين ترتيبها وتنزيلها

فأما كلام مسيلة الكذاب وما زعم أنه قرآن فهو أخس من أن نشغل به وأسخر من ان نفكر فيه . وإنما قلنا منه طر فاليتعجب القاري ، وليتبصر الناظر ، فانه على سخافته قد أضل ، وعلى ركا كته قد أزل (١) ، وميدان الجهل واسع ، ومن نظر فيما نقلناه عنه ، وفهم موضع جهله ، كان جديراً أن يحمد الله على ما رزقه من فهم وآتاه من علم . فما كان يزعم أنه نزل عليه من السماء : « والليل الاطعمهم والذئب الادلم ، والجذع الازلم ، ما اتهمك أسيد من محرم » وذلك قد ذكر في خلاف وقع بين قوم أتوه من أصحابه ، وقال أيضاً « والليل الدامس ، والذئب الهامس ، ما قطعت أسيد من رطب ولا يابس » وكان يقول : « والشاة وألوانها ، وأعجبها السود وألبانها ، والشاة السوداء واللبن الابيض ، لانه لعجب محض ، وقد حرم المذق فما لكم لا تجتمعون » وكان يقول : « ضفدع بنت ضفدعين ، نقي ما تنقين ، أعلاك في الماء وأسفلك في اللطين ، لا الشارب تمنعين ، ولا الماء تكدرين ، لنا نصف الارض ولقريش نصفها ، ولكن قريشا قوم يعتقدون » وكان يقول : « والمبيدات زراعا ، والحاصدات حصسداً ، والذاريات قمحاً ، والطاحنات طحناً والخابزات خبزاً ، والشاردات ثرداً ، واللاقيات لهما ، إهالة وصمنا ، لقد فضلم على أهل الوبر ، وما سبقكم أهل المدر .

(١) كذا في الخطية وهي أصح . وفي المطبوعة (نوقفك)

(٢) الاصل المطبوع اذل بالذال وما اثبتاه عن الخطية



ريفيكم فامنوه<sup>(١)</sup> والمعتر فأووه ، والباضي فناووه ، وقالت سجاح بنت الحارث بن عقبان - وكانت تتنبأ فاجتمع مسيلة معها - فقالت له : ما أوحى إليك ؟ فقال : « ألم تر كيف فعل ربك بالحلي ، أخرج منها نسمة تسعى ، من<sup>(٢)</sup> بين صفاق وحشا » وقالت : فما بعد ذلك ؟ قال : أوحى اليّ « ان الله خلق النساء أفواجا ، وجعل الرجال من أزواج ، فنولج فيهن قعسا ايلجا ، ثم نخرجها اذا شئنا اخراجا ، فينتجن لنا سخالاتجا » فقالت : أشهد أنك نبي . ولم ينقل كل ما ذكر من سخفه كراهية التثقيب . وروى أنه سأل أبو بكر الصديق رضي الله عنه أقواما قدموا عليه من بني حنيفة عن هذه الالفاظ فحكوا بعض ما نقلناه ، فقال أبو بكر سبحان الله ويحكم إن هذا الكلام لم يخرج عن آل : فأين كان يذهب بكم ؟ ومعنى قوله « لم يخرج عن آل » أي عن ربونية . ومن كان له عقل لم يشتبه عليه سخف هذا الكلام

فنرجع الآن الى ما ضمناه من الكلام على الاشعار المتفق على جودتها وتقدم أصحابها في صناعتهم ، ليتبين لك تفاوت أنواع الخطاب ، وتباعد مواقع البلاغة ، وتستدل على مواضع البراعة ، وأنت لا تشك في جودة شعر امرئ القيس ، ولا ترتاب في براعته ، ولا تتوقف في فصاحته ، وتعلم أنه قد أبدع في طرق الشعر أمورا أتبع فيها من ذكر الديار والوقوف عليها الى ما يتصل بذلك من البديع الذي أبدعه ، والنشبيه الذي أحدثه ، والتمايح الذي يوجد في شعره<sup>(٣)</sup> والتصرف الكثير الذي تصادفه في قوله ، والوجوه التي ينقسم إليها كلامه من<sup>(٤)</sup> صناعة وطبع وسلاسة وعلو<sup>(٥)</sup> ومتانة ورقة وأسباب تحمد وأمور تؤثر وتمدح ، وقد ترى الأدباء أو لا يوازنون بشعره فلانا وفلاتا ، ويضمون أشعارهم الى شعره ، حتى ربما وازنوا بين شعر من لقيناه وبين

(١) من هنا تغيرت النسخة الخطية وكتب على هامش الصحيفة : ( هذه التكملة نقلت من نسخة عبد الله باشا )  
 (٢) ليس في الخطية ( من )  
 (٣) في المطبوعة ( والتمح ) . وفي الخطية ( والمليح الذي تحمد في شعره )  
 (٤) في الخطية ( في )  
 (٥) في الخطية ( وعفو )

[ شعره ] <sup>(١)</sup> في أشياء لطيفة وأمور بديعة ، وربما فضلوم عليه ، أو سووا بينهم وبينه ، أو قربوا موضع تقدمهم عليه ، وبرزه بين أيديهم . ولما اختاروا قصيدته في السبعيات أضافوا إليها أمثالها وقرنوا بها نظائرها ، ثم تراهم يقولون إعلان لامية مثلها ، ثم ترى أنفس الشعراء تشوق إلى معارضته ، وتساويه في طريقته ، وربما عثرت في وجهه على أشياء كثيرة <sup>(٢)</sup> ، وتقدمت عليه في أسباب عجيبة ، وإذا جاءوا إلى تعداد محاسن شعره كان أمراً محصوراً ، وشياً معروفاً أنت نجد من ذلك البديع أو أحسن منه في شعر غيره ، وتشاهد مثل ذلك البارع في كلام سواه ، وتنظر إلى المحدثين كيف توغلوا إلى حيازة المحاسن ، منهم من <sup>(٣)</sup> جمع رصانة الكلام إلى سلاسته ، وماتته إلى عدوبته والاصابة في معناه إلى تحسین بهجته ، حتى أن منهم من إن قصر عنه في بعض تقدم عليه في بعض ، لأن الجنس الذي يرمون إليه ، والغرض الذي يتواردون عليه ، مما لا آدمي فيه مجال للبشري فيه مثال ، فكل يضرب فيه بسهم ، ويفوز فيه بقدر ، ثم قد تفاوتت السهام تفاوتاً ، وتباين تبايناً وقد تتقارب تقارباً ، على حسب مشاركتهم في الصنائع ، ومساهماتهم في الحرف . ونظم القرآن جنس مميز وأسلوب متخصص وقبيل عن النظير <sup>(٤)</sup> متخلص فاذا شئت أن تعرف عظم شأنه فتأمل ما نقوله في هذا الفصل لامرئ القيس في أجود أثماره ، وما نبين لك من عوارفه على التفصيل وذلك قوله :

فقا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فقومل  
فتوضح فلقراءة لم يعرف رسمها لما نسجتها من جنوب وشمال  
الذين يتعصبون له أو يدعون محاسن الشعر يقولون هذا من البديع لأنه

(١) هذه الكلمة ساقطة من النسخة الخطية

(٢) في الخطية ( وربما عبرت في وجهه في أشياء كثيرة )

(٣) في الخطية ( في ) (٤) في الخطية ( النظم )



وقف واستوقف ، وبكى واستبكى ، وذکر العهد والمنزل والحبيب ، وتوجع واسترجع ، كله في بيت ، ونحو ذلك ، وانما بيننا هذا لثلا يقع لك ذهابنا عن مواضع المحاسن ان كانت ، ولا غفلتنا عن مواضع الصناعة ان وجدت . تأمل أرشدك الله وانظر هداك الله ، أنت تعلم أنه ليس في البيتين شيء قد سبق في ميدانه شاعرا ، ولا تقدم به صائما . وفي لفظه ومعناه خلل ، فأول ذلك أنه استوقف من يبكي لذكر الحبيب<sup>(١)</sup> وذكراه لا يقتضي بكاء الخلى وانما يصح طلب الاسعاد في مثل هذا ، على أن يبكي لبكائه ، ويرق لصديقه في شدة برحائه ، فأما ان يبكي على حبيب صديقه ، وعشيق رفيقه ، فأمر محال ، فان كان المطلوب وقوفه وبكاؤه أيضاً عاشقاً صح الكلام وقصد المعنى من وجه آخر لانه من المسخف أن لا يفار على حبيبه ، وأن يدعو غيره الى التغازل عليه ، والتواجد معه فيه . ثم في البيتين مالا يفيد من ذكر هذه المواضع ، وتسمية هذه الاماكن ، من الدخول وحومل وتوضيح المقرأة وسقط اللوى ، وقد كان يكفيه أن يذكر في التعريف بعض هذا ، وهذا التطويل اذا لم يفد كان ضربا من العبي؛ ثم ان قوله « لم يعرف رسمها » ذكر الاصمعي من محاسنه أنه باق فنحن نحزن على مشاهدته فلو عفا لاسترحنا وهذا بأن يكون من مساويه أولى ، لانه ان كان صادق الود فلا يزيد عفا الرسم الاجدة عهد ، وشدة وجد ، وانما قرع له الاصمعي الى<sup>(٢)</sup> افادته هذه الفائدة خشية أن يصاب عليه ، فيقال : أي فائدة لان يعرفنا انه لم يعرف رسم منازل حبيبه ؟ وأي معنى لهذا الحشو ؟ فذكر ما يمكن أن يذكر ، ولاكن لم يخلصه بانتصاره له من الخلل . ثم في هذه الكلمة خلل آخر ، لانه عقب البيت بأن قال : « فهل عند رسم دارس من معول » فذكر أبو عبيدة أنه رجم فأكذب نفسه كما قال زهير :

(١) كذا في النسخة المطبوعة وفي الخطية ( استوقف ثم بكى لذكر الحبيب ) وفي العبارتين قصور

(٢) في الخطية ( ١٤ )

قف بالديار التي لم يمفها القدم نعم وغيرها الارواح والديم<sup>(١)</sup>  
وقال غيره : أراد بالبيت الاول أنه لم ينطس أثره كله ، وبالتالي انه ذهب  
بعضه ، حتى لا يتناقض الكلامان ، وليس في هذا انتصار لان معنى عفا ودرس  
واحد ، فاذا قال لم يعف رسمها ثم قال قد عفا فهو تناقض لا محالة ، واعتذار أبي  
عبيدة أقرب لو صح ، ولكن لم يرد هذا القول مورد الاستدراك كما قاله زهير  
فهو الى الخلل أقرب ، وقوله « لما نسجتها » كان ينبغي أن يقول لما نسجها  
ولكنه تعسف فجعل مافي تأويل التأنيث لانها في معنى الريح ، والاولى التذكير  
دون التأنيث ، وضرورة الشعر قد دلته على هذا التعسف . وقوله « لم يعف رسمها »  
كان الأولى أن يقول « لم يعف رسمه » لانه ذكر المنزل ، فان كان رد ذلك  
الى هذه البقاع والاماكن التي المنزل واقع بينها فذلك خلل ، لانه انما يريد صفة  
المنزل الذي نزله حبيبه بعفائه ، أو بأنه لم يعف دون ماجاوره ، وان أراد بالمنزل  
الدار حتى أنت فذلك أيضاً خلل ، ولو سلم من هذا كله ومما نكره ذكره كراهية  
التطويل لم نشك في أن شعر أهل زماننا لا يقصر عن البيتين ، بل يزيد عليهما  
ويفضلهما ، ثم قال :

وقوفاً بها صحبي على مطيهم يقولون لانهلك أمي ونحمل<sup>(٢)</sup>

وان شغائى عبرة مهراقة فهل عند رسم دارس من معول

وليس في البيتين أيضاً معنى بديع ، ولا لفظ حسن كالأولين ، والبيت  
الاول منهما متعلق بقوله : « قفا نيك » فكأنه قال قفا وقوف صحبي بها على  
مطيهم أو قفا حال وقوف صحبي وقوله « بها » متأخر في المعنى وان تقدم في اللفظ ،  
ففي ذلك تكلف وخروج من<sup>(٣)</sup> اعتدال الكلام ، والبيت الثاني مختل من جهة  
أنه قد جعل اللمع في اعتقاده شافياً كافياً ، فما حاجته بعد ذلك الى طلب حيلة

(١) في ديوان زهير : « لي وغيرها الارواح والديم »

(٢) تحمل : يروى بالحاء المهملة والياء الجيم (٣) في الخطبة ( عن )



أخرى ، وتحمل ومعول عند الرسوم ؟ ولو أراد أن يحسن الكلام لوجب أن يدخل على أن الدمع لا يشفيه لشدة مابه من الحزن ، ثم يسأل هل عند الربع من حيلة أخرى ؟ وقوله :

كدأ بك من أم الحويرث قبلها وجارتها أم الرباب بنأسل  
إذا قامتا تَضَوَّع المسك منها نسيم الصبا يأتي <sup>(١)</sup> بريا القرنفل

أنت لا تشك في أن البيت الأول قليل الفائدة ليس له مع ذلك بهجة ، فقد يكون الكلام مصنوع اللفظ وإن كان منزوع المعنى ، وأما البيت الثاني فوجه التكاف فيه قوله : « إذا قامتا تَضَوَّع المسك منها » ولو أراد أن يجوّد أفاد أن بهما طيباً على كل حال فأما في حال القيام فقط فذلك تقصير. ثم فيه خلل آخر ، لأنه بعد أن شبه عرّفها بالمسك شبه ذلك بنسيم القرنفل وذ كر ذلك بعد ذكر المسك نقص . وقوله « نسيم الصبا » في تقدير المنقطع عن المصراع الأول لم يصله به وصل مثله . وقوله :

ففاضت دموع العين منى صباية على النحر حتى بلّ دمي محلي  
ألا رب يوم لك منهن صالح <sup>(٢)</sup> ولا سيما يوم بدارة جلجل

قوله : ففاضت دموع العين ، ثم استعانته بقوله منى استعانة ضعيفة عند المتأخرين في الصنعة ، وهو حشو غير مليح ولا بديع ، وقوله : « على النحر » حشو آخر لان قوله « بلّ دمي محلي » [ يعني عنه وبدل عليه ، وليس بحشو حسن ] ثم قوله « حتى بلّ دمي محلي » <sup>(٣)</sup> [ إعادة ذكره الدمع حشو آخر ، وكان يكفيه أن يقول حتى بلت محلي فاحتاج لاقامة الوزن الى هذا كله ، ثم تقديره انه قد أفرط في افاضة الدمع حتى بل محله تفريط منه وتقصير ، ولو كان

(١) التي في ديوان امرئ القيس ( جارت ) وكذا هو في الخطبة

(٢) ويروي : « الأرب يوم صالح لك متها »

(٣) هذه الزيادة ليست موجودة في الخطبة

أبدع لكان يقول : حتى بلّ دمي مغاينهم وعراصهم ، ويشبه أن يكون غرضه إقامة الوزن والقافية ، إذ الدمع يبعد أن يبل المحمل وإنما يقطر من الوافف والقاعد على الأرض أو على الذليل ، وإن بله فلقلته وأنه لا يقطر ، وأنت تجدد في شعر الخبز رزي ما هو أحسن من هذا البيت وأمن وأعجب منه ، والبيت الثاني خال من المحاسن والبديع ، خلو من المعنى ، وليس له لفظ يروق ولا معنى يروع من طبائع السوق ، فلا يرعك نهويله باسم موضع غريب ، وقال :

ويوم عقرت للعناري مطيقي فيا عجيباً من رحلها المتحمل  
فظل العناري يرتمين بلحمها وشحم كهداب الدمقس المقتل

تقديره إذ كر يوم عقرت مطيقي ، أو برده على قوله : « يوم بدارة جلجل » وليس في المصراع الأول من هذا البيت الاسفاهته <sup>(١)</sup> قل بعض الأدباء : قوله « يا عجيباً » يعجبهم من سفهه في شبابه من نحره نافته لهم ، وإنما أراد أن لا يكون الكلام من هذا المصراع منقطعاً عن الأول ، وأراد أن يكون الكلام ملائماً له ، وهذا الذي ذكره بعيد ، وهو منقطع عن الأول ، وظاهره أنه يتعجب من تحمل العناري رحله ، وليس في هذا تعجب كبير ، ولا في نحر الناقة لمن تعجب ، وإن كان يعني به أنهم حملن رحله وإن بعضهن حملته فغير عن نفسه برحله فهذا قليلاً يشبه أن يكون عجيباً ، لكن الكلام لا يدل عليه ويتجافى عنه . ولو سلم البيت من العيب لم يكن فيه شيء غريب ، ولا معنى بديع ، أكثر من سفاهته مع قلة معناه وتقارب أمره ومشاكلته طبع المتأخرين من أهل زماننا وإلى هذا الموضع لم يمر له بيت رائق وكلام رائق ، وأما البيت الثاني فيعدونه حسناً ويعدون التشبيه مليحاً واقعاً ، وفيه شيء ، وذلك أنه عرف اللحم ونكر الشحم ، فلا يعلم أنه وصف شحمها ، وذكر تشبيه أحدهما بشيء واقع ، وعجز عن تشبيه القسمة الأولى فمرت مرسله ، وهذا قص في الصنعة وعجز عن إعطاء

(٢) في الخطبة - لاملته وهو خطأ



الكلام حقه . وفيه شيء آخر من جهة المعنى ، وهو أنه وصف طعامه ( الذي أطعم من أضاف ) بالجودة وهذا قد يعاب ، وقد يقال : ان العرب تفتخر بذلك ولا يرونه عيباً ، وإنما للفرس هم الذين يرون هذا عيباً شنيعاً ، وأما تشبيه الشحم بالدمقس فشيء يقع للعامة ويجري على ألسنتهم فليس بشيء قد سبق إليه ، وإنما زاد « المقتل » للفاقية وهذا مفيد ومع ذلك فلست أعلم العامة تذكر هذه الزيادة ولم يعدت أهل الصنعة ذلك من البديع ، ورأوه قريباً . وفيه شيء آخر ، وهو أن تبجيحه بما أطعم للاجباب مذموم وان سوغ التبجيح بما أطعم للأضياف ، الا أن يورد الكلام مورد الخجون ، وعلى طريق أبي نواس في المزاح والمداعبة وقوله :

ويوم دخلت الخدر خدر عنيزة      فقالت لك الويلات انك مرجلي  
تقول وقد مال الغبيط بنا معا      عقرت بعيري يا امرأ القيس فانزل

قوله : « دخلت الخدر خدر عنيزة » ذكره تكميلاً لاقامة الوزن لا فائدة فيه غيره ، ولا ملاحه له ولا رونق ، وقوله في المصراع الاخير من هذا البيت : « فقالت لك الويلات انك مرجلي » كلام مؤنث من كلام النساء نقله من جهته الى شعره ، وليس فيه غير هذا ، وتكريره بعد ذلك « تقول وقد مال الغبيط » يعني قتب الهودج بعد قوله : « فقالت لك الويلات انك مرجلي » لا فائدة فيه غير تقدير الوزن ، والا فحكاية قولها الاول كاف ، وهو في النظم قبيح ، لانه ذكر مرة « فقالت » ومرة « تقول » في معنى واحد وفصل خفيف . وفي مصراع الثاني أيضاً تأنيث من كلامهن ، وذكر أبو عبيدة أنه قال : « عقرت بعيري » ولم يقل ناقتي لانهم يحملون النساء على ذكر الابل لانها أقوى ، وفيه نظر ، لان الاظهر أن البعير اسم للذكر والانثى ، واحتاج الى ذكر البعير لاقامة الوزن ، وقوله :

فقلت لها سيري وأرخي زمامه      ولا تبعديني من جنائك المائل

فمثلك حبلى قد طرقت ومرضع فألهيتها عن ذى تمام مغيل<sup>(١)</sup>  
 البيت الأول قريب النسيج ليس له معنى بديع ولا لفظ شريف ، كأنه من  
 عبارات المنحطين في الصنعة ، وقوله « فمثلك حبلى قد طرقت » عابه عليه أهل  
 العربية ، ومعناه عندهم حتى يستقيم الكلام فرب مثلك حبلى قد طرقت ، وتقديره  
 انه زير نساء وانه يفسدهن ويلهين عن حبلهن ورضاعهن ، لان الحبلى والمرضعة  
 أبعد من الغزل وطلب الرجال ، والبيت الثاني في الاعتذار والاستهتار<sup>(٢)</sup>  
 والتهيام وغير منتظم مع المعنى الذي قدمه في البيت الاول ، لان تقديره لا تبعديني  
 عن نفسك فاني أغلب النساء ، وأخذهن عن رأيهن ، وأفسدهن بالتغازل ،  
 وكونه مفسدة لمن لا يوجب له وصلهن وترك إيمادهن اياه ، بل يوجب هجره  
 والاستخفاف به لسخفه ودخوله كل مدخل فاحش وركوبه كل مركب فاسد  
 وفيه من الفحش والتفحش ما يستنكف الكريم من مثله ويأنف من ذكره ،  
 وكقوله :

إذا ما بكى من خلفها انصرفت له بشق وتحتي شقها لم يحول  
 ويوماً على ظهر الكشير تعذرت على وآت حلفه لم تحلل

فالبيت الاول غاية في الفحش ونهاية في السخف ، وأي فائدة لذكره  
 لعشيقته كيف كان يركب هذه القبائح ويذهب هذه المذاهب ويرد هذه  
 الموارد ؟ ان هذا ليبغضه كل من سمع كلامه ويوجب له المقت ، وهو لو صدق  
 لكان قبيحاً فكيف ويجوز أن يكون كاذباً ؟ ثم ليس في البيت لفظ بديع ولا  
 معنى حسن ، وهذا البيت متصل بالبيت الذي قبله من ذكر المرضع التي لها ولد  
 محول ، فأما البيت الثاني وهو قوله : « ويوماً » يتعجب منه وانما تشددت  
 وتسررت عليه وحلفت عليه فهو<sup>(٣)</sup> كلام رديء النسيج لا فائدة لذكره لنا أن  
 حبيبتنا تمنعت عليه يوماً بموضع يسميه ويصفه ، وأنت تجحد في شعر المحذنين من

(١) يروي : محول  
 (٢) في الخطبة : والاستهتار  
 (٣) هنا جواب اما ، وانظر ابن تمام قوله : وانما تشددت ، ولعله وانها



هذا الجنس في المتغزل ما يذوب معه اللب وتطرب عليه النفس ، وهذا مما تستنكره النفس ويشمئز منه القلب ، وليس فيه شيء من الاحسان والحسن ، وقوله :

أفأطم مهلاً بعض هذا التمدل وان كنت قد أزمعت صرعى فاجملي  
أغرّك مني أن حبك قاتلي وانك مها تأمري القلب يفعل

فاليق الأول فيه ركاكة جداً ، وتأنيث ورقة ولكن فيها تخنيث ، ولعل قاتلاً يقول ان كلام النساء بما يلائمن من الطبع أوقع وأغزل . وليس كذلك ، لانك تجد الشعراء في الشعر المؤنث لم يعدلوا عن رصانة قولهم . والمصراع الثاني منقطع عن الاول لا يلائمه ولا يوافق ، وهذا يبين لك اذا اعترضت (١) معه البيت الذي تقدمه . وكيف ينكر عليها تدلها ، والمتغزل يطرب على دلالة الحبيب وتدلّه ؟ والبيت الثاني قد عيب عليه لأنه قد أخبر أن من سبيلها أن لا تغتر بما يريها من أن حبها يقتله ، وانها تملك قلبه فما أمرته فعله ، والحب اذا أخبر عن مثل هذا صدق ، وان كان المعنى غير هذا الذي عيب عليه وانما ذهب مذهبا آخر وهو أنه أراد أن يظهر التجلد فهذا خلاف ما اظهر من نفسه فيما تقدم من الايات من الحب واللبكاء على الاحبة ، فقد دخل في وجه آخر من المناقضة والاحالة في الكلام ، ثم قوله : « تأمري القلب يفعل » معناه تأمريني والقلب لا يؤمر ، والاستعارة في ذلك غير واقعة ولا حسنة ، وقوله :

فان كنت قد ساءت مني خليقة فسلي ثيابي عن (٢) ثيابك تنسل  
وما ذرفت عينك إلا لتضربي بسهميك في أعشار قلب مقتل

البيت الاول قد قيل في تأويله : انه ذكر الثوب وأراد البدن ، مثل قول الله تعالى : « وثيابك فطير » وقال أبو عبيدة : هذا مثل للهجر ، وتسل تبين

(١) في الخطبة ( عرضت )

(٢) في الخطبة والديوان ( من )

وهو بيت قليل المعنى ركيكه وضعفه ، وكل ما أضاف الى نفسه ووصف به نفسه سقوط وسفه وسخف [ و ] يوجب (١) قطعه ، فلم لم يحكم على نفسه بذلك ولكن يورده مورد أن ليست له خليفة توجب هجرانه والتقضي من وصله وانه مهذب الاخلاق شريف الشئال فذلك يوجب أن لا ينفك من وصله ، والاستعارة في الصراع الثاني فيها تواضع وتقارب وان كانت غريبة . وأما البيت الثاني فمعدود من محاسن القصيدة وبدائنها ، ومعناه ما بكيت الالتمجرحي قلبا معشراً - أي مكسراً - من قولهم : برمة أعشار اذا كانت قطعاً - هذا تأويل ذكره الاصمعي رضي الله عنه ، وهو أشبه عندنا كثيرهم . وقال غيره : وهذا مثل للأعشار التي تقسم الجزور عليها ، ويعني بسهميك المملئ وله سبعة أنصباء ، والرفيب وله ثلاثة أنصباء . فأراد أنك ذهبت بقلبي أجمع ، ويعني بقوله : « قتل » مذل ، وأنت تعلم أنه على ما يعني به فهو غير موافق للآيات المتقدمة لما فيها من التناقض الذي بينا ، وبشبه أن يكون من قال بالتأويل الثاني فزع اليه لانه رأى اللفظ مستكراً على المعنى الأول لأن القائل اذا قل « ضرب فلان بسهمه في الهدف » بمعنى أصابه كان كلاماً ساقطاً مردولاً ، وهو يرى أن معنى الكلمة ان عينها كالسهمين النافذين في إصابة قلبه المحروح فلما بكمتا وذرفنا بالدموع كانتا ضاربتين في قلبه ، ولكن من حمل على التأويل الثاني سلم من الخلل الواقع في اللفظ ، ولكنه اذا حمل على الثاني فسد المعنى واختل ، لانه ان كان محتاجاً - على ما وصف به نفسه من الصبابة - فقلبه كله لها فكيف يكون بكاؤها هو الذي يخلص قلبه لها ؟

واعلم بعد هذا أن البيت غير ملائم للبيت الاول ولا متصل به في المعنى وهو منقطع عنه لانه لم يسبق كلام يقتضي بكاءها ولا سبب يوجب ذلك ، فتركيبه هذا الكلام على ما قبله فيه اختلال ، ثم لو سلم له بيت من عشرين



بيتاً وكان بديعاً ولا عيب فيه فليس بعجيب ، لانه لا يدعى على مثله ان كلامه كله متناقض ونظمه كله متباين ، وانما يكفي أن نبين أن ما سبق من كلامه الى هذا البيت مما لا يمكن أن يقال انه يتقدم فيه أحداً من المتأخرين فضلاً عن المتقدمين ، وانما قدم في شعره لايبات قد برع فيها وبان حذقه بها ، وانما أنكرنا أن يكون شعره متناسباً في الجودة ، ومتشابهاً في صحة المعنى واللفظ ، وقلنا انه يتصرف بين وحشي غريب مستنكر وعربية كلهل مستنكرة<sup>(١)</sup> وبين كلام سليم متوسط ، وبين عامي سوقي في اللفظ والمعنى ، وبين حكمة حسنة ، وبين سخف مستشنع ، ولهذا قال الله عز اسمه : « ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا كثيراً » فأما قوله :

وبيضة خدر لا يرام خباؤها      تمتعت من لهُو بها غير معجل  
تجاوزت أحراساً البها ومشرأ      على حراسا لو يسرون مقتلى  
فقد قالوا : عنى بذلك انها كبيضة خدر في صفائها ورقتها ، وهذه كلمة حسنة ولكن لم يسبق اليها ، بل هي دائرة في أفواه العرب وتشبيه سائر ، ويعني بقوله : « غير معجل » انه ليس ذلك مما يتفق قليلاً وأحياناً ، بل يتكرر له الاستمتاع بها ، وقد يحمله غيره على انه رابط الجأش فلا يتعجل اذا دخلها خوف حصانها ومنعتها . وايس في البيت كبير فائدة ، لانه الذي حكى في سائر أبيانه فلا تتضمن مطارلته في المغازلة واشغاله بها ففكر يره في هذا البيت مثل ذلك قليل المعنى ، الا الزيادة التي ذكر من منعتها ، وهو - مع ذلك - بيت سليم اللفظ في المصراع الاول دون الثاني ، والبيت الثاني ضعيف . وقوله : « لو يسرون مقتلى » أراد أن يقول لو أسروا ، فاذا نقله الى هذا ضعف ووقع في مضار الضرورة ، والاختلال على نظمه بين ، حتى أن المحترز يحترز من مثله ، وقوله :

(١) في الخطبة ( . مستكرمة )

إذا ما الثريا في السماء تعرضت - تعرض أثناء الوشاح المفصل  
 قد أنكر عليه قوم قوله : « إذا ما الثريا في السماء تعرضت » وقالوا :  
 الثريا لا تتعرض ، حتى قال بعضهم : صمى الثريا وإنما أراد الجزاء لأنها تعرض  
 والعرب تفعل ذلك ، كما قال زهير : « كأجر عاد » وإنما هو أجر ثمود  
 وقال بعضهم في تصحيح قوله « تعرض » . أول ما تطلع ، كما أن الوشاح  
 إذا طرح يلقاك بعرضه وهو ناحيته ، وهذا كقول الشاعر :

تعرضت لي بمجان خل تعرض المهرة في الطول

يقول : تريك عرضها وهي في الرسن ، وقال أبو عمرو : يعني إذا أخذت  
 الثريا في وسط السماء ، كما يأخذ الوشاح وسط المرأة . والأشبه عندنا أن البيت  
 غير<sup>(١)</sup> معيب من حيث هابوه به ، وأنه من محاسن هذه القصيدة ، ولولا أبيات  
 عدة فيه لقاله ما شئت من شعر غيره ، ولكن لم يأت فيه بما يفوت الشأو  
 ويستولى على الامد

أنت تعلم أنه ليس المتقدمين ولا للمتأخرين في وصف شيء من النجوم  
 مثل ما في وصف الثريا وكل قد أبدع فيه وأحسن ، فلما أن يكون قد عارضة  
 أوزاد عليه ، فمن ذلك قول ذي الرمة :

وردت اعتسافا والثريا كأنها على قمة الرأس ابن ماء حلق

ومن ذلك قول ابن المعتز :

وترى الثريا في السماء كأنها يمضات أذحي يلحن بفدند

وكقوله :

كأن الثريا في أواخر ليلا نفتح نور أوجام مفضض



وقوله أيضا :

فناولنها والثريا كأنها جنى نوحس حيا الندامى به الساقى  
وقول الاشهب بن رميلة :

ولاحت لسارها الثريا كأنها لدى الانق الغربي قرط مسلسل  
ولابن المعتز :

وقد هوى النجم والجوزاء فتمبه كذات قرط أرادته وقد سقطا  
أخذه من ابن الرومى في قوله :

طيب ريقه اذا ذقت فاه والثريا بجانب الغرب قرط  
ولابن المعتز :

قد سقطني المدام والصبح بالليل مؤزر  
والثريا كنور غصن على الأرض قد نشر

وقوله :

وتروم الثريا في السماء مراما  
كانكباب طمر كاد يلقي لجاما (١)

ولابن الطبرية :

اذا ما الثريا في السماء كأنها جمان وهى من سلكه فتبددا

ولو نسخت لك كل ما قالوا من البديع في وصف الثريا لطل عليك

الكتاب وخرج عن الغرض ، وإنما تريد أن نبين لك أن الابداع في نحو هذا أمر

(١) الرواية في الديوان هكذا :

ياخلى حيا واسقيان المدام  
قد لبنا صباحا وخلعنا ظلاما  
وتروم الثريا في الغروب مراما  
كانكباب طمر كاد يلقي للجاما

قريب وليس فيه شيء غريب ، وفي جملة ما نقلناه ما يزيد على تشبيهه في الحسن أو يساويه ، أو يقاربه ، فقد علمت أن ما حلق فيه ، وقدر المتعصب له أنه بلغ النهاية فيه أمر مشترك ، وشريعة مورودة ، وباب واسع ، وطريق مسلوكة ، وإذا كان هذا يثبت القصيدة ودرة الفلاحة وواسطة العقد ، وهذا يحمله فكيف بما تعداه ؟ ثم فيه ضرب من التكلف لأنه قال « إذا ما الثريا في السماء تعرضت تعرض اثناء الوشاح » فقوله : « تعرضت » من الكلام الذي يستغنى عنه لأنه يشبه اثناء الوشاح سواء كان في وسط السماء أو عند الطلوع والمغيب ، فالتهويل بالتعرض والتطويل بهذه الألفاظ لا معنى له ، وفيه أن الثريا كقطعة من الوشاح المفصل فلا معنى لقوله « تعرض اثناء الوشاح » وإنما أراد أن يقول : تعرض قطعة من اثناء الوشاح فلم يستقم له اللفظ ، حتى شبه ما هو كالشيء الواحد بالجمع ، وقوله :

فجئت وقد نصت لنوم ثيابها لدى الستر الالبسة المنفضل  
فقلت : بين الله مالك حيلة وما ان أرى عنك العباة<sup>(١)</sup> تنجلي

انظر الى البيت الأول والابيات التي قبله ، كيف خلط في النظم ، وفرط في التأليف ، فذكر التمتع بها ، وذكر الوقت والحال والحراس ، ثم يذكر كيف كان صفتها لما دخل عليها ووصل اليها من نزعا ثيابها الاثوباً واحداً ، والمتفضل الذي في نوب واحد وهو الفضل ، فما كان من سبيله أن يقدمه أمام ذكره مؤخراً ، وقوله : « لدى الستر » حشو ، وليس بحسن ولا يبع ، وليس في البيت حسن ، ولا شيء يفضل لأجله . وأما البيت الثاني تمليق واختلال ، ذكر الاصمعي أن معنى قوله « مالك حيلة » أي ليست تجيء فيها والناس حوالى<sup>(٢)</sup> ، والكلام في المصراع الثاني منقطع



عن الأول ، ونظمه اليه فيه ضرب من التفاوت ، وقوله :

فقمتم بها أمشي نجر ورائنا على إثرنا أذيال مرط مرجل (١)  
فلما أجزنا ساحة المحي وانتهى بنا بطن خبت ذي حفاف عقنقل  
البيت الأول من مساعدتها إياه حتى قامت معه ليخلوا وانما كانت  
نجر على الاثر أذيال مرط مرجل ، والمرجل ضرب من البرود يقال لوشيه  
الترجيل وفيه تكلف لانه قال « ورائنا على اثرنا » ولو قال « على اثرنا »  
كان كافيًا والذيل إنما يجز وراه الماشي فلان فائدة لذكره ورائنا ، وتقدير القول  
فقمتم أمشي بها ، وهذا أيضاً ضرب من التكلف ، وقوله أذيال مرط كان من  
سبيله أن يقول ذيل مرط على أنه لو سلم من ذلك كان قريباً ليس مما يفوت بمثله  
غيره ، ولا يتقدم به سواه ، وقول ابن المعتز أحسن منه :

فبت أفرش خدي في الطريق له ذلاً وأسحب أذيالي (٢) على الأثر  
وأما البيت الثاني فقوله أجزنا بمعنى قطعنا ، والحبت بطن من الارض ،  
والحقف رمل منعرج ، والعقنقل المنعقد من الرمل الداخل بعضه في بعض ،  
وهذا بيت متفاوت (٣) مع الأبيات المتقدمة ، لان فيها ما هو سلس قريب  
يشبه كلام المولدين وكلام البنذلة ، وهذا قد أغرب فيه ، وأتى بهذه اللفظة  
الوحشية المتعقدة ، وليس في ذكرها والتفضيل بالحائها بكلامها فائدة ، والكلام  
الغريب واللفظة الشديدة المباينة لنسج الكلام قد نحمد اذا وقعت موقع الحاجة  
في وصف ما يلائمها ، كقوله عز وجل في وصف يوم القيامة ( ٧٦ : ١٠ ) « يوماً  
عبوساً قطرياً » فأما اذا وقعت في غير هذا الموقع فهي مكرهة مذمومة بحسب  
ما نحمد في موضعها ، وروي أن جريراً أنشد بعض خلفاء بني أمية قصيدته :

(١) بروي ( على أثرنا ذيل مرط مرجل )

(٢) في الخطبة ( أكلمي )

(٣) في النسخة المطبوعة « متقارب » وما اثبتاه عن الخطبة

بان الخليط برامتين فودعوا أو كلاً جدوا لبين تجزع؟

كيف العزاء ولم أجد مذنبتم قلبا يقر ولا شرابا ينقع؟

قل : وكان يزحف من حسن هذا الشعر حتى بلغ قوله :

وقول بوزع : قد دببت على العصا هلا هزئت بغيرنا يا بوزع

فقال : أفست شعرك بهذا الاسم

وأما قوله :

هصرت بفضى دوحة فتمايلت<sup>(١)</sup> عليّ هضم الكشخ ريا المخلخل

مهفهفة بيضاء غير مفاضة ترايبها مصقولة كالسجنجل

فمعنى قوله « هصرت » جذبت ونثيت ، وقوله « بفضى دوحة » تعسف

ولم يكن من سبيله أن يجعلها اثنتين : والمصراع الثاني أصح ، وليس فيه شيء

إلا ما يتكرر على السنة الناس من هاتين الصفتين . وأنت تجد ذلك في وصف

كل شاعر ، ولكنه مع تكرره على اللسان صالح وأما معنى قوله « مهفهفة » أنها

مخففة ليست منقلة ، وانفاضة التي اضطرب طولها ، والبيت - مع مخالفته في الطبع

الآيات المتقدمة ، ونزوعه فيه إلى الالفاظ المستكرهة ، وما فيه من الخلل من

تخصيص الترائب بالضوء بعد ذكر جميعها بالبياض - فليس بطائل ولكنه

قريب متوسط ، وقوله :

تصد وتبدي عن أسيل وتنتقى بناظرة من وحش وجرة مطفل

وجيد كجيد الريم ليس بفاحش إذا هي نصته ولا بمطفل

معنى قوله « عن أسيل » أي بأسيل ، وإنما يريد خدأ ليس بكز ، وقوله

« تنتقى » يقال اتقاه بترسه<sup>(٢)</sup> أي جعله بينه وبينه . وقوله : « تصد وتبدي

عن أسيل » متفاوت ، لأن الكشف عن الوجه مع الوصل دون الصد ، وقوله :

« تنتقى بناظرة » لفظة مليحة ، ولكن أضافها إلى ما نظم به كلامه وهو مختل

(١) في الديوان والمعلقات ( هصرت بفودي رأسها فتمايلت ) (٢) في الخطبة ( مجته )



وهو قوله : « من وحش وجرة » وكان يجب أن تكون العبارة بخلاف هذا ، كان من سبيله أن يضيف الى عيون الأطباء أو المها دون اطلاق الوحش ففهم ما تستنكر عيونها ، وقوله : « مطفل » فسروه على أنها ليست بصبية وإنما قد استحكمت ، وهذا اعتذار متعسف ، وقوله : « مطفل » زيادة لا فائدة فيها على هذا التفسير الذي ذكره الاصمعي ، ولكن قد يحتمل عندي أن يفيد غير هذه الفائدة فيقال انها اذا كانت مطفلا لحظت أطفالها بعين رقة ففي نظر هذه رقة نظر المودة ، ويقع الكلام معلقا تعليقا متوسطا . وأما البيت الثاني فمضى قوله : « ليس بفاحش » أي ليس بفاحش الطول ، ومعنى قوله : « نصته » رفته ، ومعنى قوله : « ليس بفاحش » - في مدح الاعناق - كلام فاحش موضوع منه ، واذا نظرت في أشعار العرب رأيت في وصف الاعناق ما يشبه السحر ، فكيف وقع على هذه الكلمة ، ودفع الى هذه اللفظة ؟ وهلا قال كقول أبي نواس :

مثل الأطباء سميت الى روض صوادر عن غدِير  
ولست أطول عليك فتستثقل ، ولا أتر القول في ذمه فتستوحش ،  
وأك الآن الى جملة من القول ، فإن كنت من أهل الصنمة فطنت واكتفيت  
وعرفت ما رمينا اليه واستغنيت ، وان كنت عن الطيمة خارجاً ، وعن الاتقان  
بهذا الشأن خالياً ، فلا يكفيك البيان وان استقر بنا جميع شعره ، وتتبعنا عامة  
الفاظه ، ودلنا على مافي كل حرف منه

اعلم ان هذه القصيدة قد رددت بين أبيات سوقية مبتذلة وأبيات  
متوسطة وأبيات ضعيفة مرذولة ، وأبيات وحشية غامضة مستكرهة ، وأبيات  
معدودة بديعة ، وقد دلنا على المبتذل منها ، ولا يشبهه عليك الوحشي المستنكر

الذي يروع السمع ، ويهول القلب ، ويكبد اللسان ، ويعبس معناه في وجه كل خاطر ، ويكفهر مظلمه على كل متأمل أو ناظر ، ولا يقع بمثله التمدح والتفاسيح ، وهو مجازب لما وضع له أصل الافهام ، ومخالف لما بنى عليه التفاهم بالكلام ، فيجب أن يسقط عن الغرض المقصود ، ويلحق بالهز والاشارات المستهمة

فأما الذي زعموا أنه من بديع هذا الشعر فهو قوله :

ويضحى فتيت المسك فوق فراشها      تنوم الضحى لم تنتطق عن تفضل  
والمصرع الاخير عندهم بديع ، ومعنى ذلك أنها مترفة متمنعة لها من يكفيها ، ومعنى قوله : « لم تنتطق عن تفضل » يقول لم تنتطق وهي فُضِّل (١)  
وعن هي بمعنى بعد ، قال أبو عبيدة : لم تنتطق فتعمل واسكنها تفضل  
ومما يعدونه من محاسنها :

وليل كموج البحر أرخى سدوله      علي بأنواع الغموم (٢) ليبتلي  
فقلت له لما تمطى بصلبه      وأردف أعجازاً وناء بكلكل  
ألا أيها ائيل الطويل ألا انجل      بصبح وما الاصبح منك بأمنل  
وكان بعضهم يعارض هذا بقول النابغة :

كليني لهم يا أميمة ناصب      وليل أقاسيه بطيء الكواكب  
وصدر أراح الليل عازب همه      تضاعف فيه الحزن من كل جانب  
تفاعس حتى قلت ليس بمنقض      وليس الذي يتلو النجوم بأيب (٣)

وقد جرى ذلك بين يدي بعض الخلفاء فقدمت أبيات امرئ القيس واستحسن استعارتها ، وقد جعل لليل صدرا يثقل تنحيه ويبطئه تقضيه ،

(١) يقال رجل أو امرأة فضل - بضمين ، أى متفضل في ثوب واحد ، كذا في الفانوس ، والمتفضل

الذى يبقى في ثوب واحد لينام أو يعمل عملاً

(٢) في الديوان والمعلقات (الموم)

(٣) في نسخة الديوان : تطاول حتى قلت ليس بمنقض وليس الذي يرمى النجوم بأيب



وجعل له أردافاً كثيرة ، وجعل له صلباً يمتد ويتطاول ، ورأوا هذا بخلاف ما يستعبره أبو تمام من الاستعارات الوحشية البعيدة المستنكرة ، ورأوا ان الالفاظ جميلة ، واعلم أن هذا صالح جميل ، وليس من الباب الذي يقال انه متناه عجيب ، وفيه المام بالتكلف ، ودخول في التعمل وقد خرجوا له في البديع من القصيدة قوله :

وقد أغتدي والطير في وكناتها بمنجرد قيد الاوابد هيكل  
مكر مفر مقبل مدبر معا كجلهود صخر حطه السيل من عل  
وقوله أيضا (١) :

له أبطالا ظمي وساقا نعامه وارخاء سرحان وتقريب تتمثل  
فأما قوله « قيد الأوابد » فهو مليح ، ومثله في كلام الشعراء وأهل الفصاحة كثير ، والتعمل بمثله ممكن . وأهل زماننا الآن يصنفون نحو هذا تصنيفاً ، ويؤلفون المحاسن تأليفاً ، ثم يوشحون به كلاهم . والذين كانوا من قبل اغزارتهم وتمسكهم لم يكونوا يتصنعون لذلك ، انما كان يتفق لهم اتفاقاً ، ويترد في كلامهم اطراداً . وأما قوله في وصفه : « مكر مفر » فقد جمع فيه طباقاً وتشبيهاً ، وفي سرعة جري الفرس للشعراء ما هو أحسن من هذا وألطف ، وكذلك في جمعه بين أربعة وجوه من التشبيه في بيت واحد صنعة ، ولكن قد عورض فيه وزوج ، والتوصل اليه يسير ، وتطلبه سهل قريب

وقد بينا لك أن هذه القصيدة ونظائر ها تتفاوت في أبياتها تفاوتاً بيئياً في الجودة والرداءة والسلاسة والانقصاد والسلامة والانحلال والتكن والنسهل والاسترسال والتوحش والاستكراه ، وله شر كاه في نظرها ومنازعهن في محاسنها ومعارضون في بدائعها ، ولاسواء كلام ينحت من الصخر تارة ويدوب تارة ، ويتلون تلون الحرباء ، ويختلف اختلاف الاهواء ، ويكثر في تصرفه اضطرابه ،

(١) هذه الكلمة ساقطة من النسخة الخطية

وتتقاذف به أسبابه ، و بين قول بجري في صبه على نظام ، وفي رصفه على منهج وفي وضعه على حد ، وفي صفائه على باب ، وفي بهجته ورونقه على طريق . مختلفة مؤلف ، ومؤلفه متحد ، ومتباعده متقارب ، وشارده مطيع ، ومطيعه شارد . وهو على متصرفاته واحد ، لا يستصعب في حال ، ولا يتعمد في شأن

و كنا أردنا أن نتصرف في قصائد مشهورة فنتمكلم عليها ، ونبدل على معانيها ومحاسنها ، ونذكر لك من فضائلها ونوائصها ، ونبسط لك القول في هذا الجنس ، ونفتح عليك في هذا النهج . ثم رأينا هذا خارجا عن غرض كتابنا والكلام فيه يتصل بنقد الشعر وعياره ووزنه بميزانه ومعياره ، ولذلك كتب وان لم تكن مسترفة ، وتصانيف وان لم تكن مستقصاة . وهذا القدر يكفي في كتابنا ، ولم نحب أن ننسخ لك ماسطره الادباء في خطأ امرى القيس في العروض والنحو والمعاني ، وما عابوه عليه في أشعاره ، وتكلموا به على ديوانه ، لان ذلك أيضا خارج عن غرض كتابنا ، ومجانب لمقصوده . وانما أردنا أن نبين الجملة التي بينها تعرف أن طريقة الشعر شريعة مورودة ، ومنزلة مشهودة ، يأخذ منها أمجابه على مقادير أسبابهم ، ويتناول منها ذووها على حسب أحوالهم . وأنت تجد المتقدم معنى قد طمسه المتأخر بما أبر عليه فيه ، وتجد المتأخر معنى قد أغفله المتقدم ، وتجد معنى قد توافدا عليه ، وتوافيا اليه ، فها فيه شريكا عنان ، وكأنهما فيه رضيعا لبان ، والله يؤتي فضله من يشاء .

\*\*\*

فأما نهج القرآن ونظمه وقآليفه وورصفه ، فان العقول نتبه في جهته ، وتبحر في بجره ، وتضل دون وصفه . نحن نذكر لك في تفصيل هذا ما تستدل به على الغرض وتستولى به على الأمد ، وتصل به الى المقصد ، وتتصور اعجازه كما



تتصور الشمس ، وتدينق تناهي بلاغته كما تدينق الفجر ، وأقرب هليك الغامض  
وأسهل لك العسير . واعلم ان هذا علم شريف المحل ، عظيم المكان ، قليل  
الطلاب ، ضعيف الاصحاب ، ليست له عشيرة تحميه ، ولا أهل عصمة تظن  
لما فيه . وهو أدق من السحر ، وأهول من البحر ، وأعجب من الشعر ، وكيف  
لا يكون كذلك وأنت تحسب ان وضع الصبح في موضع الفجر يحسن في كل  
كلام الا ان يكون شعراً أو سجماً ، وليس كذلك ، فان احدى اللفظتين قد  
تغير في موضع ، وتزل عن مكان لا تزل عنه اللفظة الاخرى بل تتمكن فيه  
وتضرب بجرانها وتراها في مظاهرها وتجدها فيه غير منازعة الى أوطانها ،  
وتجد الاخرى لو وضعت موضعها في محل نفاذ ومزى شراد ونايبة عن استقرار  
ولا أكثر عليك المثال ، ولا أضرب لك فيه الامثال ، وأرجع بك الى  
ما وعدتك من الدلالة ، وضمنت لك من تقريب المقالة ، فان كنت لا تعرف  
الفصل الذي بينا بين اللفظتين على اختلاف مواقع الكلام ومتصرفات مجاري  
النظام ، لم نستفد مما نقر به عليك شيئاً وكان التقليد أولى بك والانباع أوجب  
عليك ، ولكل شيء سبب ولكل علم طريق ، ولا سبيل الى الوصول الى  
الشيء من غير طريقه ، ولا بلوغ غايته من غير سبيله

خذ الآن - هداك الله - في تفرغ الفكر ونخلة البال ، وانظر فيما نعرض  
عليك ونهديه اليك ، متوكلاً على الله ومعتمداً به ومستعيناً به من الشيطان  
الرجيم ، حتى تنف على اعجاز القرآن العظيم . مماه الله عز ذكره حكماً وعظماً  
ومجيداً ، وقال ( ٤١ : ٤٢ ) : « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه  
تنزيل من حكيم حميد » وقال ( ٥٩ : ٢١ ) : « لو أنزلنا هذا القرآن على جبل  
لرأيت خاشعاً متصدعاً من خشية الله وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم  
يتفكرون » وقال ( ١٣ : ٣١ ) « ولو أن قرآنا سُيرت به الجبال أو قطعت  
به الارض أو كلم به الموتى بل لله الامر جميعاً » وقال ( ١٧ : ٨٨ ) : « قل

لكن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً» وأخبرنا أحمد بن محمد بن الحسين القزويني ، حدثنا أبو عبد الرحمن أحمد بن عثمان ، حدثنا أبو يوسف الصيدلاني ، حدثنا محمد ابن سلمة ، عن أبي سنان ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي البختري الطائي ، عن الحارث الاعور ، عن علي رضي الله عنه ، قال : قيل : يا رسول الله ان أمتك ستفتتن من بعدك ، فسأل أوسئل - ما المخرج من ذلك : فقال : « بكتاب الله العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، من ابتغى العلم في غيره أضله الله ، ومن ولي هذا من جبار فحكم بغيره قصمه الله وهو الذكركم الحكيم ، والنور المبين ، والصرط المستقيم . فيه خبر من قبلكم ، وتبيان من بعدكم ، وهو فصل ليس بالهزل . وهو الذي سمعته الجن فقالوا : ﴿ انا ممنا قرأنا عجبا يهدي الى الرشدا ممنا به ﴾ لا يخلق على طول الزد ، ولا تنقضي عبره ، ولا تفتى عجائبه » وأخبرني أحمد بن علي بن الحسن ، أخبرنا أبي ، أخبرنا بشر بن عبد الوهاب ، أخبرنا هشام بن عبيد الله ، حدثنا المسيب ابن شريك ، عن عبيدة ، عن أسامة ، بن أبي عطاء ، قال : أرسل النبي ﷺ الى علي رضي الله عنه في ليلة . فذكر نحو ذلك في المعنى ، وفي بعض أفاضه اختلاف . وأخبرنا أحمد بن علي بن الحسن ، أخبرنا أبي ، أخبرنا بشر بن عبد الوهاب ، أخبرنا هشام بن عبيد الله ، حدثنا المسيب بن شريك ، عن بشر بن عمير ، عن القاسم ، عن أبي أمامة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « من قرأ ثلث القرآن أعطى ثلث النبوة ، ومن قرأ نصف القرآن أعطى نصف النبوة ، ومن قرأ القرآن كله أعطى للنبوة كلها غير أنه لا يوحى اليه » وذكر الحديث

ولولم يكن من عظم شأنه الا انه طبق الارض أنواره ، وجلال الآفاق ضياؤه ، ونفذ في العالم حكمه ، وقبل في الدنيا رسمه ، وطمس ظلام الكفر بعد



ان كان مضروب الرواق ، ممدود الاطناب ، مبسوط الباع ، مرفوع العباد ، ليس على الارض من يعرف الله حق معرفته أو يعبهه حق عبادته أو يدين بعظمته أو يعلم علو جلالته أو يتفكر في حكمته ، فكأن كما وصفه الله تعالى جل ذكره من أنه نور فقال (٤٢ : ٥٢) : « وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ، ما كنت تدري ما الكتاب ولا الایمان ، ولكن جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا ، وانك لتهدي الى صراط مستقيم » فانظر إن شئت الى شريف هذا النظم وبديع هذا التأليف وعظيم هذا الرصف كل كلمة من هذه الآية تامة وكل لفظ بديع واقع ، قوله « وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا » يدل على صدوره من الربوبية ، ويبين عن وروده عن الآلهية ، وهذه الكلمة بمنزلة دها وأخوتها كل واحدة منها لو وقعت بين كلام كثير تميز عن جميعه ، وكان واسطة عقده ، وفاتحة عقده ، وغرة شهره ، وعين دهره . وكذلك قوله : « ولكن جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا » فجعله روحاً لأنه يجبي الخلق فله فضل الارواح في الاجساد ، وجعله نوراً لأنه يضيء ضياء الشمس في الآفاق ثم أضاف وقوع الهداية به الى مشيئته ، ووقف وقوف الاسترشاد به على ارادته وبين أنه لم يكن ليهتدى اليه لولا توفيقه ، ولم يكن ليعلم ما في الكتاب ولا الايمان لولا تعليمه ، وانه لم يكن ليهتدي فكيف كان بهدي لولاه ، فقد صار [ بهدي ولم يكن (١) ] من قبل ذلك ليهتدى ، فقال : وانك لتهدي الى صراط مستقيم » (٤٢ : ٥٣) « صراط الله الذي له ما في السموات وما في الارض ألا الى الله تصير الامور » فانظر الى هذه الكلمات الثلاث فالكلمات الاولى والثانية مؤنثتان ، وقوله : « ألا الى الله تصير الامور » كلمة منفصلة مباينة للاولى ، قد صيرهما شريف النظم أشد اثلافا من الكلام المؤانث والطف انتظاماً من

(١) هذه الكلمات غير موجودة بالنسخة الخطية وفي مكانها بياض يقسع ثا

(٢) بالنسخة المطبوعة (الاولتان) وهي لغة قليلة

الحديث الملائم، وبهذا يبين فضل الكلام وتظهر فصاحته وبلاغته. الامر  
أظهر والحمد لله، والحال أبين من أن يحتاج الى كشف، تأمل قوله (٦: ٩٦) «  
فالتقى الإصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حُسباناً ذلك تقدير العزيز  
العليم» انظر الى هذه الكلمات الاربع التي ألف بينها، واحتيج بها على ظهور  
قدرته ونفاذ أمره، أليس كل كلمة منها في نفسها غرة، وبفردها درة؟ وهو  
مع ذلك يبين أنه يصدر عن علو الامر، ونفاذ القمر، ويتجلى في بهجة القدرة  
ويتجلى بخالصة العزة ويجمع السلاسة الى الرصانة، والسلامة الى المتانة،  
والرونق الصافي، والبهاء الضافي. ولست أقول أنه شمل الاطباق المليح والايجاز  
اللطيف والتعديل والتثيل والتقريب والتشكيل، وان كان قد جمع ذلك وأكثر  
منه، لان المعجيب ما بيننا من افراد كل كلمة بنفسها حتى تصلح أن تكون عين  
رسالة أو خطبة أو وجه قصيدة أو فقرة، فاذا أتت ازدادت حسنا وزادت  
اذا تأملت معرفه وإيماناً، ثم تأمل قوله (٣٦: ٣٧ - ٣٩): «وآية لهم الليل  
نساخ منه النهار فاذا هم مظلمون. والشمس تجري لمستقرها ذلك تقدير العزيز  
العليم. والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم» هل نجد كل لفظة  
وهل تعلم كل كلمة تستعمل بلاشتمال على نهاية البديع وتتضمن شرط القول البليغ؟  
فاذا كانت الآية تنتظم من البديع وتتألف من البلاغات فكيف لا تفوت  
حد المدهود ولا تحوز<sup>(١)</sup> شأو المؤلف؟ فكيف لا تحوز قصب السبق ولا  
تعالى عن كلام الخلق؟ ثم اقصد الى سورة تامة فتصرف في معرفة قصصها  
وراع ما فيها من براهينها وقصصها تأمل السورة التي يُذكر فيها النمل وانظر في  
كلمة كلمة وفصل فصل. بدأ بذكر السورة الى أن بين أن القرآن من عنده

(١) في النسخة الخطية لا تحوز بالجيم



فقال (٢٧ : ٦) : « وانك لتلتقى القرآن من لدن حكيم عليم » ثم وصل بذلك قصة موسى عليه السلام وانه رأى نارا فقال لاهله امكثوا (٢٧ : ٧) : « اني آنست نارا سأتيكم منها بخبر أو آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون » وقال في سورة طه في هذه القصة (٢٠ : ١٠) : « لعل آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى » وفي موضع (٢٨ : ٢٩) : « لعل آتيكم منها بخبر أو جندوة من النار لعلكم تصطلون » قد تصرف في وجوه ، وأتى بذكر القصة على ضروب ، ليعلمهم عجزهم عن جميع طرق ذلك ، ولهذا قال (٥٢ : ٣٤) : « فليأتوا بحديث مثله » ليكون أبلغ في تعجيزهم ، وأظهر للحجة عليهم . وكل كلمة من هذه الكلمات وان أنابت عن قصة فهي بليغة بنفسها تامة في معناها . ثم قال (٢٧ : ٨) : « فلما جاءها نُودي أن بورك من في النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين » فانظر الى ما أجرى له الكلام من علو أمر هذا النداء وعظم شأن هذا الثناء ، وكيف انتظم مع الكلام الاول ، وكيف اتصل بتلك المقدمة وكيف وصل بها ما بعدها من الاخبار عن الربوبية وما دل به عليها من قلب العاصية وجعلها دليلا يدل عليه ومعجزة تهديه اليه ، وانظر الى الكلمات المفردة القائمة بانفسها في الحسن ، وفيما تتضمنه من المعاني الشريفة ، ثم ما شفع به هذه الآية وقرن به هذه الدلالة من اليد البيضاء - عن نور البرهان - من غير سوء . ثم انظر في آية آية وكلمة كلمة هل تجدها كما وصفنا من عجيب النظم وبديع الرصف ، فكل كلمة لو أفردت كانت في الجمال غاية ، وفي الدلالة آية ، فكيف اذا قارنتها اخواتها وضامتها ذواتها تجري في الحسن مجراها ، وتأخذ في معناها ، ثم من قصة الى قصة ، ومن باب الى باب ، من غير خلل يقع في نظم الفصل الى الفصل ، وحتى يصور لك الفصل وصلا بيديع التأليف وبلغ التنزيل وان أردت أن تبين ماقلناه فضل تبين ، وتحقق بما ادعيناه زيادة تتحقق ، فان كنت من أهل الصنعة فاعمد الى قصة من هذه القصص ، وحديث من

هذه الاحاديث فعبّر عنه بعبارة من جهتك وأخبر عنه بألفاظ من عندك ، حتى ترى فيما جمعت به النقص الظاهر ، وتبين في نظم القرآن الدليل الباهر ، ولذلك أعاد قصة موسى في سور ، وعلى طرق شتى وفواصل مختلفة ، مع اتفاق المعنى ، فلعلك ترجع الى عقلك ، وتستمر ما عندك ، ان غلطت في أمرك أو ذهبت في مذاهب وهمك أو ساطت على نفسك وجه ظنك ، متى تهيأ لبديع أن يتصرف في قدر آية في أشياء مختلفة فيجعلها مؤتلفة من غير أن يبين على كلامه أعباء الخروج والتنقل أو يظهر على خطابه آثار التكلف والتعمل ؟ وأحسب انه يسلم من هذا - ومحال أن يسلم منه - متى <sup>(١)</sup> يظفر بمثل تلك الكلمات الافراد ، والالفاظ الاعلام ، حتى يجمع بينها فيجمل فيها فقرة من كلامه ، وقطعة من قوله ؟ ولو اتفق له في أحرف معدودة وأسطر قليلة فمتى يتفوق له في قدر ما نقول انه من القرآن معجز ؟ هيهات هيهات ! ان الصبح بطمس النجوم وان كانت زاهرة ، والبحر يغير الانهار وان كانت زاخرة ، متى تهيأ للآدمي أن يقول في وصف كتاب سليمان عليه السلام بعد ذكر العنوان والتسمية هذه الكلمة الشريفة العالية ( ٢٧ : ٣١ ) : « أناعلوا عليّ وأتوني مسلمين » والخلوص من ذلك الى ما صارت اليه من التدبير ، واشتغلت به <sup>(٢)</sup> من المشورة ، ومن تعظيمها أمر المستشار ، ومن تعظيمهم أمرها وطاعتها بتلك الالفاظ البديعة والكلمات المعجبة البليغة ، ثم كلامها بعد ذلك لتعلم تمكن قولها ( ٢٧ : ٣٢ ) : « يا أيها الملأ أفنوني في أمري ما كنت قاطعة أمراً حتى تشهدون » ، وذكر قولهم ( ٢٧ : ٣٣ ) : « قالوا نحن أولو قوة وأولو بأس شديد والامر اليك فانظري ماذا تأمرين » لا تجدي في صفتهم أنفسهم أبدع مما وصفهم به ، وقوله « الامر

(١) في المطبوعة ( حتى ) وما أئبتاه عن الخطية

(٢) الضمائر المؤنثة عامة على بليقيس ملكة سبا المذكورة في القصة ، وضماير الجمع تعود على جنوده



اليك « تعلم براعته بنفسه وعجيب معناه وموضع اتفائه في هذا الكلام وتمكن الفاصلة وملاءمته لما قبله وذلك قوله فانظري ماذا تأمرين ، ثم الى هذا الاختصار والى البيان مع الايجاز ، فان الكلام قد يفسده الاختصار ويعميه التخفيف منه والايجاز ، وهذا مما يزيد الاختصار بسطاً لتمكنه ووقوعه موقعه ، ويتضمن الايجاز منه تصرفاً يتجاوز محله وموضعه ، وكم جئت الى كلام مبسوط يضيق عن الافهام ، ووقعت على حديث طويل يقصر عما يراد به من التمام ، ثم لو وقع على الافهام <sup>(١)</sup> فما يجب فيه من شروط الاحكام أو بمعاني القصة وما تقتضي من الاعظام ، ثم لو ظفرت بذلك كله رأيت ناقصاً في وجه الحكمة ، أو مدخولاً في باب السياسة ، أو مصغوفاً في طريق السيادة ، أو مشترك العبارات ان كان مستجود المعنى ، أو جيد البلاغة مستجلب المعنى ، أو مستجلب البلاغة جيد المعنى ، أو مستنكر اللفظ وحشي العبارة ، أو مستبهم الجانب مستكره الوضع ، وأنت لا تجد في جميع ما تلو نا عليك إلا ما إذا بسط أفاد ، وإذا اختصر كمل في بابه وجاد ، وإذا سرح الحكيم في جوانبه طرف خاطره ، وبعث العليم في أطرافه عيون مباحثه ، لم يقع الا على محاسن تتوالى وبدائع تنرى ، ثم فكر بعد ذلك في آية آية أو كلمة كلمة في قوله ( ٢٧ : ٣٤ ) : « ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون » هذه الكلمات الثلاث كل واحدة منها كالنجم في علوه وفوره ، وكالياقوت يتلأل بين شذوره . ثم تأمل تمكّن الفاصلة - وهي الكلمة الثالثة - وحسن موقعها وعجيب حكمها وبارع معناها ، وان شرحت لك مافي كل آية طال عليك الامر ، ولكني قد بينت بما فسرت ، وقررت بما فصلت ، الوجه الذي سلكت ، والنحو الذي قصدت ، والغرض الذي اليه رميت ، والسمة الذي اليه دعوت ، ثم فكر بعد

ذلك في شيء أدلك عليه ، وهو تعادل هذا النظم في الاعجاز في مواقع الآيات القصيرة والطويلة والمتوسطة ، فأجل الرأي في سورة سورة وآية آية وفاصلة فاصلة ، وتدبر الخواتم والفواتح ، والبوادي ، والمقاطع ، ومواضع الفصل والوصل ومواضع التنقل والتحول ، ثم اقض ما أنت قاض ، وان طال عليك تأمل الجميع فاقصر على سورة واحدة أو على بعض سور ، ما رأيك في قوله ( ٢٨ : ٤ ) : « ان فرعون علا في الارض ، وجعل أهلها شيعا يستضف طائفة منهم ، يذبح أبناءهم ، ويستحي نساءهم ، انه كان من المفسدين » هذه تشتمل على ست كلمات سناؤها وضياؤها على ما ترى ، وسلاستها وماؤها على ما تشاهد ، وروقتها على ما تعانين ، وفصاحتها على ما تعرف ، وهي تشتمل على جملة وتفصيل ، وتفسير ذكر العلو في الارض باستضعاف الخلق بذبح الولدان وسبي النساء ، واذا تحكم في هذين الامرين فما ظنك بما دونهما ، لان النفوس لا تطمن على هذا الظلم ، والقلوب لا تقرر على هذا الجور ، ثم ذكر الفاصلة التي أوغلت في التناكيد ، وكفت في التظلم ، وردت آخر الكلام على أوله ، وعطفت عجزه على صدره ، ثم ذكر وعده تخليصهم بقوله ( ٢٨ : ٥ ) : « وزيد أن نمنَّ على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين » وهذا من التأليف بين المؤلف ، والجمع بين المستأنس ، كما ان قوله ( ٢٨ : ٧٧ ) : « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا ، وأحسن كما أحسن الله اليك ، ولا تبغ الفساد في الارض ، ان الله لا يحب المفسدين » وهي خمس كلمات متباعدة في المواقع ، نائية المطارح ، قد جعلها النظم البديع أشد تألفاً من الشيء المؤلف في الاصل ، وأحسن توافقاً من المتطابق في أول الوضع . ومثل هذه الآية قوله ( ٢٨ : ٦٨ ) : « وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة ، سبحان الله وتعالى عما يشركون » ومثلها ( ٢٨ : ٥٨ ) . « وكم أهلكننا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا وكنا نحن الوارثين » ومن



المؤتلف قوله ( ٢٨ : ٨١ ) . « نخسفنا به وبداره الارض ، فما كان له من فنة ينصرفونه من دون الله ، وما كان من المنتصرين » وهذه ثلاث كلمات كل كلمة منها أعز من الكبريت الأحمر . ومن البسبب الآخر قوله تعالى ( ٢٨ : ٨٨ ) : « ولا تدع مع الله إلها آخر لا إله إلا هو كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم واليه ترجعون » كل سورة من هذه السور تتضمن من القصص ما لو تكلفت العبارة عنها باضعاف كلماتها لم تستوف ما استوفته ، ثم نجد فيما تنظم نقل النظم ونفور الطبع ، وشراد الكلام ، ونهافت القول ، وتنعج جانبه ، وقصورك في الايضاح عن واجبه ، ثم لا تقدر على أن تنتقل من قصة الى قصة وفصل الى فصل حتى تبين عليك مواضع الوصل ، ويستضعب عليك أما كن الفصل ، ثم لا يمكنك أن تصل بالقصص مواضع زاجرة ، وأمثالا سائرة . وحكما جليلة ، وأدلة على التوحيد بينة ، وكلمات في التنزيه والتحميد شريفة ، وان أردت أن تتحقق ما وصفت لك فتأمل شعر من شئت من الشعراء المنفقين ، هل نجد كلامه في المديح والفضل والفخر والهجو يجري مجرى كلامه في ذكر القصص ؟ انك لتراه اذا جاء الى وصف واقعة أو نقل خبر عامي الكلام سوقي الخطاب ، مسترسلا في أمره ، متساهلا في كلامه ، عادلا عن المؤلف من طبعه ، وناكباً عن المعهود من سجيته ، فان اتفق له في قصة كلام جيد كان قدر ثنتين أو ثلاثة وكان ما زاد عليها حشواً وما تجاوزها لغواً . ولا أقول انها تخرج من عادته عفواً لأنه يقصر عن العفو ، ويقف دون العرف ، ويتعرض للركاكة ، فان لم تقنع بما قلت لك من الابيات فتأمل غير ذلك من السور ، هل نجد الجميع على ما وصفت لك لو لم تكن الا سورة واحدة لكفت في الاعجاز ، فكيف بالقرآن العظيم ؟ ولو لم يكن إلا حديث من سورة لكفى وأقنع وشفى ، ولو عرفت قدر قصة موسى وحدها من سورة الشعراء لما طلبت بينة سواها بل قصة من قصصه

وهي قوله (٢٦ : ٥٢) : « وأوحينا الى موسى أن أسر بهبادي انكم متبعون » الى قوله (٢٦ : ٥٧ - ٦٠) : « فأخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم. كذلك وأورثناها بني اسرائيل فأتبعوهم مشرقين » حتى قال (٢٦ : ٦٣) « فأوحينا الى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانقلب فكان كل فرق كالطود العظيم » ثم قصة ابراهيم عليه السلام ، ثم لولم تكن الا الآيات التي انهى اليها القول في ذكر القرآن وهي قوله (٢٦ : ١٩٢ - ١٩٥) : « وانه لتنزيل رب العالمين ، نزل به الروح الأمين ، على قلبك لتكون من المنذرين ، بلسان عربي مبين » وهذه كلمات مفردة بفواصلها ، منها ما يتضمن فاتحة و فاصلة ، ومنها ما هي فاتحة و واسطة و فاصلة ، ومنها كلمة بفاصلتها تامة ، دل على أنه نزله على قلبه ليكون نذيراً ، وبين أنه آية لكونه نبياً ، ثم وصل بذلك كيفية النذارة فقال (٢٦ : ٢١٤ - ٢١٥) : « وأنذر عشيرتک الأقربين ، واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين » فتأمل آية آية لتعرف الاعجاز ، وتبين التصرف البديع والتنقل في الفصول الى آخر السورة ، ثم راع المقطع العجيب وهو قوله (٢٦ : ٢٢٧) : « وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون » هل يحسن أن تأتي بمثل هذا الوعيد ، وان تنظم مثل هذا النظم ، وان نجد مثل هذه النظائر السابقة ، وتصادف مثل هذه للكلمات المتقدمة ؟

ولولا كراهة الاملال لجئت الى كل فصل فاستقرت على الترتيب ككلماته ، ويثبت لك ما في كل واحدة منها من البراعة ومن عجب البلاغة ، ولعلك تستدل بما قلنا على ما بعده ، وتستضيء بنوره ، وتهتدي بهداه . ونحن نذكر آيات آخر الترداد استبصارا وتقدم تيقنا ، تأمل من الكلام المؤلف قوله (٤٠ : ١ - ٣) : « حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو اليه المصير » أنت قد تدربت الان بحفظ أسماء الله تعالى وصفاته ، فانظر متى وجدت في كلام البشر وخطبهم



مثل هذا النظم في هذا القدر ، وما يجمع ما يجمع هذه الآية من شريف المعاني وحسن الفاتحة والخاتمة ، واتل ما بعدها من الآية واعرف وجه الخلوص من شيء الى شيء : من احتجاج الى وعيد ، ومن اعدار الى انذار ، ومن فنون من الامر شئى مختلفة تأتلف بشريف النظم ، ومتباعدة تتقارب بعلى الضم ، ثم جاء الى قوله ( ٤٠ : ٥ - ٦ ) : « كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم ، وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه ، وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فأخذتهم فكيف كان عقاب ، وكذلك حققت كلمة ربك على الذين كفروا أنهم أصحاب النار » الآية الأولى أربعة فصول ، والثانية فصلان ، وجه الوقوف على شرف الكلام أن تتأمل موقع قوله : « وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه » وهل تقع في الحسن موقع قوله ليأخذوه كلمة ؟ وهل تقوم مقامه في الجزالة لفظة ؟ وهل يسد مسده في الاصاله نكتة لو وضع موضع ذلك ليقتلوه أو ليرجموه أو لينفوه أو ليطردهوه أو ليهلكوه أو ليلذوه ونحو هذا ما كان ذلك بعيداً ولا بارعاً ولا عجبياً ولا بالغاً ، فانقد موضع هذه الكلمة وتعلم بها ما تذهب اليه من نخب الكلام [ وجميل ] <sup>(١)</sup> الألفاظ والاهتمام للمعاني فان كنت تقدر ان شيئاً من هذه الكلمات التي [ عددناها ] <sup>(١)</sup> عليك أو غيرها لا تقف بك على غرضنا من هذا الكتاب فلا سبيل لك الى الوقوف على تصاريف الخطاب ، فانزع الى التقليد ، واكف نفسك مؤنة التفكير ، وان فطنت فانظر الى ما قل من رد عجز الخطاب الى صدره بقوله « فأخذتهم فكيف كان عقاب » ثم ذكر عقيبها العذاب في الآخرة واتلاها تلو العذاب في الدنيا ، على الاحكام الذي رأيت ، ثم ذكر المؤمنين بالقرآن بعد ذكر المكذبين بالآيات والرسل فقال ( ٤٠ : ٧ ) « الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به » الى أن

(١) في مكان هذه الكلمة من الخطية يابض بمقدارها

ذكر ثلاث آيات ، وهذا كلام مفصول تعلم عجيب اتصاله بما سبق ومضى وانتسابه الى ما تقدم وتقصي ، وعظم موضعه في معناه ، ورفيع ما يتضمن من تحميدهم وتسبيحهم وحكاية كيفية دعاء الملائكة بقوله ( ٤٠ : ٧ ) : « ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما » هل تعرف شرف هذه الكلمة لفظاً ومعنى ، ولطيف هذه الحكاية ، وتلاؤم هذا الكلام ، وتشاكل هذا النظام ؟ وكيف يهتدي الى وضع هذه المعاني بشري ؟ والى تركيب ما يلائمها من الالفاظ الانسي - ثم ذكر ثلاث آيات في أمر الكافرين على ما ترى ، ثم نبه على أمر القرآن وانه من آياته ، بقوله ( ٤٠ : ١٣ ) : « هو الذي يريكم آياته وينزل لكم من السماء رزقاً وما يتذكر الا من ينسب » وانما ذكر هذين الأمرين اللذين يختص بالقدرة عليهما لتناسبهما في أنهما من تنزيله من السماء ، ولأن الرزاق الذي لو لم يرزق لم يمكن بقاء النفس نجب طاعته والنظر في آياته ، ثم قال ( ٤٠ : ١٤ - ١٦ ) : « فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون رفيع الدرجات ذو العرش يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء لمن الملك اليوم لله الواحد القهار » قف على هذه الدلالة ، وفكر فيها ، وراجع نفسك في مراعاة معاني هذه الصفات العالية ، والكلمات السامية ، والحكم البالغة ، والمعاني الشريفة تعلم ورودها عن الالهية ودلائها على الربوبية ، وتحقق أن الخطاب المنقولة عنهم والأخبار الماثورة في كلامهم الفصيحة من الكلام الذي تعلق به الهمم البشرية وما تحوم عليه الأفكار الآدمية ، وتعرف مباينتها لهذا الضرب من القول ، أي خاطر يتشوف الى أن يقول : « يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق يوم هم بارزون » وأي لفظ يدرك هذا المضار ، وأي حكيم يهتدي الى ما لهذا من الغور ، وأي فصيح يهتدي الى هذا النظم ؟ ثم استقرى الآية الى آخرها واعتبر كلماتها ، وراع بعدها قوله ( ٤٠ : ١٧ ) : « اليوم تجزي كل نفس بما كسبت



لا ظلم اليوم ان الله سريع الحساب « من يقدر على تأليف هذه الكلمات الثلاث على قربها وعلى خفتها في النظم وموقعها من القلب؟ ثم تأمل قوله ( ٤٠ : ١٨ - ٢ ) « وأنذرهم يوم الآزفة اذ القلوب لدى الحناجر كاطمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور والله يقضي بالحق والذين يدعون من دونه لا يقضون بشيء ان الله هو السميع البصير » كل كلمة من ذلك على ما قد وصفتها من أنه اذا رآها الانسان في رسالة كانت عينها ، أو في خطبة كانت وجهها أو قصيدة كانت غرة غرتها ، وبيت قصيدتها ، كالياقوتة التي تكون فريدة المقد وعين القلادة ودرة الشدر ، اذا وقع بين كلام وشحه واذا ضمن في نظام زينه ، واذا اعترض في خطاب تميز عنه ، وبان يحسنه منه ولست أقول هذا لك في آية دون آية ، وسورة دون سورة ، وفصل دون فصل ، وقصة دون قصة ، ومعنى دون معنى ، لاني قد شرحت لك أن الكلام في حكاية القصص وال اخبار ، وفي اللشرائم والاحكام ، وفي الديانة والتوحيد وفي الحجج والتثبيات ، هو خلاف الكلام فيما عدا هذه الامور . ألا ترى أن الشاعر المغلق اذا جاء الى الزهد قصر ، والأديب اذا تكلم في بيان الأحكام وذكر الحلال والحرام لم يكن كلامه على حسب كلامه في غيره ، ونظم القرآن لا يتفاوت في شيء ، ولا يتباين في أمر ، ولا يختلف في حال ، بل له المثل الأعلى ، والفضل الأسنى . وفيما شرحناه لك كفاية ، وفيما بيناه بلاغاً وندكر في الأحكاميات وغيرها آيات أخر ، منها قوله ( ٥ : ٤ ) : « يستلونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونن مما علمكم الله فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه واتقوا الله إن الله سريع الحساب » . أنت تجد في هذه الآية من الحكمة والتصرف العجيب والنظم البارع ما يدلك - ان شئت - على الاعجاز مع هذا الاختيار والايجاز

فكيف اذا بلم ذلك آيات وكانت سورة ؟ ونحو هذه الآية قوله ( ٧ : ١٥٧ ) :  
« الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجسونه مكتوبا عندهم في التوراة  
والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم  
الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه  
ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون » وكلاآية التي بعدها  
في التوحيد واثبات النبوة ، وكلاآيات الثلاث في المواريث . أي بارع يقدر  
على جمع أحكام الفرائض في قدرها من الكلام ؟ ثم كيف يقدر على ما فيها من  
بديع النظم ؟ وان جئت الى آيات الاحتجاج كقوله تعالى ( ٢١ : ٢٢ - ٢٣ ) :  
« لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدنا فسبحان الله رب العرش عما يصفون .  
لا يُسئل عما يفعل وهم يسألون » . وكلاآيات في التوحيد كقوله ( ٤٠ : ٦٥ ) :  
« هو الحي لا اله الا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين » وكقوله  
( ٢٥ : ١ - ٢ ) : « تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا  
الذي له ملك السموات والارض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك  
وخلق كل شيء فقدره تقديرا » . وكقوله ( ٦٧ : ١ ) : « تبارك الذي بيده  
الملك وهو على كل شيء قدير » الى آخرها وكقوله ( ٣٧ : ١ - ١٠ ) :  
« والصفات صفا فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا ان الحكم لواحد رب  
السموات والارض وما بينهما ورب المشارق انا زينا السماء الدنيا بزينة  
السكر والكب وحفظا من كل شيطان مارد لا يسمعون الى الملأ الاعلى ويُقدفون  
من كل جانب دحورا ولهم عذاب واصب الا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب  
ثاقب » هذه من الآيات التي قل فيها الله تعالى ذكره ( ٣٩ : ٢٣ ) . « الله  
نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم  
تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ومن يُضلل  
الله فإله من هاد » وانظر بهين عقلك وراجع جلية بصيرتك اذا تفكرت في



كلمة كلمة مما نقلناه اليك وعرضناه عليك ، ثم فبا ينتظم من الكلمات ، ثم الى أن يتكامل فصلا وقصة أو يتم حديثاً وسورة ، لا بل فكر في جميع القرآن على هذا الترتيب ، وتدبره على نحو هذا التنزيل ، فلم ندع ما دعينا به لبعضه ، ولم نصف ما وصفناه إلا في كله ، وان كانت الدلالة في البعض أبين وأظهر ، والآية أكشف وأبهر . واذا تأملت على ما هديناك اليه ووقفناك عليه فانظر هل ترى وقع هذا النور في قلبك واشتاله على لبتك وسريانه في حسك ونفوذته في عروقك وامتلاءك به ايقانا واحاطة واهتمامك به ايماناً وبصيرة ، أم هل تجد الرعب يأخذ منك مأخذه من وجه والهزة تعمل في جوانبك من لون والاريجية يستولى عليك من باب ، وهل تجد الطرب يستفزك لتطيف ما فطنت له ، والسرور يجررك من عجب ما وقفت عليه ، وتجذب في نفسك من المعرفة التي حدثت لك عزّة وفي أعطافك ارتياحاً وهزّة ، وترى لك في الفضل تقدماً وتبريزاً ، وفي اليقين سبقاً وتحقيقاً ، وترى مطارح الجهال تحت أقدام الغفلة ، ومهاويهم في ظلال القلة والذلة ، وأقدارهم بالعين التي يجب أن تلاحظ بها مراتبهم بحيث يجب أن ترتبها . هذا كله في تأمل الكلام ونظامه ، وعجيب معانيه وأحكامه ، فان جئت الى ما انبسط في العالم من بر كتبه وأنواره ، وتمكن في الآفاق من يمنه وأضوائه ، وثبت في القلوب من اكبارة واعظامه ، وتقرر في النفوس من حتم أمره ونهيه ، ومضى في الدماء من مفروض حكمه ، والى أنه جعل عماد الصلاة التي هي قلو الايمان في التأكيد ، وثانية التوحيد في الوجوب وفرض حفظه ، و وكل الصغار والكبار بتلاوته ، وأمر عند افتتاحه بما أمر به اتعظيمه من قوله « فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم » لم يؤمر بالتعوذ لافتتاح أمر كما أمر به لافتتاحه فهل يدلك هذا على عظيم شأنه وراجح ميزانه وعالي . مكانه وجملة الامر أن نقد الكلام شديد وتمييزه صعب

ومما كتب اليّ الحسن بن عبد الله العسكري : أخبرني أبو بكر بن دريد قال : سمعت أبا حاتم يقول : سمعت الاصمعي يقول : فرسان الشعراء أقل من فرسان الحرب . وقال : سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول : العلماء بالشعر أعز من الكبريت الاحمر ، واذا كان الكلام المتعارف المتداول بين الناس يشق تمييزه ، ويصعب نقده ، يذهب عن محاسنه الكثير ، وينظرون الى كثير من قبيحه بعين الحسن ، وكثير من حسنه بعين القبح ، ثم يختلفون في الاحسن منه اختلافا كثيرا ، وتباين آراؤهم في تفضيل ما تفضل منه فكيف لا يتحيرون فيما لا يحيط به علمهم ، ولا يتأني في مقدورهم ، ولا يمثل بخواطرم ؟ وقد حير القوم الذين لم يكن أحد أفصح منهم ولا أتم بلاغة ولا أحسن براعة ، حتى دهشوا حين ورد عليهم ، وولت عقولهم ، ولم يكن عندهم فيه جواب غير ضرب الامثال ، والتعرض عليه <sup>(١)</sup> ، والتوهم فيه ، وتقسيمه أقساما ، وجعله عضين . وكيف لا يكون أحسن الكلام وقد قال الله تعالى ( ٣٩ . ٢٣ ) : « الله زلّ أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم آتين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده ومن يضلل الله فما له من هاد » استغنم فهم هذه الآية و كفاك ! استغند علم هذه الكلمات وقد أغناك ، فليس يوقف على حسن الكلام بطوله ، ولا تعرف براعته بكثرة فصوله ، ان القليل يدل على الكثير ، والقريب قد يهجم بك على البعيد ، ثم انه سبحانه وتعالى لما علم من عظم شأن هذه المعرفة و كبر محلها و ذهابها على أقوام ذكر في آخر هذه الآية ما ذكر وبين ما بين ، فقال : « ذلك هدى الله يهدي به من يشاء » فلا يعلم ما وصفنا لك إلا بهداية من العزيز الحميد . وقال ( ٣٩ : ٢٣ ) : « ومن يضلل الله فما له من هاد » وقال ( ٢٦ : ٢ ) : « يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا » وقد بسطنا لك القول رجاء افهامك ،

(١) لعله ( والتخصر عليه )



وهذا المنهاج الذي رأيتُه ان سلكته يأخذ بيدك ويدلك على رشدك ويغنيك عن ذكر براعته آية آية لك . واعلم انالم نقصد فيما سطرناه من الآيات وسميناه من السور والدلالات ذكر الأحسن والأكشف والأظهر ، لانا نعتد في كل سورة ذكرناها وأضر بنا عن ذكرها اعتقاداً واحداً في الدلالة على الاعجاز والسكافية في المنع والبرهان ، ولكن لم يكن بد من ذكر بعض فذكرنا ما تيسر وقلنا فيما أتجه في الحال وخطر ، وان كنا نعتقد ان الاعجاز في بعض القرآن أظهر وفي بعض أدق وأعمض ، والكلام في هذا الفصل يجيء بعد هذا ، فاحفظ عنا في الجملة ما كررنا والسير بعد ذلك في التفصيل اليك . وحصل ما أعطيناك من العلامة ، ثم النظر عليك

قد اعتمدنا على أن الآيات تنقسم الى قسمين : أحدهما ما يتم بنفسه ، أو بنفسه وفاصلته فينير في الكلام انارة النجم في الظلام ، والثاني ما يشتمل على كلمتين أو كلمات اذا تأملتها وجدت كل كلمة منها في نهاية البراعة وغاية البلاغة وانما يبين ذلك بأن تتصور هذه الكلمة مضمنة بين أضعاف كلام كثير أو خطاب طويل ، فتراها ما بينها تدل على نفسها وتعلو على ما قد قرن منها لعلو جنسها ، فاذا ضمت الى اخواتها وجاءت في ذواتها أرتك القلائد منظومة ، كما كانت تريك عند تأمل الافراد منها اليواقيت منشورة والجواهر مبنوثة ، ولولا ما أكره من تضمين القرآن في الشعر لأنشدتك ألفاظاً وقعت مضمنة لتعلم كيف تلوح عليه وكيف ترى بهجتها في أثنائه وكيف تتماز منه ، حتى انه لو تأمله من لم يقرأ القرآن لتبين انه أجنبي من الكلام الذي تضمنه والباب الذي توسطه ، وأنكر مكانه واستكبر موضعه ، ثم تناسبها في البلاغة والابداع وتماثلها في السلاسة والاعراب ، ثم انفرادها بذلك الاسلوب وتخصصها بذلك الترتيب ، ثم سائر ما قدمنا ذكره مما نكره اعادته . وأنت ترى غيره من الكلام يضطرب في مجاريه ، ويختل تصرفه في معانيه ، ويتفاوت التفاوت الكثير في طرقة ،

ويضيق به النطاق في مذاهبه ، ويرتبك في أطرافه وجوانبه ، ويسلمه للتكلف  
الوحش كثرة تصرفه ، ويجيله على التصنع الظاهر موارد تنقله وتحلصه ، ونظم  
القرآن في مؤلفه ومختلفه ، وفي فصله ووصله ، وافتتاحه واختتامه ، وفي كل نهج  
يسلمك ، وطريق يأخذ فيه ، وباب يتهجم عليه ، ووجه يؤمه - على ما وصفه  
الله تعالى به - لا يتفاوت ، كما قال ( ٤ : ٨٢ ) : « ولو كان من عند غير الله  
لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ، ولا يخرج عن تشابهه وتمائله ، كما قال ( ٣٩ : ٢٨ ) :  
« قرآنًا عربيًا غير ذي عوج ، » وكما قال ( ٣٩ : ٢٣ ) : « كتابًا متشابهًا »  
ولا يخرج عن ابنته ، كما قال ( ٢٦ : ١٩٥ ) « بلسان عربي مبين » وغيره  
من الكلام كثير التلون ، دائم التغير ، يقف بك على بديع مستحسن ، ويعقبه  
قبیح مستهجن ، ويطلع عليك بوجه الحسناء ، ثم يعرض للهجر بنجد القبيحة  
الشوهاة ، يأتيك باللفظة لمنكرة بين الكلمات التي هي كاللآلئ الزهر ، وقد  
يأتيك باللفظة الحسنة بين الكلمات البهية ، قد يقع اليك منه الكلام المشبج<sup>(١)</sup>  
والنظم المشوش ، والحديث المشوه ، وقد نجد منه ما لا يتناسب ولا يتشابه  
ولا يتألف ولا يتماثل ، وقد قيل في وصف ما جرى هذا المجرى :

وشعر بعر الكبش مرق بينه لسان دعى في القريض دخيل  
وقال آخر :

وبعض قريض النوم أولاد علة يكذب لسان الناطق المتحفظ

فان قل قائل : فقد نجد في آيات القرآن ما يكون نظمه بخلاف ما وصفت  
ولا تتميز الكلمات بوجه البراعة ، وانما تكون البراعة عندك منه في مقدار  
يزيد على الكلمات المفردة ، و حد يتجاوز حد الالفاظ المستبعدة ، وان كان  
الاكثر على ما وصفته به ، قيل له : نحن نعلم أن قوله ( ٤ : ٢٣ ) : « حرمت  
عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم » الى آخر الآية ليس



من القبيل الذي يمكن اظهار البراعة فيه و ابانة الفصاحة ، وذلك يجري عندنا مجرى ما يحتاج الى ذكره من الاسماء والالقب ، فلا يمكن اظهار البلاغة فيه ، فطلبها في نحو هذا ضرب من الجهالة ، بل الذي يعتبر في نحو ذلك تنزيل الخطاب وظهور الحكمة في الترتيب والمعنى ، وذلك حاصل في هذه الآية - ان تأملت - ألا ترى انه بدأ بذكر الأم لعظم حرمتها وادلائها بنفسها ومكان بعضيتها ، فهي أصل لكل من يدلى بنفسه ممنه ، لانه ليس في ذوات الانساب أقرب منها ، ولما جاء الى ذوات الأسباب ألحق لها حكم الام من الرضاع ، لان اللحم ينشره اللبن بما يقذوه فيحصل بذلك أيضا لها حكم البعضية ، فنشر الحرمة بهذا المعنى وألحقها بالوالدة ، وذكر الأخوات من الرضاة فنبه بها على كل من يدلي بغيرها وجعلها تلو الام من الرضاع ، والكلام في اظهار حكم هذه الآية وفوائدها يطول ، ولم نضع كتابنا لهذا ، وصييل هذا أن نذكره في كتاب معاني القرآن ان سهل الله لنا املاه وجمعه ، فلم تنفك هذه الآية من الحكم التي تخلف حكمة الاعجاز في النظم والتأليف ، والفائدة التي تنوب مناب العدول عن البراعة في وجه الترصيف ، فقد علم السائل أنه لم يأت بشيء ولم يهتد للاغراض في دلالات الكلام وفوائده ومتصرفاته وفنونه ومتوجهاته ، وقد يتفق في الشعر ذكر الاسامى فيحسن موقعه ، كقول أبي دواد الأسدي :

ان يقتلوك فقد ثلثت عروشهم بعتيبة بن الحارث بن شهاب  
 بأشدهم كلباً على أعدائه وأعزهم فقداً على الاصحاب

وقد يتفق ذكر الاسامى فيفسد النظم ويقبح الوزن ، والآيات الاحكاميات التي لا بد فيها من أمر البلاغة يعتبر فيها من الالفاظ ما يعتبر في غيرها ، وقد يمكن فيها ، وكل موضع أمكن ذلك فقد وجد في القرآن في باب ما ليس عليه

مزيد في البلاغة وعجيب النظم ، ثم في جملة الآيات ما ان لم تراع اليديع البليغ في الكلمات الافراد والالفاظ الآحاد فقد نجد ذلك مع تركيب الكلمتين والثلاث ويترد ذلك في الابتداء ، والخروج ، والفواصل ، وما يقع بين الفاتحة والخاتمة من الوساطة ، أو باجتماع ذلك أو في بعض ذلك ، ما يخلف الابداع في أفراد الكلمات . وان كانت الجملة والمعظم على ما سبق الوصف فيه ، واذا عرف ما يجري اليه الكلام ، وينهى اليه الخطاب ، ويقف عليه الاسلوب ، ويختص به القبيل بان عند أهل الصنعة تميز بابه وانفراد سبيله ، ولم يشك البليغ في انتمائه الى الجهة التي ينتمي اليها ، ولم يرتب الاديب البارع في انتسابه الى ما عرف من نهجه وهذا كما يعرف طريقه متوسل في رسالته فهو لا يخفى عليه بناء قاعدته وأساسه فكأنه يرى أنه يعد عليه مجاري حركاته وأنفاسه . وكذلك في الشعر واختلاف ضروبه يعرف المتحقق به طبع كل أحد وسبيل كل شاعر ، وفي نظم القرآن أبواب كثيرة لم نستوفها ، وتقصيها يطول ، وعجائبها لا تنقضي . فمنها الكلام (١) والاشارات ، واذا بلغ الكلام من هذا القبيل مبلغاً ربما زاد الافهام به على الايضاح ، أو ساوى مواقع التفسير والشرح مع استيفائه شروطه ، كان النهاية في معناه ، وذلك كقوله ( ١٧ : ١ ) : « سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير » فصول هذه الآية وكلماتها على ما شرحناه من قبل البلاغة والالطف في التقدم وفي تضمن هذا الامر العظيم والمقام الكريم ، ويتلو هذه قوله ( ١٧ : ٢ ) : « وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني اسرائيل » هذا خروج لو كان في غير هذا الكلام لتصور في صورة المنقطع ، وقد تمثل في هذا النظم لبراعته وعجيب أمره وموقع ما لا ينفك منه القول ، وقد يتبرأ الكلام

(١) يياض بالاصلين ينسع لكلمة واحدة



المتصل بعضه من بعض ويظهر عليه التثبيح<sup>(١)</sup> والتباین للخلل الواقع في النظم ، وقد تصور هذا الفصل للطفه وصلا ولم بين عليه تميز الخروج ، ثم انظر كيف أجرى هذا الخطاب الى ذكر نوح وكيف أثنى عليه ؟ وكيف يليق صفته بالفاصلة ويتم النظم بها - مع خروجها مخرج البروز من الكلام الاول - الى ذكره ، واجرائه الى مدحه بشكره ، وكونهم من ذريته يوجب عليهم أن يسيروا بسيرته ، وأن يستنوا بسنته في أن يشكروا وكشكروه ، ولا يتخذوا من دون الله وكيلا ، وأن يعقدوا تعظيم تخليصه ايام من الطوفان لما حملهم عليه ونجاهم فيه حين أهلك من عاداهم به ، وقد عرفهم أنه انما يؤاخذهم بذنوبهم وفسادهم فيما سلط عليهم من قبلهم وعاقبهم ثم عاد عليهم بالافضال والاحسان حتى يتذكروا ويعرفوا قدر نعمة الله عليهم وعلى نوح الذي ولد لهم وهم من ذريته ، فلما عادوا الى جہالتهم وتمردوا في طغيانهم ، عاد عليهم بالتعذيب . ثم ذكر الله عز وجل في ثلاث آيات بعد ذلك معنى هذه القصة التي كانت لهم بكمالات قليلة في العدد كثيرة الفوائد لا يمكن شرحها إلا بالتفصيل الكثير والكلام الطويل ، ثم لم يخل تضاعيف الكلام مما ترى من الموعظة على أعجب تدريج وأبداع تاريخ بقوله (١٧ : ٧) : « ان أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وان أسأتتم فلها » ولم ينقطع بذلك<sup>(٢)</sup> الكلام ، وأنت ترى الكلام يتبدد مع اتصاله وينتشر مع انتظامه ، فكيف بالقاء ما ليس منه في أثنائه وطرح ما بعده في أدراجه ؟ الى أن خرج الى قوله (١٧ : ٨) « عسى ربكم أن يرحمكم وان عدتم عدنا » يعني ان عدتم الى اللطاعة عدنا الى العفو ، ثم خرج خروجاً آخر الى ذكر القرآن . وعلى هذا فقس بحثك عن شرف الكلام ، وماله من علو الشأن ، لا يطلب مطلبا

(١) التثبيح ، والتبج - محرقة - اضطراب الكلام وتغنيبه وتعمية الخط وترك بيانه

(٢) هنا بالنسخة الخطية يماض يسع لكلمة واحدة

الا انفتح ، ولا يسلك قلبا الا انشرح ، ولا يذهب مذهبا إلا استنار وأضاء ،  
ولا يضرب مضربا الا بلغ فيه السماء ، لا تقع منه على فائدة فقدرت انها أقصى  
فوائدها الا قصرت ، ولا تظفر بحكمة فظننت أنها زبدة حكمها الا وقد أخلت ،  
ان الذي عارض القرآن بشعر امرئ القيس لأضل من حمار أهله ، وأحق من  
هَدْمَتَمَّة لو كان شعره كله كالآبيات المختارة التي قدمناها لأوجب البراءة  
من (١) قوله :

وَرَسَنَ كَسْدَيْتِي سِنَاءَ وَسُنَاءٍ ذَعَرْتُ بِمِدْلَاجِ الْمَجِيزِ نَهْوِضِ  
قال الاصمعي : لا أدري ما السن ولا السنيق ولا السنم . وقال بعضهم :  
السنيق أكمة . وقال فيها :

لَهُ نُصْرٌ بِأَعْيُرٍ وَسَاقًا لِعَامَةٍ كَفَحَلِ الْمَجَانِ الْقَيْصَرِيِّ الْعَضْوِضِ  
وقوله :

عَصَانِيرٌ وَذَبَانٌ وَدُودٌ وَأَجْرًا مِنْ مَجْلَجَلَةِ الْقَدَابِ (٢)  
وزاد في تقييح ذلك وقوعه في أبيات فيها :

قَدِ طَوَّفَتْ فِي الْآفَاقِ حَتَّى رَضِيَتْ مِنَ الْغَنِيمَةِ بِالْأَيَابِ  
وَكُلِّ مَكَارِمِ الْإِخْلَاقِ سَارَتْ إِلَيْهِ هَمِّي وَنَمَا اِكْتِسَابِي  
وكقوله في قصيدة قلها في نهاية السقوط :

أَزْمَانَ فَوْهَا كَلَّمَا نَبَيْتَهَا كَالْمَسْكَ فَاخِ وَظَلَّ فِي الْفَدَامِ  
أَفَلَا تَرَى أَظْعَانَهُنَّ بَوَا كِرَاءً كَالنَّخْلِ مِنْ شَوْ كَانَ حِينَ صِرَامِ  
وَكَأَنَّ شَارِبَهَا أَصَابَ لِسَانَهُ مُومٌ بِخَالِطِ جِسْمِهِ بِسْتَامِ  
وكقوله :

(١) في الخطبة (منه)

(٢) في الخطبة (الذباب)



لم يفعلوا فعل آل حفظة      انهم جبر بثما اثمروا  
 لا حَيْرِي وفي ولا عدس      ولا آست عير يحكها الفرس  
 ان بنى عوف ابتنوا حسبا      ضيمه الداخون (١) اذ غدروا  
 وكقوله :

أبلغ شهابا وأبلغ      هل أذاك الحيزمال (٢)  
 انا تركنا منكم قتلى      بخوعى وسيدا كالسعالى  
 بمشين بين رحالنا      معترفات بجوع وهزال

ولم يقع مثل ذلك له وحده ، فقد قال الاعشى :

فأدخلك الله برد الجنا      ن جدلان في مدخل طيب  
 وقال أيضا :

فرميت غفلة عينه عن شاته      فأصبت حبة قلبها وطحالمها  
 وقال في فرسه :

ويأمر لليحموم كل عشية      بقت وتعليق فقد كاد يسبق  
 وقال :

شاو مثل شلؤل شلؤل شول (٣)

وهذه الألفاظ في معنى واحد ، وقد وقع لزهير نحوه كقوله :

فأقسمت جهداً بالمنازل من منى      وما سفحت فيه المقادم والأنمزل  
 كيف يقال هذا في قصيدة يقول فيها :

وهل ينبت الخطى الا وشيجه      وتفرس الا في منابتها النخل  
 وكقول الطر مآح :

(١) في الخطبة ( الدخلون )

(٢) في الخطبة ( هل اذاك الحيز مال )

(٣) صدر هذا البيت : وقد غدوت الى الحانوت يتبعني

سوف تدنيك من لميس سبتنا ة امارت بالبول ماء الكراض  
 السبتنة : الناقة للصلبة ، والكراض : ماء الفحل ، أسالت ماء الفحل مع  
 البول فلم تعقد عليه ولم تحمل فتضعف ، والمائر : السائل  
 فان قال قائل أجدك تحاملت على امرى القيس ورأيت أن شعره يتفاوت  
 بين الابن والشراسة ، وبين اللطف والشكاسة ، وبين التوحش والاستئناس ،  
 والتقارب والتباعد ، ورأيت الكلام الأهدل أفضل ، والنظام المستوثق  
 أكمل ، وأنت نجد البحري يسبق في هذا الميدان ، ويفوت الغاية في هذا  
 الشأن ، وأنت ترى الكتاب يفضلون كلامه على كل كلام ، ويقدمون رأيه في  
 البلاغة على كل رأي ، و كذلك نجد لأبي نواس من بهجة اللفظ ودقيق المعنى  
 ما يتحير فيه أهل اللفظ ويقدمه الشطار والظراف على كل شاعر ، ويرون لنظمه  
 ووعه لا يرون لنظم غيره ، وزبرجاً لا يتفق لسواه ، فكيف يعرف فضل  
 ماسواه عليه ؟ فالجواب ان الكلام في أن الشعر لا يجوز أن يوازن به القرآن  
 قد تقدم ، واذا كنا قد بينا ان شعر امرى القيس - وهو كبيرهم الذي يقرون  
 بتقدمه ، وشيخهم الذي يعترفون بفضله ، وقائدهم الذي يأتون به ، وامامهم الذي  
 يرجعون اليه - كيف سبيله وكيف طريق منزلته عن منزلة نظم القرآن ، وانه  
 لا يخلط بشعره غير ذلك النظم ، وهو اذا لحظ ذلك كان كما قال :

فأصبحت من ليلي الغداة كناظر مع الصبح في اعجاز نجم مغرب  
 وكما قال أيضا :

راحت مشرقة ورحت مغربا فحق التقاء مشرق ومغرب  
 واذا كنا قد أبنا في القاعدة ما علمت ، وفصلنا لك في شعره ما عرفت ،  
 لم نحتاج الى أن تسكلم على شعر شاعر<sup>(١)</sup> وكلام كل بليغ ، والقليل يدل على

(١) لعل العبارة هكذا ( على شعر كل شاعر ) الخ



الكثير، وقد بينا في الجملة مباينة أسلوب نظم القرآن جميع الاساليب، ومزيته عليها في النظم والترتيب، وتقدمه عليها في كل حكمة وبراعة، ثم تكلمنا على التفضيل (١) على ما شهدت، ولا يبقى علينا بعد ذلك سؤال

ثم نقول: أنت تعلم أن من يقول بتقديم البحري في الصنعة به من الشغل في تفضيله على ابن الرومي أو تويبة ما بينهما مالا يطعم معه في تقديمه على امرئ القيس ومن في طبقتهم، وكذلك أبو نواس إنما يعدل شعره بشعر أشكاله، ويقابل كلامه بكلام أضرابه من أهل عصره، وإنما يقع بينهم التباين اليسير والتفاوت القليل، فإما ان يظن ظان أو يتوهم متوهم أن جنس الشعر معارض لنظم القرآن فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق، وإنما هي خواطر يغير بعضها على بعض، ويقتدي فيها بعض ببعض والغرض الذي يرمي اليه ويصح التوافي عليه في الجملة فهو قبيل متداول وجنس متنازع، وشريفة مورودة، وطريقة مسلوكة. ألا ترى الى ما روى عن الحسين بن الضحاك، قال: أنشدت أبا نواس قصيدتي التي فيها:

وشاطري اللسان محتاق التسكريبه زان الجون بالنسك

كأنه - نصب كأسه - قرَّ يكرع في بعض أنجم الفلك

قال: فأنشدني أبو نواس بعد أيام قصيدته التي يقول فيها:

أعاذل أعتبتُ الامام واعتبا وأعربت عما في الضمير وأعربا

وقلت لساقبها (٢) اجزها فلم أكن ليأبى أمير المؤمنين وأشربا

فجوزها عن عقارا ترى لها الى الشرق الاعلى شعاعا مظنبا

إذا عبَّ فيها شارب القوم خلته يقبل في داج من الليل كو كبا

قال: فقلت له: يا أبا علي هذه مصالته، فقال: أتظن أنه يرى لك معنى

وأنا حي؟ فتأمل هذا الاخذ وهذا الوضع وهذا الاتباع، أما الخليم فقد رأى

(١) في الخطبة (التفصيل) (٢) في الخطبة (لساقبنا)

الابداع في المعنى ، فأما العبارات فإنها ليست على ما ظننه ، لان قوله « يكرع » ليس بصحيح وفيه ثقل بين وتفاوت ، وفيه احالة ، لان القمر لا يصح تصور أن يكرع في نجم ، وأما قول أبي نواس : « اذا عب فيها » فكلمة قد قصد فيها المتانة وكان سبيله أن يختار سواها من ألفاظ الشراب ، ولو فعل ذلك كان أملح ، وقوله : « شارب القوم » فيه ضرب من التكلف الذي لا بد له منه أو من مثله لاقامة الوزن ، ثم قوله : « خلته يقبل في داج من الليل كوكبا » تشبيه بحالة واحدة من أحواله ، وهي أن يشرب حيث لا ضوء هناك ، وإنما يتناوله ليلا ، فليس بتشبيه مستوفى على ما فيه من الوقوع والملاحاة . وقد قال ابن الرومي ما هو أوقع منه وأملح وأبدع :

ومفهف تمت محاسنه	حتى تجاوز منية النفس
نصبو الكئوس الى مراشفه	وتحن في يده الى الحبس
أبصرته والكأس بين فم	منه وبين أنامل الخمس
وكانها وكان شاربها	قر يقبل عارض الشمس

ولا شك في أن تشبيه ابن الرومي أحسن وأعجب ، الا انه تمكن من إرادته في بيتين وهما - مع سبقها الى المعنى - أتيا به في بيت واحد

وانما أردت بهذا أن أعرفك أن هذه أمور متقاربة يقع فيها التنافس والتعارض ، والاطاع متملقة بها ، والهم تسمو اليها ، وهي ألف طباغنا وطوع مدار كنا وجرانس لكلامنا ، واعجاب قوم بنحو هذا وما يجري أبحراه ، وإيثار أقوام لشعر البحثري على أبي تمام وعبد الصمد وابن الرومي ، وتقديم قوم كل هؤلاء أو بعضهم عليه ، وذهاب قوم عن المعرفة ، ايس بأمر يضربنا ، ولا يجب يعترض على افهامنا

ونحن نعلم الى بعض قصائد البحثري فنتكلم عليها كما تكلمنا على



قصيدة امرئ القيس ، ليزداد الناظر في كتابنا بصيرة ، ويستخلص من سر المعرفة سريرة ، ويعلم كيف تكون الموازنة ، وكيف تقع المشابهة والمقاربة ، ونجمل تلك القصيدة التي نذكرها أجود شعره

سمعت الصاحب اسماعيل بن عباد يقول : سمعت أبا الفضل بن العميد يقول :

سمعت أبا مسلم الرستمي يقول : سمعت البحري يذكر أن أجود شعره قاله :

أهلاً بذلكم الخيال المقبل

قال : وسمعت أبا الفضل بن العميد يقول : أجود شعره هو قوله في الشيب :

زجر له لو كان ينزجر

قال : وسئلت عن ذلك فقلت : البحري أعرف بشعر نفسه من غيره

فنحن الآن نقول في هذه القصيدة ما يصلح في مثل هذا ، قوله :

أهلاً بذلكم الخيال المقبل فعل الذي نهواه أو لم يفعل

برق سري في بطن وجرة فاهتدت بسناه أعناق الركاب الضلل

البيت الأول ، في قوله « ذلكم الخيال » ثقل روح وتطويل وحشو ،

وغيره أصلح له . وأخف منه قول الصنوبري :

أهلاً بذاك الزور من زور شمس بدت في فلك الدور

وعذوبة الشعر تذهب بزيادة حرف أو نقصان حرف ، فيصير إلى الكرازة ،

وتعود ملاحظته بذلك ملوحة ، وفصاحته عيباً ، وبراعته تكلفاً ، وسلاسته تعسفاً

وملامسته تلويهاً وتعقداً ، فهذا فصل . وفيه شيء آخر ، وهو أن هذا الخطاب إنما

يستقيم مما خوطب به الخيال حال إقباله ، فأما أن يحكى الحال التي كانت وصلت

على هذه العيادة ففيه عهدة ، وفي تركيب الكلام عن هذا المعنى عقدة ، وهو

لبراعته وحذقه في هذه الصنعة - يعلق نحو هذا الكلام ولا ينظر في عواقبه ،

لأن ملاحظة قوله تغطي على عيون الناظرين فيه نحو هذه الأمور . ثم قوله :

« فعل الذي نهواه أو لم يفعل » ليست بكلمة رشيقة ، ولا لفظة ظريفة ، وان كانت كسائر الكلام . فأما بيته الثاني فهو عظيم الموقع في البهجة ، وبديع المأخذ حسن الرواء ، أنيق المنظر والمسمع ، يملأ القلب والفهم ، ويفرح الخاطر ، وترى بشاشته في العروق . وكان البحترى يسمي نحو هذه الأبيات عروق الذهب ، وفي نحوه ما يدل على براعته في الصناعة ، وحذقه في البلاغة : ومع هذا كله فيه ما نشرحه من الخلل ، مع الديباجة الحسنة والرونق المليح ، وذلك أنه جعل الخيال كالبرق لاشراقه في مسراه كما يقال انه يسري كنسيم الصبا فيطيب ما مر به كذلك يضيء ما مر حوله وينور ما مر به وهذا غلو في الصنعة الا ان ذكره بطن وجرة حشو ، وفي ذكره خلل ، لان النور القليل يؤثر في بطون الارض وما اطأن منها ، بخلاف ما يؤثر في غيرها ، فلم يكن من سبيله ان يربط ذلك ببطن وجرة ، وتحديد المكان على الحشو احمد من تحديد امريء القيس من ذكر سقط اللوى بين الدخول فحومل فتوضح فالمقراة ، لم يقنع بذكر حد حتى حده بأربعة حدود ، كأنه يريد بيع المنزل فيخشى - ان أخلَّ بحمد - أن يكون يبعه فاسداً او شرطه باطلا ، فهذا باب . ثم انما يذكر الخيال بمخفاء الاثر ودقة المطلب ولطف المسلك ، وهذا الذي ذكره يصاد هذا الوجه ويخالف ما يوضع عليه اصل الباب . ولا يجوز أن يقدر مقدر أن البحترى قطع الكلام الاول وابتدأ بذكر برق لمع من ناحية حبيبه من جهة بطن وجرة ، لان هذا القطع ان كان فعله كان خارجا به عن النظم الحمود ولم يكن مبدعا ، ثم كان لا تكون فيه فائدة ، لان كل برق شعل وتكرر وقع الاهتداء به في الظلام ، وكان لا يكون بما نظمه مفيدا ولا متقدما ، وهو على ما كان من مقصده فهو ذو لفظ محمود ، ومعنى مستحب غير مقصود ، ويعلم بمثله أنه طلب العبارات ، وتعليق القول بالاشارات ، وهذا من الشعر الجفلس الذي يحلو لفظه وتتل فوائده .

كقول القائل :



ولما قضينا من منى كل حاجة ومسح بالاركان من هو ماسح  
 وشدت على حذب المهاري رحالنا ولا ينظر الغادي الذي هو رانح<sup>(١)</sup>  
 أخذنا بأطراف الاحاديث بيننا وسالت بأعناق المطى الاباطح  
 هذه أفاظ بهيمة المطالع والمقاطع ، حلوة المجاني والمواقع ، قليلة المعاني  
 والفوائد . فأما قول البحثري بعد ذلك :

من عادة مُنعت وتَمنع نيلها فلو آتاه بذلت لنا لم تبذل  
 كالبدر غير مخبل والغصن غير مميل والدعص غير مهيل  
 فالبيت الاول - على ما تكلف فيه من المطابقة ، ونجشم الصنعة - أفاظه  
 أوفر من معانيه ، وكلماته أكثر من فوائده ، وتعلم أن القصد وضع العبارات  
 في مثله ، ولو قال هي ممنوعة مانعة كان ينوب عن تطويله ، وتكثيره الكلام  
 وتحويله ، ثم هو معنى متداول مكرر على كل لسان . وأما البيت الثاني ، فانت  
 تعلم أن التشبيه بالبدر والغصن والدعص أمر منقول متداول ، ولا فضيلة في  
 التشبيه بنحو ذلك ، وإنما يفتى تشبيهه بثلاثة اشياء بثلاثة اشياء في البيت ، وهذا أيضا  
 قريب لأن المعنى مكرر ، ويبقى له بعد ذلك شيء آخر وهو عمله لترصيع في  
 البيت كله ، الا أن هذه الاستننات فيها ضرب من التكلف ، لأن التشبيه  
 بالغصن كاف ، فاذا زاد فقال كالغصن غير معوج كان ذلك من باب التكلف  
 خلا ، وكان ذلك زيادة يستغنى عنها ، وكذلك قوله « كالدعص غير مهيل »  
 لأنه اذا انهمال خرج عن ان يكون مطلق التشبيه مصروفا اليه ، فلا يكون  
 لتقييده معنى ، وأما قوله :

ما الحسن عندك يا سعاد بمحسنٍ فيما أتاه ولا الجمال بمجمل  
 عدل المشوق وان من سبأ الهوى في حيث يجوله لجاج العدل  
 قوله - في البيت الاول - « عندك » حشو ، وليس بواقع ولا بديع

(١) في غير هذا الكتاب : وشدت على دهم المطايا رحالنا ولم ينظر الغادي الذي هو رانح

وفيه كلفة ، والمعنى الذي قصده أنت تعلم أنه متكرر على لسان الشعراء ، وفيه شيء آخر لانه يذكر أن حسنهما لم يحسن في تهيبج وجده وتهيب قلبه ، وضد هذا المعنى هو الذي يميل اليه أهل الهوى والحب . ويت كشاجم أسلم من هذا وأبعد من الخلل ، وهو قوله :

بحياة حسنك أحسنى وبحق من جعل الجمال عليك وقفا أجلي  
وأما البيت الثاني فإن قوله « في حيث » حشا بقوله في كلامه ، ووقع ذلك مستنكراً وحشياً نافرماً عن طبعه ، جافياً في وضعه ، فهو كرقعة من جلد في ديباج حسن ، فهو يمحو حسنه ، ويأتي على جماله . ثم في المعنى شيء لان لجلاج العذل لا يدل على هوى مجهول ، ولو كان مجهولاً لم يهتدوا للعذل عليه ، فلم أن المقصد استجلاب العبارات دون المعاني ، ثم لو سلم من هذا الخلل لم يكن في البيت معنى بديع ولا شيء يفوت قول الشعراء في العذل ، فان ذلك جملهم الذلول ، وقولهم المكرر . وأما قوله :

ماذا عليك من انتظار متيم بل ما يضررك وقفة في منزل  
ان سيل عى عن الجواب فلم يطق رجعاً فكيف يكون ان لم يسأل  
لست أنكر حسن البيتين ، وظرفهما ورشاقتهما ولطفهما وما هما وبهجتهما ، الا أن البيت الاول منقطع عن الكلام المتقدم ضرباً من الانقطاع ، لانه لم يجز لمشافهة العاذل ذكر ، وإنما جرى ذكر العذال على وجه لا يتصل هذا البيت به ولا يلائم ، ثم الذي ذكره من الانتظار - وان كان مليحاً في اللفظ - فهو في المعنى متكلف ، لان الواقف في الدار لا ينتظر أمراً ، وإنما يقف نحسراً وتذلاً وتحييراً والشطر الاخير من البيت واقع والاول مستجلب ، وفيه تعليق على أمر لم يجز له ذكر لان وضع البيت يقتضي تقدم عذل على الوقوف ، ولم يحصل ذلك المذكوراً في شعره من قبل ، وأما البيت الثاني فانه معلق بالاول لا يستقل الا به ، وهم



يعيبون ووقوف البيت على غيره ، ويرون أن البيت التام هو المحمود والمصراع التام بنفسه - بحيث لا يقف على المصراع الآخر - أفضل وأتم وأحسن . وقوله : « فكيف يكون ان لم يسأل » مليح جداً ، ولا تستمر ملاحظة ما قبله عليه ، ولا يطرده فيه الماء اطراده فيه ، وفيه شيء آخر ، لانه لا يصلح أن يكون السؤال سبباً لان يعاين الجواب ، وظاهر القول يقتضيه . فأما قوله :

لا تكلفن لى الدموع فان لى دمعاً ينم عليه ان لم يفضل

ولقد سكنت الى الصدود من النوى والشرى أرى عند طعم الخنظل

وكذلك طرفة حين أوجس ضربة في الرأس هان عليه فصد الاكل

فالبيت الاول مخالف لما عليه مذهبهم في طلب الاسعاد بالدموع ، والاسعاف بالبكاء . ومخالف لاول كلامه ، لانه يفيد مخاطبة العذل وهذا يفيد مخاطبة الرفيق . وقد بينت لك أن القوم يسلكون حفظ الألفاظ وتصنيعها دون ضبط المعاني وترتيبها ، ولذلك قال الله عز وجل « والشعراء يتبعهم الغاؤون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون مالا يفعلون » فأخبر انهم يتبعون القول حيث توجه بهم ، واللفظ كيف أطاعهم ، والمعاني كيف تتبع ألفاظهم ، وذلك خلاف ما وضع عليه الابانة عن المقاصد بالخطاب ، ولذلك كان طلب الفصاحة فيه أسهل وأمكن ، فصار بهذا أبلغ خطابهم . ثم لو أن هذا البيت وما يتلوه من البيتين سلم من نحو هذا لم يكن في ذلك شيء يفوت شعر شاعر أو كلام متكلم . وأما قوله : « والشرى أرى » فانه وان كان قد تصنع له من جهة الطباق ومن جهة التجنيس المقارب فهي كلمة ثقيلة على اللسان ، وهم يذمون نحو هذا ، كما عابوا على أبي تمام قوله :

كريم متى أمدحه أمدحه والورى معي ومتى <sup>(١)</sup> ما لمته لمته وحدي  
ذكر لى الصاحب بن عباد أنه جرى أبا الفضل بن العميد في محاسن

(١) الذى في كتب المعاني (ولانا ما لمته)

القصيدة حتى انتهى الى هذا البيت فذكر له أن قوله « أمدحه أمدحه » معيب  
لنقله من جهة تدارك حروف الخلق ، ثم رأيت بعد ذلك المتقدمين قد تكلموا  
في هذه النكتة فعلمت أن ذلك شيء عند أهل الصنعة معروف . ثم أن قوله « عند  
أكل الخنظل » ليس بحسن ولا واقع . وأما البيت الثالث فهو أجنبى من كلامه  
غريب في طباعه ، نافر من جملة شعره ، وفيه كزازة وفجاجة وان كان المعنى  
صالحا ، فأما قوله :

وأغر في الزمن البهيم محجل قد رحتُ منه على أغرٍ محجلٍ

كالميكل المبسئ إلا أنه في الحسن جاء كصورة في هيكل

فالبيت الاول لم يتفق له فيه خروج حسن بل هو مقطوع عما سلف من  
الكلام ، وعامة خروجه نحو هذا ، وهو غير بارع في هذا الباب ، وهذا مندوم  
معيب منه ، لأن من كان صناعته الشعر ، وهو يأكل به ، وتغافل عما يرفع  
اليه في كل قصيدة ، واستهان بأحكامه وتجويده مع تنبئه لان يكون عامة ما  
يصدر به اشعاره من النسيب عشرة أبيات وتنبئه للصنعة للكثيرة وتركيب  
العبارات وتفتيح الالفاظ وتزويرها - كان ذلك أدخل في عيبه ، وأدل على  
تقصيره أو قصوره ، وانه لا يقع له الخروج منه ، وأما قوله : « وأغر في الزمن  
البهيم محجل » فان ذكر التحجيل في الممدوح قريب ، وليس بالجيد ، وقد  
يمكن أن يقال انه اذا قرن بالاغر حسن ، وجرى مجراه ، وانخرط في سلكه ،  
وأهوى الى مضاره ، ولم ينكر لسكانه من جواره ، فهذا عذر ، والعدول عنه  
أحسن . وإنما أراد أن يرد المعجز على المصدر ويأتي بوجه التجنيس ، وفيه  
شيء ، لان ظاهر كلامه يوم أنه قد صار ممتطي الاغر الاول ورأى عليه ، ولو  
سلم من ذلك لم يكن فيه ما يفوت حدود الشعراء وأقويل الناس ، فأما ذكر  
الميكل في البيت الثاني ورده عجز البيت عليه وظنه أنه قد ظفر بهذه اللفظة  
وعمل شيئا حتى كررها فهي كلمة فيها ثقل ، ونحن نجد هم اذا أرادوا أن يصنعوا



نحو هذا قالوا : « ما هو الا صورة ، وما هو الا مثال ، وما هو الادمية وما هو الاظبية » ونحو ذلك من الكلمات الخفيفة على القلب واللسان ، وقد استدرك هو أيضا على نفسه فذكر أنه كصورة في هيكل ، ولو اقتصر على ذكر الصورة وحذف الهيكل كان أولى وأجمل ، ولو أن هذه الكلمة كررها أصحاب العزائم على الشياطين لراعوهم بها ، وأفرعوهم بذكرها ، وذلك من كلامهم وشبيه بصناعتهم . وأما قوله :

وإني الضلوع يشده عقد حزامه يوم اللقاء على معم مخول

أحواله للرُسَمَيْنِ بفارس وجدوده للقبَّعَيْنِ بموكل

نبل المحزم مما يمدح به الخليل فهو لم يأت فيه ببديع ، وقوله : « يشده عقد حزامه » داخل في التكلف والتعسف ، لا يقبل من مثله وان قبلناه من غيره لانه يتبع الالفاظ وينقدها نقداً شديداً ، فهلا قال يشد حزامه ، أو يأتي بحشو آخر سوى العقد ، فقد عقد هذا البيت بذكر العقد ثم قوله « يوم اللقاء » حشو آخر لا يحتاج اليه ، وأما البيت الثاني فعناه أصلح من ألفاظه ، لانه غير مجانسة لطباعه ، وفيها غلظ ونفاز ، وأما قوله :

يهوى كما تهوى للعقاب وقد رأت صيداً وينقض انقضا الأجل

متوجس برقيقتين كأنما تُريان من ورق عليه موصَّل

ما إن يعاف قندي ولو أوردته يوماً خلأق حَمْدَوَيْهِ الاحول

البيت الاول صالح ، وقد قاله الناس ولم يسبق اليه ولم يقل ما لم يقوله بل هو منقول ، وفي سرعة عدو الفرس تشبيهات ليس هذا بأبدعها ، وقد يقولون : « يفوت الطرف ، ويسبق الريح ، ويجاري الوهم ، ويكر النظر » ولولا أن الاتيان على محاسن ما قالوه في ذلك يخرج الكلام عن غرض المكتاب لنقلت <sup>(١)</sup> لك جملة مما ذهبوا اليه في هذا المعنى ، فنتبغ تعلم أنه لم

(١) كنا في الخطبة وهو الصواب . وفي المطبوعة ( نقلت )

يأت فيها بما يجمل عن الوصف أو يفوت منتهى الحد . على أن الهويّ يذكر عند الانقضاء خاصة ، وليس للفرص هذه الصفة في الحقيقة ، إلا أن يشبه حده في العدو بحالة انقضاء البازي والعقاب ، وليست تلك الحالة بأسرع أحوال طيراتها . وأما البيت الثاني فقوله ان الاذنين كأنهما من ورق موصل ، وأما أراد بذلك حدّتهما ، وسرعة حرّكتهما واحساسهما بالصوت كما يحس الورق بمخيف الريح ، وظاهر التشبيه غير واقع ، واذا ضمن ما ذكرنا من المعنى كان المعنى حسنا ولكن لا يدل عليه اللفظ ، وأما يجري مجرى المضمن ، وليس هذا البيت برائق اللفظ ولا مشاكل فيه لطبعه غير قوله متوجس برقيمتين فان هذا القدر هو حسن . وأما البيت الثالث فقد ذكرنا فيما مضى من الكتاب أنه من باب الاستطراد ، ونقلنا نظائر ذلك من قول أبي تمام وغيره ، وقطعة أبي تمام في نهاية الحسن في هذا المعنى . والذي وقع للمحترفي في هذا البيت عندي ليس بجيد في لفظ ولا معنى ، وهو بيت وحش جداً قد صار قدي في عين هذه القصيدة ، بل وخزا فيها ووبالا عليها ، قد كدر صفاءها وأذهب بهاءها وماءها وطمس بظلمته سناها ، وما وجه مدح للفرس بأنه لا يعاف قدي من المياه اذا وردها ؟ كأنه أراد أن يسلك مسلك بشار في قوله :

ولا يشرب الماء الا بدم

وإذا كان لهذا الباب مجانباً ، وعن هذا سمت بعيداً ، فهلا وصفها بعزة الشرب كما وصفها المتنبي في قوله :

وصول الى المستصعبات بخيله فلو كان قرن الشمس ماء لأوردا

وهلا سلك فيه مسلك القائل :

واني للماء الذي شابه القدي اذا كثرت ورّاده لعيوف

ثم قوله « ولو أوردته يوماً » حشو بارد ثم قوله « حمدويه الاحول » وحش



جدا ، فما أمقت هذا البيت وأبفضه ، وما أثقله وأسخفه ، وإنما غطى على عينه عيبه وزين له إرادته طمعه في الاستطراد ، وهلا طمع فيه على وجه لا يفيض من بهجة كلامه ولا معنى ألفاظه ، فقد كان يمكن ذلك ولا يتهدر ، فأما قوله : ذَنْبٌ كَمَا سُحِبَ الرِّدَاءُ يَذُبُّ عَنْ عُرْفٍ وَعُرْفٍ كَالْفَنَاحِ الْمَسْبِلِ تَتَوَهَّمُ الْجُوزَاءُ فِي أَرْسَاعِهِ وَالْبَدْرُ فَوْقَ جَبِينِهِ الْمَهْلِلِ فالبيت الاول وحش الابتداء ، منقطع عما سبق من الكلام ، وقد ذكرنا أنه لا يهتدي لوصل الكلام ونظام بعضه الى بعض ، وإنما يتصنع لغير هذا الوجه ، وكان يحتاج أن يقول ذنب كالرداء فقد حذف الوصل غير منسق ولا مليح ، وكان من سيئه أن لا يخفى عليه ولا يذهب عن مثله . ثم قوله : « كَمَا سُحِبَ الرِّدَاءُ » قبيح في تحقيق التشبيه ، وليس بواقع ولا مستقيم في العبارة إلا على اضمار أنه ذنب يسحبه كما يسحب الرداء . وقوله : « يذب عن عرف » ليس بحسن ولا صادق ، والحمود ما ذكره امرؤ القيس ، وهو قوله :

فويق الأرض ليس بأعزل

وأما قوله : « تتوهم الجوزاء في ارساعه » فهو تشبيه مليح ولكنه لم يسبق اليه ولا انفرد به ، ولو نسخت لك ما قاله الشعراء في تشبيه الفرة بالهلال والبدر والنجم وغير ذلك من الامور وتشبيه الحجلول لتعجبت من بدائع قد وقعوا عليها ، وأمور مليحة قد ذهبوا اليها ، وليس ذلك موضع كلامنا ، فتنبج ذلك في أشعارهم تعلم ما وصفت لك

واعلم انا تر كنا بقية كلامه في وصف الفرس لانه ذكر عشرين بيتاً في ذلك ، والذي ذكرناه في هذا المعنى يدل على ما بعده ، ولا يعدو ما تركناه أن يكون متوسطا الى حد لا يفوت طريقة الشعراء ولو تفتت أقاويل الشعراء في وصف الخيل علمت أنه وان جمع فأوعى وحشر فنأدى ففهم من سبقه في ميدانه ، ومنهم من ساواه في شأوه ، ومنهم من داناه

فالقبيبل واحد ، والنسيج متشاكل ، ولولا كراهة التطويل لنقلت جملة من أشعارهم في ذلك لتقف على ما قلت ، فتجاوزنا الى الكلام على مقاله في المدح في هذه القصيدة ، قال :

محمد بن علي الشرف الذي لا يلحظ الجوزاء إلا من عل  
وسحابة لولا تتابع مُزَنها فينا لراح المزن غير مبخل  
والجود بعنده عليه حاتم سرفاً ولا جود لمن لم يُعذل  
البيت الأول منقطع عما قبله على ما وصفنا به شعره من قطعه المعاني  
وفصله بينها وقلة تأنيه لتجويد الخروج والوصل ، ذلك نقصان في الصناعة  
وتخلف في البراعة ، وهذا اذا وقع في مواضع قليلة عذر فيها ، وأما اذا كان بناء  
الغالب من كلامه على هذا فلا عذره . وأما المعنى الذي ذكره فليس بشيء  
مما سبق اليه ، وهو شيء مشترك فيه ، وقد قالوا في نحوه : ان مجده سماء السماء  
وقالوا في نحوه الكثير الذي يصعب نقل جميعه ، وكما قال المتنبي :

وعزمة بعنتها همة زحل من تحتها يمكن الترب من زحل  
وحدثني اسماعيل بن عباد أنه رأى أبا الفضل بن العميد قام لرجل ثم قال  
لمن حضره : أتدري من هذا ؟ هو الذي قال في أبيه البحترى : « لمحمد بن  
القاسم الشرف الذي » فذلك يدل على استعظامه للبيت (١) بما مدح به من  
البيت . والبيت الثاني في تشبيه جوده بالسحاب قريب ، وهو حديث مكرر  
ليس ينفك مديح شاعر منه ، وكان من سبيله أن يبديع فيه زيادة ابداع كما قد  
يقع لهم في نحوه هذا ، ولكنه لم يتصنع له وأرسله ارسله ، وقد وقع في  
المصراع الثاني ضرب من الخلل ، وذلك ان المزن انما يبخل اذا منع نيله ، فذلك  
موجود في كل نيل ممنوح ، و كلاهما محمود مع الاسعاف ، فان أسعف أحدها  
ومنع الآخر لم يمكن التشبيه ، وان كان انما شبه غالب أحدها بالآخر ، و ذكر  
قصور أحدها عن صاحبه حتى أنه قد يبخل في وقت والآخر لا يبخل بحال ،



فهذا جيد ، وليس في حمل الالفاظ على الاشارة الى هذا شيء ، والبيت الثالث وان كان معناه مكرراً فلفظه مضطرب بالتأخير والتقديم يشبه أفاظ المبتدئين ، وأما قوله :

فضل وافضال وما أخذ المدى بعد المدى كالأفاضل المتفضل  
سار إذا ادّج العفاة الى الندى لا يصنع المعروف غير معجل  
فالبيت الاول منقطع عما قبله وليس فيه شيء غير التجنيس الذي ليس  
بمديد لتكرره على كل لسان ، وقوله : « ما أخذ المدى » فانه لفظ مليح ، وهو  
كقول القائل :

قد أركبُ الآلة بعد الآله

وروي : الحالة بعد الحالة . وكقول امرئ القيس :

سمو حباب الماء حالاً على حال

واسكنها طريقة مذلة فهو فيها تابع . وأما البيت الثاني فقريب في اللفظ

والمعنى ، وقوله : « لا يصنع المعروف » ليس بلفظ محمود . وأما قوله :

عال على نظر الحسود كأنما جذبتهم أفراد النجوم بأحبل  
أو ما رأيت المجد ألقى رحله في آل طلحة ثم لم يتحول

فالبيت الاول منكر جداً في جر النجوم بالارسان موضعه الى العلو  
والتكلف فيه واقم ، والبيت الثاني أجنبي عنه ، بعيد منه ، وافتتاحه رديء  
وما وجه الاستفهام والتقرير والاستبانة والتوقيف ؟ والبيتان أجنبيان من  
كلامه ، غريبان في قصيدته ، ولم يقع له في المدح في هذه القصيدة شيء جيد ،  
ألا ترى أنه قال بعد ذلك :

نفسى فداؤك يا محمد من فتى يوفي على ظلم الخطوب فتنجلي

انى أريد أبا سعيد ، والمدى بيتي وبين صحابه المتهلل

كأن هذا ليس من طبعه ولا من سبكه ، وقوله :

مضر الجزيرة كلها وربيعه الـ مخابور توعدي وأزْدُ الموصل  
 قد جدت بالطرف الجواد فننه لأخيك من ادأ أيبك بمنصل  
 البيت الاول حسن المعنى وان كانت ألفاظه بذكر الأماكن لا يتأتى فيه  
 التحسين، وهذا المعنى قد يمكن إيراده بأحسن من هذا اللفظ وأبدع منه وأرق  
 منه ، كقوله :

إذا غضبت عليك بنو تميم رأيت الناس كلهم غضابا  
 والبيت الثاني قد تعذر عليه واصله بما سبق من الكلام على وجه يلفظ ،  
 وهو قبيح اللفظ حيث يقول فيه : « فتنه لأخيك من أدأ أيبك » ومن أخذه  
 بهذا التعرض لهذا السجع وذكر هذا النسب حتى أفسد به شعره . وأما قوله  
 بعد ذلك في وصف السيف ، يقول :

يتناول الروح البعيد منالها عفوا ويفتح في القضاء المقفل  
 بابانة في كل حتف مظلم وهداية في كل نفس مجهل  
 ماض وان لم يمضه يد فارس بطل ومصقول وان لم يصقل

ليس لفظ البيت الاول بمضاه لديباجة شعره ، ولا له بهجة نظمه ، لظهور  
 أثر التكلف عليه ، وتبين ثقل فيه ، وأما القضاء المقفل وفتح فكلام غير  
 محمود ولا مرضي ، واستعارة لو لم يستمرها كانت أولى به ، وهلا عيب عليه  
 كما عيب على أبي تمام قوله :

فصرت الشتاء في أخدعيه ضربة غادرته عودا ركوبا  
 وقالوا يستحق بهذه الاستعارة أن يصفع في أخدعيه ، وقد اتبعه البحرى  
 في استعارة الاخذع ولو عا باتباعه فقال في الفتح :

واني وقد باقتني الشرف العلا وأهنت من ذل المطامع أخدعي  
 ان شيطانه حيث زين له هذه الكلمة تابعه حين حسن عنده هذه اللفظة  
 نطيش مارِدُ وردى معاند ، أراد أن يطلق أجنة الذم فيه ، ويسرح جيوش



العتب اليه ، ولم يفتح بفتح القضاء حتى جعل للحنف ظلمة تجلي بالسيف ، وجعل السيف هاديا في النفس المجهل الذي لا يهتدى اليه ، وليس في هذا مع تحسين اللفظ وتنميته شيء لأن السلاح وان كان معيبا فانه يهتدى الى النفس ، وكان يجب أن يبدع في هذا ابداع المتنبى في قوله :

كأن الهام في الميجا عيون      وقد طبعت سيوفك من رقدة  
وقد صفت الاسنة من هموم      فما يَحْطُرُنَّ الا في الفؤاد

فالاهداء على هذا الوجه في التشبيه بديع حسن . وفي البيت الاول شيء آخر ، وذلك أن قوله : « و يفتح في القضاء » في هذا الموضع حشو رديء يلحق بصاحبه الأكنة ، ويلزمه الهجنة . وأما البيت الثالث فانه أصلح هذه الابيات وان كان ذكر الفارس حشوا وتكلفاً و لغواً لأن هذا لا يتغير بالفارس والراجل ، على أنه ليس فيه بديع . وأما قوله :

يفشى الوغى والترس ليس بجنة      من حده والدرع ليس بمقل  
مصغ الى حكم الردي فاذا مضى      لم يلتفت واذا قضى لم يعدل  
متوقد يبري بأول ضربة      ما أدركت ولو أنها في يذبل

البيتان الاولان من الجنس الذي يكثر كلامه عليه وهي طريقه الذي يجتنيها ، وذلك من السبك الكتابي والكلام المعتدل ، الا أنه لم يبدع فيها بشيء ، وقد زيد عليه فيها ، ومن قصد الى أن يكمل عشرة أبيات في وصف السيف فليس من حكمه أن يأتي بأشياء منقولة وأمور مذكورة ، وسبيله أن يعرب ويبدع كما أبدع المتنبى في قوله :

سله الرقص بعد وهن بنجد      فتصدى للغيث أهل الحجاز  
هذا في باب صقاله وأضوانه وكثرة مائه ، وكقوله :  
ريان لو قذف الذي أسقيته      جرى من المهجات بحر مزبد

وقوله : « مصغ الى حكم الردي » ان تأملته مقلوب ، كان ينبغي أن يقول : يصغى الردي الى حكمه ، كما قال الآخر :

فالسيف يأمر والاقدار تنتظر

وقوله : « واذا قضى لم يعدل » متكرر على أسنتهم في الشعر خاصة في نفس هذا المعنى ، والبيت الثالث سليم وهو كالاولين في خلوه عن البديع ، فأما قوله :

فاذا أصاب فكل شيء مقتل      واذا أصيب فما له من مقتل

وكأنما سود النمل وحرها      دبت بأيد في قراه وأرجل

البيت الأول يقصد به صنعة اللفظ ، وهو في المعنى متفاوت ، لأن المضرب قد لا يكون مقتلاً ، وقد يطلق الشعراء ذلك ويرون أن هذا أبداع من قول المتنبي وأنه بضده :

يقتل السيف في جسم القميل به      وللسيوف كما للناس آجال

وهذه طريقة لهم يتمدحون بها في قصف الرمح طعنا وتقطيع السيف ضرباً . وفي قوله : « واذا أصيب فما له من مقتل » تمسف لأنه يريد بذلك أنه لا يتكسر ، فالتعبير بما عبر به عن المعنى الذي ذكرناه يتضمن التكلف وضرباً من المحال ، وليس بالنادر ، والذي عليه الجملة ما حكيناه عن غيره ونحوه قال بعض أهل الزمان :

يقصف في الفارس السمهري وصدور الحسام      فريقاً فريقاً

والبيت الثاني أيضاً هو معنى مكرر على أسنة الشعراء ، وأما تصنيعه بسود النمل وحرها فليس بشيء ، ولعله أراد بالجر الذر ، والتفصيل بارد ، والاعراب به منكراً ، وهو كما حكى عن بعضهم أنه قال : كان كذا حين كانت التريا بجذاه رأسي على سواء ، أو منحرفاً قدر شبر أو نصف شبر أو اصبع أو ما يقارب ذلك فقيل له : هذا من الورع الذي يبغضه الله ، ويمقتة الناس ، ورب زيادة كانت



نقصانا ، وصفة النمل بالسواد والحمره في هذا من ذلك الجنس وعليه خرج بقية البيت في قوله :

دبت بأيدي في قراه وأر جل

وكان يكفي ذكر الار جل عن ذكر الايدي ، ووصف الفرند بمدب النمل شيء لا يشذ عن أحد منهم ، وأما قوله :

وكان شاهره اذا استضوى به الزحفان يعصى بالسماك الاعزل  
حملت حائله القديمة بقلة من عهد عاد غضة لم تدبل

البيت الاول منهما فيه ضرب من التكاف ، وهو منقول من أشعارهم وألفاظهم ، وإنما <sup>(١)</sup> يقول : « قر يشد على الرجال بكوكب » فجعل ذلك السكوكب السماك ، واحتاج الى أن يجعله أعزل للقافية ولو لم يحتاج الى ذلك كان خيرا له ، لان هذه الصفة في هذا الموضع تفضيه من الموضع وموضع التكلف الذي ادعيناه الحشو الذي ذكره من قوله : « اذا استضوى به الزحفان » وكان يكفي أن يقول : كأن صاحبه يعصى بالسماك ، وهذا وان كان قد عمل فيه لفظ فهو لغو على ما بينا ، وأما البيت الثاني ففيه لغو من جهة قوله : « حائله قديمة » ولا فضيلة له في ذلك ، ثم تشبيه السيف بالبقلة من تشبيهات العامة والكلام الرذل للنذل ، لأن العامة قد يتفق منها تشبيه واقم حسن . ثم انظر الى هذا المقطع الذي هو بالعبي أشبه منه بالفصاحة ، والى اللكنة أقرب منه الى البراعة ، وقد بينا أن مراعاة الفوائح والخطوات والمطالع والمقاطع والفصل والوصل بعد صحة الكلام ووجود الفصاحة فيه مما لا بد منه ، وان الاخلال بذلك يخل بالنظم ، ويذهب رونقه ، ويحيل بهجته ، ويأخذ مائه وبهائه

وقد أطلت عليك فيما نقلت وتكلفت ما سطرت ، لان هذا القبيل قبيل

(١) كنا بالاصلين ، ولعل العبارة ( وإنما اراد ان يقول )

موضوع متعمل مصنوع ، وأصل الباب في الشعر علي أن ينظر الى جملة القصة ثم يتعمل الالفاظ ، ولا ينظر بعد ذلك الى مواقعها ، ولا يتأمل مطارحها . وقد يقصد تارة الى تحقيق الاغراض ، وتصوير المعاني التي في النفوس ، ولكنه يلحق بأصل بابه ، ويميل بك الى موضعه ، وبحسب الاهتمام بالصنعة يقع فيها التفاضل . وان أردت أن تعرف أوصاف الفرس فقد ذكرت لك أن الشعراء قد نصرفوا في ذلك بما يقع اليك - ان كنت من أهل الصنعة - مما يطول علي نقله وكذلك في السيف . وذكر لي بعض أهل الادب أن أحسن قطعة في السيف قول أبي الهول الحميري :

حاز صمصامةً الزبيدياً من يمين جميع الأنام موسى الأمين  
سيف عمرو وكان - فيما سمعنا - خير ما أطبقت عليه الجفون  
أخضر اللون بين برديه حد من دُعا ف تيمس فيه المنون  
أوقدت فوقه الصواعق ناراً ثم شابت له اللعاف القيون  
فاذا ما شهرته بهر الشمس ضياء فلم تكذب تسقيين  
يستطير الإبصار كالقبس المشعل لا تستقيم فيه العيون  
وكان الفرند والرونق الجا ري في صحفته ماء معين  
نعم مخراق ذي الحفيظة في الهية جاء يعصى به ونعم القرين  
ما يبالي اذا انتحاه بضرب اشمال سطت به أم يمين

وأما يوازن شعر البحثري بشعر شاعر من طبقتة ومن أهل عصره ومن هو في مضماره أو في منزلته . و معرفة أجناس الكلام والوقوف على اسراره والوقوف على مقداره شيء . وان كان عزيزاً وأمر وان كان بعيداً فهو سهل على أهله مستجيب لاصحابه مطيع لاربابه ينقدون الحروف ويعرفون الصروف وأما تبقى للشبهة في ترتيب الحال بين البحثري وأبي تمام وابن الرومي وغيره . ونحن



وان كنا نفضل البحثري بديباجة شعره على ابن الرومي وغيره من أهل زمانه  
وقدمه بحسن عبارته وسلامة كلامه وعذوبة ألفاظه وقلة تعمد قوله ، والشعر  
قبيل ملتئم مستدرك وأمر ممكن منطبع ونظم القرآن عال عن أن يعلق به  
الوهم أو يسمو اليه الفكر أو يطعم فيه طامع أو يطلبه طالب « لا يأتيه الباطل من  
بين يديه ولا من خلفه تنزيلٌ من حكيم حميد وكنيت قد ذكرت لك قبل هذا  
أنك ان كنت بصنعة علم اللسان متدربا وفيه متوجها متقدما أمكنك الوقوف  
على ما ذكرنا والنفوذ فيما وصفنا والا فاجلس في مجلس المتلدين وارض بمواقف  
المتحيرين ونصحت لك حيث قلت انظر هل تعرف عروق الذهب ومحاسن  
الجوهر وبدائع الياقوت ودقائق السحر من غير معرفة بأسباب هذه الأمور .  
ومقدماتها وهل يقطع سميت البلاد من غير اهتداء فيها ولكل شيء طريق يتوصل  
اليه به وباب يؤخذ نحوه فيه ووجه يؤتى منه ، ومعرفة الكلام أشد من المعرفة  
بجميع ما وصفت لك واغمض وأدق وألطف . وتصوير ما في النفس وتشكيل ما  
في القلب حتى تعلمه وكأنك مشاهده وان كان قد يقع بالإشارة ويحصل بالدلالة  
والامارة كما يحصل بالنطق الصريح والقول للافصيح فللاشارات أيضا مراتب  
وللسان منازل ورب وصف بصور لك الموصوف كما هو على جهته لا خلف فيه ،  
ورب وصف يربو عليه ويتمناه ، ورب وصف يقصر عنه . ثم اذا صدق  
الوصف انقسم الى صحة واثقان وحسن واحسان والى اجمال وشرح والى استيفاء  
وتقريب والى غير ذلك من الوجوه . وكل مذهب وطريق له باب وسبيل :  
فوصف الجلة الواقعة كقوله تعالى ( ١٨ : ١٨ ) « لو اطلمت عليهم لوليت منهم  
فراراً ولملت منهم رعباً » والتفسير كقوله ( ١٨ : ٤٧ ) « ويوم نسير الجبال وترى  
الأرض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً » الى آخر الآيات في هذا  
المعنى وكنحو قوله ( ٢٢ : ١ - ٢ ) « يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء »

عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سُكَّارِي ومما هم بسُكَّارِي ولسكن عذاب الله شديد» هذا مما يصور الشيء على جهته ويمثل أهوال ذلك اليوم . ومما يصور لك الكلام الواقع في الصفة كقوله حكاية عن السحرة لما توعدهم فرعون بما توعدهم به حين آمنوا ٢٦١ : ٥٠ - ٥١ « قالوا لاضير انا الى ربنا منقلبون انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا ان كنا أول المؤمنين » وقال في موضع آخر ( ٧ : ١٢٥ - ١٢٦ ) « انا الى ربنا منقلبون وما تنقم منا الا ان آمنَّا بآيات ربنا لما جاءتنا ربنا أفرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين » وهذا ينبغي عن كلام الحزين لما ناله ، الجازع لما مسه ومن باب التسخير والتسكين قوله تعالى ( ٣٦ : ٨٢ ) « إنما أمره اذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون » وقوله ٢ : ٦٥ « فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين » وكقوله ( ٢٦ : ٦٣ ) « فأوحينا الى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانقلب فكان كل فرق كالطود العظيم . » وتقصي أقسام ذلك مما يطول ، ولم أقصد استيفاء ذلك وإنما ضربت لك المثل بما ذكرت لتستدل واشرت اليك بما اشرت لتأمل

وأما اقتصرنا على ذكر قصيدة البحري لان الكتاب يفضلونه على أهل دهره ، ويقدمونه على من في عصره ، ومنهم من يدعى له الاعجاز غلواً ، ويزعم أنه يناغي النجم في قوله علوا . والملحده تستظهر بشعره ، وتمتكر بقوله وتدعى كلامه من شبهاتهم ، وعباراته مضافا الى ما عندهم من ترهاتهم ، فبيتنا قدر درجته وموضع رتبته وحد كلامه ، وهيئات أن يكون المظموع فيه كالأيوس منه ، وان يكون الليل كالنهار ، والباطل كالحق ، وكلام رب العالمين ككلام البشر

فان قل قائل : فقد قدح الملمح في نظم القرآن ، وادعى عليه الخلل في البيان ، وأضاف اليه الخطأ في المعنى واللفظ وقال ما قال ، فهل من فصل ؟



قيل الكلام على مطاعن الملحدة في القرآن مما قد سبقنا اليه، وصنف أهل الأدب في بعضه فكفوا، وأتى المتكلمون على ما وقع اليهم فشفوا، ولولا ذلك لاستقصينا القول فيه في كتابنا. وأما الغرض الذي صنفنا فيه في التفصيل والكشف عن اعجاز القرآن فلم نجده على التقريب الذي قصدنا، وقد رجونا أن يكون ذلك مغنياً ووافياً. وإن سهل الله لنا ما نويناه من املاء معاني القرآن ذكرنا في ذلك ما يشتهه من الجنس الذي ذكره، لأن أكثر ما يقع من الطعن عليه، فإنا يقع على جهل القوم بالمعاني أو بطريقة كلام العرب. وليس ذلك من مقصود كتابنا هذا، وقد قل النبي ﷺ: «فضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه». وقد قصدنا فيما أمليناه الاختصار ومهدنا الطريق، فمن كل طبعه للوقوف على فضل أجناس الكلام استدرك ما بيننا، ومن تعذر عليه الحكم بين شعر جرير والفرزدق والاخلط، والحكم بين فضل زهير والنايفة، أو الفضل بين البحري وأصحابه، ولم يعرف سخف مسيلة في نظمه ولم يعلم أنه من الباب الذي يهزأ به ويسخر منه ك شعر أبي العيس في جملة الشعر وشعر علي بن صلاة فكيف يمكنه النظر فيما وصفنا، والحكم على ما بيننا

فإن قال قائل فاذكر لنا من هؤلاء الشعراء الذين سميتهم الأشعر والأبلغ، قيل له هذا أيضاً خارج عن غرض هذا الكتاب، وقد تكلم فيه الأدباء. ويحتاج أن يجدد لنحو هذا كتاب ويفرد له باب، وليس من قبيل ما نحن فيه بسبيل. وليس لقائل أن يقول: قد يسلم بعض الكلام من العوارض والعيوب ويبلغ أمدته في الفصاحة والنظم العجيب ولا يبلغ عندكم حد المعجز؛ فلم قضيتم بما قضيتم به في القرآن دون غيره من الكلام، وإنا لم يصح هذا السؤال وما نذكر فيه من أشعار في نهاية الحسن وخطب ورسائل في غاية الفضل لانا قد بينا أن هذه الأجناس قد وقع

النزاع فيها ، والمساماة عليها ، والتنافس في طرقها ، والتنافر في بابها ، وكان  
 اللبون بين البعض والبعض في الطبقة الواحدة قريباً والتفاوت خفيفاً وذلك  
 القدر من سبق ان ذهب عن الواحد لم ييأس من الباقون ، ولم ينقطع الطمع  
 في مثله وليس كذلك سميت القرآن لانه قد عرف أن الوهم ينقطع دون مجاراته  
 والطمع يرتفع عن مباراته ومساماته ، وان السكل في العجز عنه على حد واحد .  
 وكذلك قد يزعم زاعمون أن كلام الجاحظ من السمات الذي لا يؤخذ فيه ،  
 والباب الذي لا يذهب عنه ، وأنت تجد قوماً يرون كلامه قريباً ، ومنهاجه  
 مميهاً ونطاق قوله ضيقاً حتى يستعين بكلام غيره ويفزع الى ما يوشح به كلامه  
 من بيت سائر ومتصل نادر ، وحكمة ممهدة منقولة ، وقصة عجيبة مأثورة . وأما  
 كلامه في أثنائه ذلك فسطور قليلة وألفاظ يسيرة ، فاذا أحوج الى تطويل  
 الكلام خالياً عن شيء يستعين به - فيخلط بقوله من قول غيره - كان كلاماً  
 ككلام غيره . فان أردت أن تحقق هذا فانظر في كتبه في نظم القرآن وفي  
 الرد على النصارى وفي خبر الواحد وغير ذلك مما يجري هذا المجرى هل تجد  
 في ذلك كله ورقة تشتمل على نظم بديع او كلام مليح . على أن متأخري الكتاب  
 قد نازعوه في طريقته وجاذبوه على منهجه فمنهم من ساواه حين ساماه ، ومنهم  
 من أبر عليه اذ باراه هذا أبو الفضل ابن العميد قد سلك مسلكه ، وأخذ طريقه  
 فلم يقصر عنه ولعله قد بان تقدمه عليه لانه يأخذ في الرسالة الطويلة فيستوفى فيها  
 على حدود مذهبه ويكملها على شروط صنمته ولا يقتصر على أن يأتي بالاسطر  
 من نحو كلامه كما ترى الجاحظ يفعله في كتبه متى ذكر من كلامه سطرأ أتبعه  
 من كلام الناس أوارقا ، واذا ذكر منه صفحة بنى عليه من قول غيره كتاباً .  
 وهذا يدل على أن الشيء اذا استحسن اتبع ، واذا استملح قصد له وتعمد .  
 وهذا الشيء يرجع الى الاخذ بالفضل والتنافس في التقدم . فلو كان في مقدور



البشر معارضة القرآن لهذا الغرض وحده لكثرت المعارضات ، ودامت المنافسات فكيف وهناك دواع لا انتهاء لها ، وجواب لا حد لكثرتها ، لانهم لو كانوا عارضوه لمتوصلوا الى تكذيبه ، ثم الى قطع المحامين دونه عنه ، أو تنفيرهم عليه وادخال الشبهات على قلوبهم ، وكان القوم يكتبون بذلك عن بذل النفوس ، ونصب الارواح والاطار بالأموال والذرائع في وجه عداوته ويستغنون بكلام هو طبعهم وعادتهم وصناعتهم عن محاربتة وطول منافسته ومجادبته . وهذا الذي عرضناه على قلبك يكفي ان هديت لرشدك ، ويشفي ان دلت على قصدك ، ونسأل الله حسن التوفيق والعصمة والتسديد ، انه لا معرفة الا بهديته ، ولا عصمة الا بكفايته ، وهو على ما يشاء قدير وحسبنا الله ونعم الوكيل

## فصل

فان قال قائل قد يجوز أن يكون أهل عصر النبي ﷺ قد عجزوا عن الاتيان بمثل القرآن وان كان من بعدهم من أهل الاعصار لم يعجزوا . قيل هذا سؤال معروف وقد أجيب عنه بوجوه منها ما هو صواب ومنها ما فيه خلل لان من كان يجيب عنه بأنهم لا يقدرون على معارضته في الاخبار عن الغيوب ان قدروا على مثل نظمه فقد سلم المسألة ، لانا ذكرنا أن نظمه معجز لا يقدر عليه فاذا أجب بما قدمناه فقد وافق السائل على مراده . والوجه أن يقال فيه طرق : منها انا اذا علمنا أن أهل ذلك العصر كانوا عاجزين عن الاتيان بمثله فمن بعدهم أعجز ، لأن فصاحة أولئك في وجوه ما كانوا يتفننون فيه من القول مما لا يزيد عليه فصاحة من بعدهم وأحسن أحوالهم أن يقاربوهم أو يساووهم فاما أن يتقدموهم أو يسبقوهم فلا . ومنها انا قد علمنا عجز سائر أهل الاعصار

كعلمنا بعجز أهل العصر الاول والطريق في العلم بكل واحد من الامرين طريق واحد لان التحدي في الكل على جهة واحدة ، والتناظر في الطباع على حد ، والتكلف على منهاج لا يختلف ، ولذلك قل الله تبارك وتعالى (١٧ : ٨٨) « قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً »

## فصل

### ﴿ في التحدي ﴾

يجب أن تعلم أن من حكم المعجزات اذا ظهرت على الانبياء أن يدعوا فيها انها من دلائهم وآياتهم لانه لا يصح بعثة النبي من غير أن يؤتى دلالة ويؤيد بآية لان النبي لا يتميز من الكاذب بصورته ولا بقول نفسه ولا بشيء آخر سوى البرهان الذي يظهر عليه فيستدل به على صدقه ، فاذا ذكر لهم ان هذه آيتي وكانوا عاجزين عنها صح له ما ادعاه ، ولو كانوا غير عاجزين عنها لم يصح أن يكون برهانا له ، وليس يكون ذلك معجزاً الا بأن يتحداهم الى أن يأتوا بمثله فاذا تحداهم و بان عجزهم صار ذلك معجزاً

وانما احتيج في باب القرآن الى التحدي لان من الناس من لا يعرف كونه معجزاً فانما يعرف أولاً اعجازه بطريقة ، لان الكلام المعجز لا يتميز من غيره بحروفه وصورته وانما يحتاج الى علم وطريق يتوصل به الى معرفة كونه معجزاً فان كان لا يعرف بعضهم اعجازه فيجب أن يعرف هذا حتى يمكنه أن يستدل به ومتى رأى أهل ذلك اللسان قد عجزوا عنه بأجمعهم مع التحدي اليه والتقرع به والتكبير منه صار حينئذ بمنزلة من رأى اليد البيضاء وانقلاب العصي ثعباناً تتلف ما يافكون . وأما من كان من أهل صنعة العربية والتقدم في البلاغة ومعرفة فنون القول ووجوه المنطق فانه يعرف - حين يسمعه - عجزه عن الاتيان



بمثله ويعرف أيضا أهل عصره ممن هو في طبقته أو يدانيه في صناعته عجزهم عنه فلا يحتاج الى التحدي حتى يعلم به كونه معجزا ولو كان أهل الصنعة الذين صفتهم مايننا لا يعرفون كونه معجزاً حتى يعرفوا عجز غيرهم عنه لم يجز أن يعرف النبي ﷺ أن القرآن معجز حتى يرى عجز قريش عنه بعد التحدي اليه واذا عرف عجز قريش لم يعرف عجز سائر العرب عنه حتى ينتهي الى التحدي الى أقصاهم وحتى يعرف عجز مسيلمة الكذاب عنه ثم يعرف حينئذ كونه معجزاً . وهذا القول ان قيل أخش ما يكون من الخطأ ، فيجب أن تكون منزلة أهل الصنعة في معرفة اعجاز القرآن بانفسهم منزلة من رأى اليد البيضاء وفاق البحر بأن ذلك معجز . وأما من لم يكن من أهل الصنعة فلا بد له من مرتبة قبل هذه المرتبة يعرف بها كونه معجزاً فيساوي حينئذ أهل الصنعة فيكون استدلالها في تلك الحالة به على صدق من ظهر ذلك عليه على سواه اذا ادعاه دلالة على نبوته وبرهانا على صدقه ، فاما من قدر أن القرآن لا يصير معجزاً إلا بالتحدي اليه فهو كتقدير من ظن أن جميع آيات موسى وعيسى عليهما السلام ليست بآيات حتى يقع التحدي اليها والحض عليها ثم يقع العجز عنها فيعلم حينئذ انها معجزات وقد سلف من كلامنا في هذا المعنى ماينفي عن الاعادة . ويبين ما ذكرناه في غير البليغ ان الاعجمي الآن لا يعرف اعجاز القرآن إلا بأمر زائدة على الاعجمي الذي كان في ذلك الزمان مشاهداً له لان من هو من أهل العصر يحتاج أن يعرف أولاً أن العرب عجزوا عنه وانما يعلم عجزهم عنه بنقل المناقلة اليه أن النبي ﷺ قد تحدى العرب اليه فعجزوا عنه ويحتاج في النقل الى شروط وليس يصير القرآن بهذا النقل معجزاً كذلك لا يصير معجزاً بان يعلم العربي الذي ليس ببليغ انهم قد عجزوا عنه بأبلغهم بل هو معجز في نفسه وانما طريق معرفة هذا وقوفهم على العلم بعجزهم عنه

## فصل

## ﴿ في قدر المعجز من القرآن ﴾

الذي ذهب اليه عامة أصحابنا وهو قول أبي الحسن الأشعري في كتبه ان أقل ما يعجز عنه من القرآن السورة قصيرة كانت أو طويلة أو ما كان بقدرها قال فاذا كانت الآية بقدر حروف السورة وان كانت سورة الكوثر فذلك معجز قال ولم يقدّم دليل على عجزهم عن المعارضة في أقل من هذا القدر وذهب المعتزلة الى أن كل سورة برأسها فهي معجزة . وقد حكى عنهم نحو قولنا الا ان منهم من لم يشترط كون الآية بقدر السورة بل شرط الآيات الكثيرة وقد علمنا أنه تحداهم تحديا الى السور كلها ولم يخص . ولم يأتوا الشيء منها بمثل ، فلم أن جميع ذلك معجز وأما قوله عز وجل ٥٢ : ٣٤ فليأتوا بحديث مثله « فليس يخالف لهذا لأن الحديث التام لا تحصل حكايته في أقل من كلمات سورة قصيرة وهذا يؤكد ما ذهب اليه أصحابنا ويؤيده وان كان قد يتأول قوله فليأتوا بحديث مثله على أن يكون راجعا الى القبيل دون التفصيل وكذلك يحمل قوله تعالى ١٧ : ٨٨ « قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله « على القبيل لأنه لم يحمل الحجة عليهم عجزهم عن الاتيان بجميعه من أوله الى آخره

فان قيل : هل تعرفون اعجاز السور القصار بما تعرفون به اعجاز السور الطوال ، وهل تعرفون اعجاز كل قدر من القرآن بلغ الحد الذي قدرتموه بمثل ما تعرفون به اعجاز سورة البقرة ونحوها . فالجواب ان أبا الحسن الأشعري رحمه الله أجاب عن ذلك بأن كل سورة قد علم كونها معجزة بمعجز



العرب عنها . وسمعت بعض الكبراء من أهل هذا الشأن يقول ان ذلك يصح أن يكون علم ذلك توقيفاً والطريقة الاولى أسدٌ وليس هذا الذي ذكرناه أخيراً بمناف له لأنه لا يمتنع ان يعلم اعجازه بطرق مختلفة تتوافق عليه وتجتمع فيه واعلم ان تحت اختلاف هذه الأجوبة ضرباً من الفائدة لأن الطريقة الاولى تبين أن ما علم به كون جميع القرآن معجزاً موجود في كل سورة صغرت أو كبرت فيجب أن يكون الحكم في الكل واحداً . والطريقة الاخيرة تتضمن تعذر معرفة اعجاز القرآن بالطريقة التي سلكتناها في بناء من التفصيل الذي بينا فيما مرّف به في الكلام الفصاحة وتبين فيه البلاغة حتى يعلم ذلك بوجه آخر فيستوي في هذا القدر البليغ وغيره في أن لا يمله معجزاً حتى يستدل به من وجه آخر سوى ما يعلمه البلغاء من التقدم في الصنعة وهذا غير ممتنع، ألا ترى أن الاعجاز في بعض السور والآيات أظهر وفي بعضها اغمض ، وقد لا يحتاج في النظر في حال بعضها الى تأمل كثير ولا بحث شديد حتى يتبين له الاعجاز ويفهم في بعضها الى نظر دقيق وبحث لطيف حتى يقع على الجلية ويصل الى المطلب ولا يمتنع أن يذهب عليه الوجه في بعض السور فيحتاج فيه الى اجماع أو توقيف أو ما علمه من عجز العرب قاطبة عنه فان ادعى ملحد أو زعم زنديق أنه لا يقع العجز عن الايتان بمثل السور القصار أو الآيات بهذا المقدار قلنا له ان الاعجاز قد حصل بما بيناه وعرف بما وقفنا عليه من عجز العرب عنه ثم فيه شيء آخر وهو ان هذا سؤال لا يستقيم للملحد لانه يزعم أنه ليس في القرآن كله اعجاز فكيف يجوز ان يناظره على تفصيله واذا ثبت لنا معه اعجازه في السور الطوال قامت الحجّة عليه وثبتت المعجزة ، ولا معنى لطلبه لكثرة الادلة والمعجزات . ونحن نعلم أن اعجاز البعض بما بيناه والبعض الآخر بانه

إذا ثبت الاصل لم يبق بعد ذلك الا قولنا، لأننا عرفنا في البعض الاعجاز بما  
بيننا ثم عرفنا في الباقي بالتوقيف ونحو ذلك وليس بممتنع اختلاف حال الكلام  
حتى يكون الاعجاز على بعضه أظهر وفي بعضه أغمض ومن آمن ببعض دون  
بعض كان مذموماً على ما قال الله تعالى ٢: ٨٥ «فتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون  
ببعض» وقال ١٧: ٨٢ «ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين»  
فمظاهره عند بعض أهل التأويل كالدليل على أن الشفاء ببعضه أوقع وإن كنا  
نقول انه يدل على أن الشفاء في جميعه

واعلم أن الكلام يقع فيه الابلغ والبليغ، ولذلك كانوا يسمون الكلمة  
«يتيمة» ويسمون البيت الواحد «يتيماً»، سمعت اسماعيل بن عباد يقول  
سمعت أبا بكر بن مقسم يقول سمعت ثعلباً يقول سمعت الفراء يقول:  
العرب تسمى البيت الواحد يتيماً، وكذلك يقال الدرة اليتيمة لانفرادها  
فاذا بلغ البيتين والثلاثة فهي تتمة والى العشرة تسمى قطعة واذا بلغ العشرين  
استحق ان يسمى قصيداً وذلك مأخوذ من المخ القصيد وهو المترام ببعضه على  
بعض وهو ضد الرار ومثله الرئيد. انتهت الحكاية ثم استشهد بقول لبيد:

فتذكر انقلارئيداً بعد ما القت ذكاه يمينها في كافر

يريد بيض النعام لأنه ينضد بعضه على بعض. وكذلك يقع في الكلام البيت  
الوحشي والنادر والمثل السائر والمعنى الغريب والشيء الذي لو اجتهد له لم يقع عليه  
فيتفق له ويصادفه قال لي بعض علماء هذه الصنعة وجاريته في ذلك: ان هذا مما  
لا سبب له يخصه وإنما سببه القرارة في أصل الصنعة والتقدم في عيون المعرفة،  
فاذا وجد ذلك وقع له من الباب ما يطرد عن حساب وما يشد عن تفصيل  
الحساب، فأما ما قلنا من أن ما بلغ قدر السورة معجز فان ذلك صحيح



## فصل

﴿ في أنه هل يعلم اعجاز القرآن ضرورة ﴾

ذهب ابو الحسن الاشعري الى أن ظهور ذلك على النبي ﷺ يعلم ضرورة وكونه معجزا يعلم باستدلال وهذا المذهب محكى عن المخالفين . والذي نقوله في هذا أن الاعجمي لا يمكنه ان يعلم اعجازه الا استدلالا وكذلك من لم يكن بليغا . فأما البليغ الذي قد أحاط بمداهب العربية وغرائب الصنعة فإنه يعلم من نفسه ضرورة عجزه عن الاتيان بمثله ويعلم عجز غيره بمثل ما يعرف عجز نفسه ، كما انه اذا علم الواحد منا أنه لا يقدر على ذلك فهو يعلم عجز غيره استدلالا

## فصل

﴿ فيما يتعلق به الاعجاز ﴾

ان قال قائل بينوا لنا ما الذي وقع التحدي اليه ، أهو الحروف المنظومة أو الكلام القائم بالذات أو غير ذلك . قيل الذي تحداهم به أن يأتيوا بمثل الحروف التي هي نظم القران ، منظومة كمنظمتها ، متتابعة كمتابعتها ، مطردة كأطرادها ولم يتحداهم الى أن يأتيوا بمثل الكلام القديم الذي لا مثل له ، وان كان كذلك فالتحدي واقم الى أن يأتيوا بمثل الحروف المنظومة التي هي عبارة عن كلام الله تعالى في نظمها وتأليفها ، وهي حكاية لكلامه ودلالات عليه وأمارات له ، على أن يكونوا مستأنفين لذلك لا حاكين بما أتى به النبي ﷺ . ولا

يجب أن يقدر مقدر أو يظن ظان أنا حين قلنا ان القرءان معجز فانه يتحدثهم الى أن يأتوا بمثله أردنا غير ما فسرناه من العبارات عن الكلام القديم القائم بالذات . وقد بينا قبل هذا أنه لم يكن ذلك معجزاً لكونه عبارة عن الكلام القديم ، لان التوراة والانجيل عبارة عن الكلام القديم . وليس ذلك بمعجز في النظام والتأليف ، وكذلك مادون الآية - كاللغة - عبارة عن كلامه وايست بعنفدها بمعجزة ، وقد جوز بعض أصحابنا أن يتحدثهم الى مثل كلامه القديم القائم بنفسه ، والذي عول عليه مشايخنا ما قدمنا ذكره ، وعلى ذلك اكثر مذاهب الناس ، ولم يجب أن نفسر ونذكر موجب هذا المذهب الذي حكيمناه وما يتصل به لانه خارج عن فرض كتابنا لان الاعجاز وقع في نظم الحروف التي هي دلالات وعبارات عن كلامه ، والى مثل هذا النظم وقع التحدي ، فبيناً وجه ذلك وكيفية ما يتصور القول فيه ، وأزلنا توهم من يتوهم أن الكلام القديم حروف منظومة أو حروف غير منظومة ، أو شيء مؤلف أو غير ذلك مما يصحح أن يتوهم على ما سبق من اطلاق القول فيما مضى

## فصل

﴿ في وصف وجوه من البلاغة ﴾

ذكر بعض أهل الأدب والكلام أن البلاغة على عشرة أقسام :  
 ١- الإيجاز ، والنشبية ، والاستعارة ، والتسلاؤم ، والفواصل ، والتجانس ،  
 ٢- والتصريف ، والتضمين ، والمبالغة ، وحسن البيان . فاما الإيجاز فاما يحسن  
 مع ترك الإخلال باللفظ والمعنى ، فيأتي باللفظ القليل الشامل لامور كثيرة ،  
 وذلك ينقسم الى حذف وقصر والحذف الاسقاط للتخفيف كقوله ( ١٢ : ٨٢ )



« وأسأل القرية » وقوله (٤٧ : ٢١) : « طاعة وقول معروف » وحذف الجواب كقوله (١٣ : ٣١) : « ولو أن قرآنا سُيرت به الجبال أو قطعت به الارض أو كلم به الموتى » كأنه قيل لكان هذا القرآن . والحذف أبلغ من الذاكر لان النفس تذهب كل مذهب في القصد من الجواب . والايجاز بالقصد كقوله (٧ : ١٧٩) : « ولسكنم في القصاص حياة » وقوله (٦٣ : ٤) : « يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو » وقوله (١٠ : ٢٣) : « انما يفيكم على أنفسكم » (٣٥ : ٤٣) « ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله » . واطناب فيه بلاغة ، فأما التطويل ففيه عي . واما التشبيه بالعقد على أن أحد الشيتين يسد مسد الآخر في حس أو عقل كقوله : (٢٤ : ٣٩) « والذين كفروا أعمالهم كسرابٍ بقيعةٍ يحسبه الظآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا » وقوله (١٤ : ١٨) : « مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف » وقوله (٧ : ١٧١) : « واذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة » وقوله : (١٠ : ٢٤) « انما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض مما يأكل الناس والانعام حتى إذا أخذت الارض زخرفها وزينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاهم أمرنا ليلا أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالامس » وقوله (٥٤ : ١٩ و ٢٠) : « انا أرسلنا عليهم ريحاً صرصراً في يوم نحس مستمر ، تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر » وقوله (٥٥ : ٣٧) : « فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان » وقوله : (٥٧ : ٢٠) « انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فقواه مصفراً ثم يكون حطاماً » وقوله (٥٧ : ٢١) : « وجنة عرضها ارض السماء والارض » وقوله (٦٢ : ٥) : « مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل

أسفارا» وقوله تعالى: (٧: ١٧٦) «فمنك كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث» وقوله (٦٩: ٧): «كانهم أعجاز نخل خاوية» وقوله: (٢٩: ٤١): «مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء، كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت» وقوله (٥٥: ٢٤): «وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام» وقوله (٥٥: ١٤): «خلق الانسان من صلصال كالفخار» ونحو ذلك

ومن ذلك باب الاستعارة وهو بيان التشبيه كقوله تعالى (٢٥: ٢٣) «وقدمنا الى ماعلوا من عمل فجعلناه هباء منثورا» وكقوله: (١٥: ٩٤) «فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين» وكقوله: (٦٩: ١١) «انا لما طغى الماء حملناكم في الجارية» وقوله: (٧: ١٥٤) «ولما سكنت عن موسى الغضب» وكقوله (١٧: ١٢) «فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة» وقوله (٢١: ١٨): «بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق» فالدمغ والقذف مستعار. وقوله: (٣٦: ٣٧) «وآية لهم الليل نساخ منه النهار» وقوله (٨: ٧): «وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم» وقوله (٤١: ٥١) «فذودعاء عريض» وقوله (٤٧: ٤): «حتى تضع الحرب أوزارها» وقوله (٨١: ١٨) «والصبح اذا تنفس» وقوله (٢: ٢١٤) «مستهم البأساء والضراء» وقوله (٣: ١٨٧) «فتبينوه وراء ظهورهم» وقوله (١٠: ٢٤) «أتأها أمرنا ليلا أو نهاراً فجعلناها حصيدا» وقوله (٢١: ١٥) «حصيدا خامدين» وقوله (٢٦: ٢٢٥): «ألم تر أنهم في كل واد يهيمون» وقوله (٣٣: ٤٦) «وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا» وقوله (١٧: ٢٩) «ولا تجمل يدك مغلولة الى عنقك» وقوله (٣٢: ٢١) «ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر» وقوله (١٨: ١١)



« فصر بنا على آذانهم » يريد ان لا احساس بأذانهم من غير صمم . وقوله ( ٧ : ١٤٩ ) : « ولما أسقط في أيديهم » وهذا أوقع من اللفظ الظاهر وأبلغ من الكلام الموضوع

وأما التلاؤم فهو تعديل الحروف في التأليف . وهو نقيض التنافر ؛

كقول الشاعر :

وقبر حرب بمكان قفر      وليس قرب قبر حرب قبر

قالوا هو من شعر الجن حروفه متنافرة لا يمكن انشاده الا بتتعمق فيه .

والتلاؤم على ضربين : أحدهما في الطبقة الوسطى كقوله :

رمتي وستر الله بيني وبينها      عشية آرام الكناس رميم

رميم التي قالت لجارات بيتها      ضمنت لكم أن لا يزال بهيم

الأرب يوم لورمتي رميمتها      ولكن عهدي بالنضال قديم

قالوا والمتلاؤم في الطبقة العليا القرآن كله وان كان بعض الناس أحسن

احساسا من بعض كما أن بعضهم يفتن بالوزون بخلاف بعض . والتلاؤم حسن

الكلام في السمع وسهواته في اللفظ ووقع المعنى في القلب وذلك كالخط الحسن

والبيان الشافي والمتنافر كالخط القبيح فاذا انضاف الى التلاؤم حسن البيان

وصحة البرهان في أعلى الطبقات ظهر الإعجاز لمن كان جيد الطبع وبصيرا

بجودة الكلام كما يظهر له أعلى طبقة الشعر . والمتنافر ذهب الخليل الى أنه من

بعد شديد أو قرب شديد ، فاذا بعد فهو كالظفر واذا قرب جداً كان بمنزلة مشي

المقيد ويبين ذلك بقرب مخارج الحروف وتباعدها

وأما الفواصل فهي حروف متشاكاة في المقاطع يقع بها افهام المعاني .

وفيها بلاغة . والاسجاع عيب لأن السجع يتبع المعنى والفواصل تابعة للمعاني

والسجع كقول مسيلة . ثم الفواصل قد تقع على حروف متجانسة كما قد تقع على

حروف متقاربة ولا تحتمل القوافي ما تحتمل الفواصل لأنها ليست في الطبقة العليا في البلاغة لان الكلام يحسن فيها بمجانسة القوافي وإقامة الوزن ؛ وأما التجانس فانه بيان بأنواع الكلام الذي يجمه أصل واحد وهو على وجهين مزاجية ، ومناسبة ، فالمزاجية كقوله تعالى ( ٢ : ١٩٤ ) « فن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم » وقوله ( ٣ : ٥٤ ) « ومكروا ومكر الله » وكقول عمرو بن كلثوم :

ألا لا يجاهن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

وأما المناسبة فهي كقوله تعالى ( ٩ : ١٢٧ ) « ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم » وقوله ( ٢٤ : ٣٧ ) « يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار »

وأما التصريف فهو تصريف الكلام في المعاني كتصريفه في الدلالات المختلفة كتصريف الملك في معاني الصفات فصرف في معنى مالك وملك وذوي الملكوت والمليك وفي معنى التملك والاملاك ؛ وتصريف المعنى في الدلالات المختلفة كما كرر من قصة موسى في مواضع

وأما التضمين فهو حصول معنى فيه من غير ذكره له باسم أو صفة هي عبارة عنه وذلك على وجهين تضمين توجيه البنية كقولنا معلوم يوجب أنه لا بد من عالم وتضمين توجيه معنى العبارة من حيث لا يصح الا به كالصفة بضارب يدل على مضروب . والتضمين كله ايجاز ، والتضمين الذي تدل عليه دلالات القياس أيضا ايجاز . وذكر ان بسم الله الرحمن الرحيم من باب التضمين لأنه تضمن تعليم الاستفتاح في الامور باسمه على جهة التعظيم لله تبارك وتعالى أو التبرك باسمه وأما المبالغة فهي الدلالة على كثرة المعنى ، وذلك على وجوه : منها مبالغة في الصفة المبينة لذلك ، كقولك رحمن عدل عن ذلك للمبالغة ، وكقوله غفار وكذلك فعال وفعل كقوله شكور وغفور ، وفعل كقوله رحيم وقدير ، ومن



ذلك أن يبالغ باللفظة التي هي صفة عامة كقوله ( ٣٩ : ٦٢ ) : « خالق كل شيء »  
 وكقوله ( ١٦ : ٢٦ ) « فأتى الله بنيانهم من القواعد » وكقوله ( ٧ : ٤٠ )  
 « ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط » وكقوله ( ٣٤ : ٢٤ )  
 « وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين » وقد يدخل فيه الحذف الذي  
 تقدم ذكره للعبارة

وأما حسن البيان فالبيان على أربعة أقسام : كلام ، وحال ، وإشارة ،  
 وعلامة . ويقع التفاضل في البيان ولذلك قال عز من قائل ( ١ : ٤ - ٥٥ ) :  
 « الرحمن علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان » وقيل أعيان من باقل ، سئل  
 عن ظبية في يده بكم اشتراها فأراد أن يقول بأحد عشر فأشار بيديه ماذا  
 أصابعه العشرة ثم أدلع لسانه وأفلت اللظبي من يده

ثم البيان على مراتب قلنا قد كنا حكينا أن من الناس من يريد أن يأخذ  
 اعجاز القرآن من وجوه البلاغة التي ذكرنا أنها تسمى البديع في أول الكتاب  
 مما مضت أمثلته في الشعر ومن الناس من زعم أنه يأخذ ذلك من هذه الوجوه  
 التي عددناها في هذا الفصل . واعلم أن الذي بيناه قبل هذا وذهبنا إليه هو سديد  
 وهو أن هذه الأمور تنقسم فيها ما يمكن الوقوع عليه والتعمل له ويدرك بالتعلم  
 فما كان كذلك فلا سبيل إلى معرفة اعجاز القرآن به وأما ما لا سبيل إليه بالتعلم  
 والتعمل من البلاغات فذلك هو الذي يدل على اعجازه ونحن نضرب لذلك أمثلة  
 لتقف على ما ذهبنا إليه ، وذكرنا في هذا الفصل عن هذا القائل أن التشبيه  
 تعرف به البلاغة وذلك مسلم ، ولكن إن قلنا ما وقع من التشبيه في القرآن  
 معجز عرض علينا من التشبيهات الجارية في الأشعار ما لا يخفى عليك . وأنت  
 تجد في شعر ابن المعتز من التشبيه البديع الذي يشبه السحر وقد تقبع في هذا  
 ما لم يتبعم غيره ، واتفق له ما لم يتفق لغيره من الشعراء . وكذلك كثير من

وجوه البلاغة قد بينا أن تعلمها يمكن وليس تقع البلاغة بوجه واحد منها دون غيره فان كان انما يعنى هذا القائل انه اذا أتى في كل معنى يتفق في كلامه بالطبقة العالية ثم كان ما يصل به كلامه بعضه ببعض وينتهي منه الى متصرفاته على أتم البلاغة وأبداع البراعة ، فهذا مما لا نأباه بل نقول به وانما ننكر أن يقول قائل ان بعض هذه الوجوه يانفرادها قد حصل فيه الاعجاز من غير أن يقارنه ما يتصل به الكلام ويفضى اليه مثل ما يقول ان ما أقسم به وحده بنفسه معجز وان التشبيه معجز وان التمجيس معجز والمطابقة بنفسها معجزة . فأما الآية التي فيها ذكر التشبيه فان ادعى اعجازها لالفاظها ونظمها وتأليفها فاني لا أدفع ذلك وأصححه ولا يمكن لا ادعي اعجازها لموضع التشبيه وصاحب المقالة التي حكيناها أضاف ذلك الى موضع التشبيه وما قرن به من الوجوه ، من تلك الوجوه ما قد بينا أن الاعجاز يتعلق به كالبيان وذلك لا يختص بجنس من المبين دون جنس ولذلك قال ( ٣ : ١٣٨ ) « هذا بيان للناس » وقال ( ١٦ : ٨٩ ) : « تبينا لكل شيء » وقال ( ٢٦ : ١٩٥ ) « بلسان عربي مبين » فكرر في مواضع ذكره أنه مبين فالقرآن أعلى منازل البيان وأعلى مراتبه ما جمع وجوه الحسن وأسبابه وطرقه وأبوابه من تعديل النظم وسلامته وحسنه وبهجته وحسن موقعه في السمع وسهولته على اللسان ووقوعه في النفس موقع القبول وتصوره المشاهد وأشكله على جهته حتى يحل محل البرهان ودلالة التأليف مما لا ينحصر حسنا وبهجة وسناء ورفعة . واذا علا الكلام في نفسه كان له من الوقع في القلوب والتمكن في النفوس ما يذهل ويهيج ويقاق ويؤنس ويطمع ويؤيس ويضحك ويبكي ويحزن ويفرح ، ويسكن ويزعج ، ويشجي ويطرب ، ويمز الاعطاف ، ويستميل نحوه الامعاء ، ويورث الاريجية والعزة وقد يبعث على بذل المهبج والاموال شجاعة وجودا ، ويرمي السامع من وراء رأيه مرعى بعيدا ، وله مسالك في النفوس



لطيفة ، ومداخل الى القلوب دقيقة ، وبحسب ما يترتب في نظمه ، ويتنزل في موقعه ويجري على سميت مطلعته ومقطعه يكون عجيب تأثيراته وبديم مقتضياته ، وكذلك على حسب مصادره يتصور وجوه موارد . وقد ينبيء الكلام عن محل صاحبه ، ويدل على مكان متكلمه ، وينبه على عظيم شأن أهله ، وعلى علو محله . ألا ترى أن الشعر في الغزل اذا صدر عن محب كان أرق وأحسن ، واذا صدر عن متغزل وحصل من متصنع نادى على نفسه بالمداجاة ، وأخبر عن خبيثه في المراياة . وكذلك قد يصدر الشعر في وصف الحرب عن الشجاع فيعلم وجه صدوره ويدل على كنهه وحقيقته . وقد يصدر عن المتشبه ويخرج عن المتصنع ، فيعرف من حاله ماظن انه يخفيه ، ويظهر من أمره خلاف ما بيديه ، وأنت نجد لقول المتنبي :

فانخيل والليل والبيداء تعرفني والحرب والظعن والقرطاس والقلم  
من الوقع في القلب - لما تعلم أنه من أهل الشجاعة - ما لا تجده للبحثري  
في قوله :

وأنا الشجاع وقد بدا لك موقفي بعقر قس والمشرقية شهدي  
وتجد لابن المعتز في موقع شعره من القلب في الفخر وغيره ما لا تجده لغيره  
لانه اذا قال :

اذا شئت أوقرت البلاد حوافراً وسارت ورائي هاشم ونزار  
وعم السماء النقع حتى كأنه دخان وأطراف الرواح شرار  
وقل :

قد ترديت بالمكارم دهرأ وكفتني نفسي من الافتخار  
أنا جيش اذا غزوت وحيدا ووحيدي في الجحفل الجرار

وقال :

أيها للسائل عن الحسب الاطيب ما فوقه نخلق مزيد  
نحن آل الرسول والعترة الحق وأهل القرى فاذا تريد  
ولنا ما أضاء صبح عليه وأنته رايات ليل سود  
وكا أنشدنا الحسن بن عبد الله قال : أنشدنا محمد بن يحيى لابن المعتز

قصيدته التي يقول فيها :

أنا ابن الذي سادهم في الحياة وسادهم بي نجت الثرى  
ومالى في أحد مرغب بلى في يرغب كل الورى  
وأمره للهجد والمكرما ت اذا كحلت أعين بالكرى  
فانظر في القصيدة كلها ثم في جميع شعره تعلم أنه ملك الشعر ، وانه يليق  
به من الفخر خاصة ثم مما يتبعه مما يتعاطاه ما لا يليق بغيره بل ينفر عن سواء ،  
ولم أحب أن أكثر عليك فاطول السكتاب بما يخرج عن غرضه ، وكما ترى  
من قول أبي فراس الحمداني في نفسك اذا قال :

ولا أصبح الحي الخلوف بغارة ولا الجيش ما لم ياتته قبلي النذر  
ويارب دار لم تخفني منيعة طلعت عليها بالردى أنا والفجر  
وساحبة الاذيال يحوي لقيتها فلم يلتقها جاني اللقاء ولا وعر  
وهبت لها ما حازه الجيش كاه وأبت ولم يكشف لابيائها ستر  
وما راح يطعيني بأثوابه الغنى ولا بات يثنيني عن الكرم الفقر  
وما حاجتي في المال أبني وفوره اذا لم أفر وفرى فلا وفر الوفير

والشيء اذا صدر من أهله ، وبدا من أصله ، وانتسب الى ذويه سلم في  
نفسه ، وبانت نجاته وشواهد أثر الاستحقاق فيه . واذا صدر من متكلف  
وبدا من متصنع بان أثر الغرابة عليه ، وظهرت مخايل الاستيحاش فيه ، وعرف



شمائل التخير منه

إننا نعرف في شعر أبي نواس أثر الشطارة ، ويمكن البطالة ؛  
 وموقع كلامه في وصف ما هو بسبيله من أمر المغازلة ووصف الخمر والخمار كما  
 نعرف . موقع كلام ذي الرمة في وصف المهامه والبوادي والجمال والانساع  
 والازمة وعيب أبي نواس التصرف في وصف الطول والرابع والوحش ففكر  
 في قوله :

دع الأطلال تسفيها الجنوب	وتبلى عهد جدتها الخطوب
وخل لراكب الوجناء أرضا	تخب بها النجبية والنجيب
بلاد نبتها عشر وطاح	وأكثر صيدها ضبع وذيب
ولا تأخذ عن الاعراب لهوا	ولا عيشا فعيثهم جديب
دع الالبان يشربها رجال	رقيق العيش عندهم غريب
إذا راب الحليب قبل عليه	ولا تخرج فما في ذاك حوب
فأطيب منه صافية شمول	يطوف بكأسها صاق أديب
كأن هديرها في الدن يمكي	قراءة القس قابله الصليب
أعاذل أقصري عن طول لومي	فراجي توبقي عندي يخيب
تعييبين الذنوب ، وأى حر	من الفقيان ليس له ذنوب

وقوله :

صفة الطول بلاغة القدم فاجعل صفاتك لابنة الكرم  
 وسمعت الصاحب اسماعيل ابن عباد يقول : سمعت برالكويه الزنجاني  
 يقول : أشد بعض الشعراء هلال بن يزيد قصيدة على وزن قصيدة الاعشى :  
 ودع هريرة ان الركب سرتحل وهل تطيق وداعا أيها الرجل  
 وكان وصف فيها الطلل قال برالكويه : فقال لي هلال فقلت بديها :  
 اذا سمعت فتى يبكي على طلل من أهل زنجان فأعلم انه طلل

وإنما ذكرت لك هذه الأمور لتعلم أن الشيء في معدنه أعز، وفي مظهره أحسن، وإلى أصله أزع، وبأسبابه اليق، وهو يدل على ما صدر منه، وينبه ما انتج عنه، ويكون قراره على موجب صورته، وأنواره على حسب محله، ولكل شيء حد ومذهب، ولكل كلام سبيل ومنهج. وقد ذكر أبو بكر الصديق رضي الله عنه في كلام مسيلة ما أخبرتك به، فقال: إن هذا كلام لم يخرج من إله فدل على أن الكلام الصادر عن عزة الربوبية ورفعة الألوهية يتميز عما لم يكن كذلك. ثم رجع الكلام بنا إلى ما ابتدأنا به من عظيم شأن البيان ولو لم يكن فيه إلا ما من به الله على خلقه بقوله: (٥٥: ٣ و ٤) «خلق الإنسان علمه البيان». فأما بيان القرآن فهو أشرف بيان واهداه، وأكمله وأعلاه، وأبلغه وأسناه تأمل قوله تعالى (٤٣: ٥) «افضرب عنكم الذكر صفحاً إن كنتم قوماً مسرفين» في شدة التنبيه على تركهم الحق والاعراض عنه وموضع امتنانه بالذكر والتحذير. وقوله (٤٣: ٣٩) «وان ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنفسكم في العذاب مشتركون» وهذا بليغ في التحسير. وقوله (٦: ٢٨) «ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه» وهذا يدل على كونهم مجبولين على الشر معودين لمخالفة النهي والأمر. وقوله (٤٣: ٦٧) «الاخلأه يوءئذ بعضهم لبعض عدواً إلا المتقين» هو في نهاية الوضع من الخلة الأعلى التقوى. وقوله (٣٩: ٥٦) «أن تقول نفس يا حسرتنا على ما فرطت في جنب الله» وهذا نهاية في التحذير من التفريط. وقوله: (٤١: ٤٠) «أفمن يُلقي في النار خيراً أم من يأتي آتياً يوم القيامة أعمالاً ما شئتم انه بما تعملون بصير» هو النهاية في الوعيد والتهديد. وقوله (٤٢: ٤٤ - ٤٥) «وترى الظالمين لما رأوا العذاب يقولون هل إلى مرد من سبيل، وترامم يُعرضون عليها خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفي» نهاية في الوعيد. وقوله (٤٣: ٧١):



« وفيها ما تشبهه الأَنفس وتلذ الاعين وأنتم فيها خالدون » نهاية في الترغيب .  
 وقوله ( ٢٣ : ٩١ ) : « ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من الله إذاً لذهب  
 كل الله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض » وكذلك قوله ( ٢١ : ٢٢ ) : « لو  
 كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا » نهاية في الحجاج . وقوله ( ٦٧ : ١٣ ، ١٤ )  
 « وأسراً وقولكم أو اجهروا به انه عليم بذات الصدور ، ألا يعلم من خلق وهو  
 اللطيف الخبير » نهاية في الدلالة على علمه بالخفيات . ولاوجه للتطويل فان بيان  
 الجميع في الرفعة وكبر المنزلة على سواء . وقد ذكرنا من قبل أن البيان يصح أن  
 يتعلق به الاعجاز وهو مجز من القرآن وما حكينا عن صاحب الكلام من المبالغة  
 في اللفظ فليس ذلك بطريق الاعجاز لأن الوجوه التي ذكرها قد تتفق في كلام  
 غيره وليس ذلك بمعجز ، بل قد يصح أن يقع في المبالغة في المعنى والصفة وجوه  
 من اللفظ ينمر الاعجاز . وتضمن المعاني أيضا قد يتعلق به الاعجاز اذا حصلت  
 للعبارة طريق البلاغة في أعلى درجاتها . وأما الفواصل فقد بينا انه يصح أن  
 يتعلق بها الاعجاز ، وكذلك قد بينا في المقاطع والمطالع نحو هذا وبيننا في تلاؤم  
 الكلام ما سبق من صحة تعلق الاعجاز به . والتصرف في الاستعارة البديعة  
 يصح أن يتعلق به الاعجاز كما يصح مثل ذلك في حقائق الكلام ، لأن البلاغة  
 في كل واحد من البابين تجري مجرى واحداً وتأخذ مأخذاً مفرداً

وأما الايجاز والبسط فيصح أن يتعلق بهما اعجاز كما يتعلق بالحقائق .  
 والاستعارة والبيان في كل واحد منهما مالا يضبط حده ولا يقدر قدره ، ولا  
 يمكن التوصل الى ساحل بحره بالتعلم ، ولا يتطرق الى غوره بالنسب ، وكل  
 ما يمكن تعلمه ويتبهاً تلتنه ويمكن تخليصه ويستدرك أخذه فلا يجب أن يطلب  
 وقوع الاعجاز به ، ولذلك قلنا أن السجع مما ليس يلتمس فيه الاعجاز لأن ذلك  
 أمر محدود وسبيل مورود ، ومتى تدرب الانسان به واعتماده لم يستصعب عليه

أن يجعل جميع كلامه منه . وكذلك التجنيس والتطبيق متى أخذنا أحدهما وطلب وجهها استوفى ماشاء ولم يتعذر عليه أن يملأ خطابه منه ، كما أولع بذلك أبو تمام والبحثري ، وان كان البحثري أشرف بالمطابق وأقل طلبا للمجانس فان قال قائل هلا قلت ان هذين البابين يقع فيهما مرتبة عالية لا يوصل اليها بالتعلم ولا تملك بالتعمل كما ذكرتم في البيان وغير ذلك ، قلنا لو عمد الى كتاب الاجناس ونظر في كتاب العين لم يتعذر عليه التجنيس الكثير ، فاما الاطباق فهو أقرب منه وليس كذلك البيان والوجوه التي رأينا الاعجاز فيها لأنها لا تستوفي بالتعلم

فان قيل : فالبيان قديتعليم . قيل ان الذي يمكن أن يتوصل اليه بالتعلم يتفاوت فيه الناس وتتناهى فيه العادات وهو كما يعلم من مقادير القوى في حمل الثقل وان الناس يتقاربون في ذلك فيرمون فيه الى حد فاذا تجاوزوه وقفوا بعده ولم يمكنهم التخطي ولم يقدروا على التعدي الا أن يحصل ما يخرق العادة وينقض العرف ولن يكون ذلك الا للدلالة على النبوات على شروط في ذلك القدر الذي يفوت الحد في البيان ويتجاوز الوهم ويشد عن الصنعة ويقذفه الطبع في النادر القليل كالبيت البديع والقطعة الشريفة التي تتفق في ديوان شاعر ، والفقرة تتفق في لسان كاتب حتى يكون الشاعر ابن بيت أو بيتين أو قطعة أو قطعتين ، والاديب شهيد كلمة أو كلمتين وذلك أمر تليل ولو كان كلامه كله يطرد على ذلك المسلك ويستمر على ذلك المنهج امكن ان يدعى فيه الاعجاز وليكنك ان كنت من أهل الصنعة تعلم قلة الأبيات الشوارد والكلمات الفرائد وأمهات القلائد فان أردت ان تجد قصيده كلها وحشية وأردت أن تراها مثل بيت من أبياتها مرضية لم تجد ذلك في الدواوين ولم تظفر بذلك الى يوم الدين . ونحن لم ننكر أن يستدرك البشر كلمة شريفة ولفظة بديعة وانما انكرنا أن يقدروا على



مثل نظم سورة أو نحوها وأحلنا أن يتمكنوا من حشد في البلاغة ومقدار في الخطابة، وهذا كما قلناه من أن صورة الشعر قد تتفق في القرآن وان لم يكن له حكم الشعر. فاما قدر المعجز فقد بينا انها السورة طالت أو قصرت وبعد ذلك خلاف: من الناس من قال مقدار كل سورة أو أطول آية فهو معجز، وعندنا كل واحد من الأمرين معجز، والدلالة عليه ما تقدم، والبلاغة لا تقبين بأقل من ذلك فلذلك لم نحكم بأعجازه وما صح أن تقبين فيه البلاغة ومحصولها الابانه في الابلاغ عن ذات النفس على أحسن معني وأجزل لفظ وبلوغ الغاية في المقصود بالكلام فاذا بلغ الكلام غايته في هذا المعنى كان بالغا وبلوغا، فاذا تجاوز حد البلاغة الى حيث لا يقدر عليه أهل الصناعة، وانتهى الى أمر يعجز عنه الكامل في البراعة صح أن يكون له حكم المعجزات، وجاز أن يقع موقع الدلالات. وقد ذكرنا أنه بجنسه وأسلوبه مباين لسائر كلامهم ثم بما يتضمن من تجاوزه في البلاغة الحد الذي يقدر عليه البشر

فان قيل: فاذا كان يجوز عندكم أن يتفق في شعر الشاعر قطعة عجيبة شاردة تباين جميع ديوانه في البلاغة ويقع في ديوانه بيت واحد يخالف مألوف طبعه ولا يعرف سبب ذلك البيت ولا تلك القطعة في التفصيل، ولو أراد أن يأتي بمثل ذلك وبجمل جميع كلامه من ذلك النمط لم يجد الى ذلك سبيلا وله سبب في الجملة وهو التقدم في الصنعة، لانه يتفق من المتأخر فيها، فهلا قلتم انه اذا بلغ في العلم بالصناعة مبالغة قصوى كان جميع كلامه من نمط ذلك البيت وصحت تلك القطعة، وهلا قلتم ان القرآن من هذا الباب؟ فالجواب انا لم نجد أحدا بلغ الحد الذي وصفتم في العادة وهذا الناس وأهل البلاغة أشعارهم عندنا محفوظه، وخطبهم منقولة، ورسائلهم مأثورة، وبلاغاتهم مروية، وحكمهم مشهورة. وكذلك أهل الكهانة والبلاغة مثل قس بن ساعدة وسحبان وأهل،

ومثل شق وسطيح وغيرهم ، كلامهم معروف عندنا وموضوع بين أيدينا لا يخفى علينا في الجملة بلاغة بليغ ، ولا خطابة خطيب ، ولا براعة شاعر مفلق ، ولا كتابة كاتب مدقق . فلما لم نجد في شيء من ذلك ما يداني القرآن في البلاغة أو يشاكه في الاعجاز مع ما وقع من التحدي اليه المدة الطويلة ، وتقدم من التقرير والمجازاة الامد المديد ، وثبت له وحده خاصة قصب السبق والاستيلاء على الامر ، وعجز الكل عنه ووقفوا دونه حيارى يعرفون عجزهم وان جهل قوم سببه ، ويعلمون نقصهم وان أغفل قوم وجهه ، رأينا أنه ناقض للعادة ورأينا أنه خارق للمعروف في الحيلة وخرق العادة انما يقع بالمعجزات على وجه اقامة البرهان على النبوات وعلى أن من ظهرت عليه ووقعت موقع الهداية اليه صادق فيما يدعيه من نبوته ومحق في قوله ومصيب في هديه ، قد سادت له الحجة البالغة والكلمة التامة والبرهان الزير والدليل البين

## فصل

### ﴿ في حقيقة المعجز ﴾

معنى قولنا ان القرآن معجز على أصواننا انه لا يقدر العباد عليه وقد ثبت أن المعجز الدال على صدق النبي ﷺ لا يصح دخوله تحت قدرة العباد وانما ينفرد الله تعالى بالقدرة عليه ، ولا يجوز أن يعجز العباد عما تستحيل قدرتهم عليه كما يستحيل عجزهم عن فعل الاجسام . فنحن لا نقدر على ذلك وان لم يصح وصفنا بانا عاجزون عن ذلك حقيقة ، وكذلك معجزات سائر الانبياء على هذا . فلما لم يقدر عليه أحد شبه بما يعجز عنه العاجز ، وانما لا يقدر العباد على الاتيان بمثله لانه لو صح أن يقدروا عليه يطلت دلالة المعجز ، وقد أجرى العادة



أن يتعذر فعل ذلك منه وان لا يقدروا عليه ولو كان غير خارج عن العادة لأتوا بمثله وعرضوا عليه من كلام فصحاتهم وبلغاتهم ما يمارضه. فلما لم يشتملوا بذلك علم انهم فطنوا لخروج ذلك عن أوزان كلامهم وأساليب نظامهم وزالت أطماعهم عنه. وقد كنا بيننا أن التواضع ليس يجب أن يقع على قول الشعر ووجوه النظم المستحسنة في الاوزان المطربة للسمع ولا يحتاج في مثله الى توقيف وانه يتبين أن مثل ذلك يجري في الخطاب، فلما جرى فيه فطنوا له واختاروه وطلبوا أنواع الاوزان والقوافي ثم وقفوا على حسن ذلك وقدروا عليه بتوفيق الله عز وجل وهو الذي جمع خواطرهم عليه وهداهم له وهياً دواعيهم اليه، ولسكنه أقدرهم على حد محدود وغاية في العرف مضروبة، لعلمه بان سيجعل القرآن معجزاً، ودل على عظم شأنه بأنهم قدروا على ما بيننا من التأليف وعلى ما وصفنا من النظم من غير توقيف ولا اقتضاء أثر ولا تحدد اليه ولا تقريع، فلو كان هذا من ذلك القبيل أو من الجنس الذي عرفوه وألفوه لم تزل أطماعهم عنه، ولم يدهشوا عند وروده عليهم فكيف وقد أمهلهم وفسح لهم في الوقت وكان يدعو اليه سنين كثيرة وقال عز من قائل ( ٣٥ : ٣٧ ) : « أو لم نعلمكم ما يتذكر فيه من تذكري وجاءكم النذير » وبظهور المعجز عنه بعد طول التقريع والتحدي بان أنه خارج عن عاداتهم وأنهم لا يقدرون عليه. وقد ذكرنا أن العرب كانت تعرف ما يباين عاداتها من الكلام البليغ لان ذلك طبعهم ولغتهم فلم يحتاجوا الى تجربة عند سماع القرآن، وهذا في البلاء منهم دون المتأخرين في الصنعة والذي ذكرناه يدلك على أنه لا كلام أزيد في قدر البلاغة من القرآن وكل من جاوز أن يكون للبشر قدرة على أن يأتيوا بمثله في البلاغة لم يمكنه أن يعرف أن القرآن معجز بحال ولو لم يكن جرى في العلوم أنه سيجعل القرآن معجزاً لكان يجوز أن تجري عادات الاولين وأخبار المرسلين وكذلك لا يوجد خلف فيما يتضمنه من الاخبار عن الغيوب وعن الحوادث التي أنبأ أنها تقع في الآتي فلا

بمخرج من أن يكون متاولا على ما يقتضيه نظام الخطاب من أنه لا يأتيه ما يبطله من شبهة سابقة تقدر في معجزته أو تعارضه في طريقه ، وكذلك لا يأتيه من بعده قط أمر يشكك في وجه دلالته واعجازه وهذا أشبه بسباق الكلام ونظامه . ثم قال (٤١ : ٤٤) : « ولو جعلناه قرآنا أعجمياً لقالوا لولا فصلت آياته أعجمي وعربي » فأخبر أنه لو كان أعجمياً لكانوا يحتجون في رده إما بان ذلك خارج عن عرف خطابهم أو كانوا يعتدرون بنهاهم عن معرفة معناه بأنهم لا يتبين لهم وجه الاعجاز فيه لانه ليس من شأنهم ولا من لسانهم أو بغير ذلك من الامور وانه اذا تحدثهم الى ما هو من لسانهم وشأنهم فمعجزوا عنه وجبت الحجة عليهم به على ما نبينه في وجه هذا الفصل . الى أن قال (٤١ : ٥٢) « قل أرأيتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به من أضل ممن هو في شقاق بعيد » والذي ذكرنا من نظم هاتين السورتين ينبه على غيرهما من السور فكررنا مرد القول فيها فليتأمل المتأمل ما دللناه عليه يجده كذلك . ثم مما يدل على هذا قوله عز وجل (٢٩ : ٥١ و٥٠) « وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين . أو لم يكنهم انا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم » فأخبر أن الكتاب آية من آياته ، وعلم من أعلامه ، وان ذلك يكفي في الدلالة ويقوم مقام معجزات غيره وآيات سواه من الانبياء صلوات الله عليهم . ويدل عليه قوله عز وجل (٣٥ : ١) : « تبارك الذي أنزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً » وقوله (٤٢ : ٢٤) : « أم يقولون افتري على الله كذبا فان يشأ الله يختم على قلبك ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته » فدل على انه جعل قلبه مستودعا لوحيه ومستنزلا لكتابه ، وانه لو شاء صرف ذلك الى غيره وكان له حكم دلالته على تحقيق الحق وابطال الباطل مع صرفه عنه . ولذلك أشباه كثيرة تدل نحو الدلالة التي وصفناها ، فبان بهذا وبنظائر ما قلنا أن بناء نبوته



مطَّلَهٌ  
وسلَّمُ

على دلالة القرآن ومعجزته ، وصار له من الحكم في دلالته على نفسه وصدقه انه يمكن أن يعلم أنه كلام الله تعالى. وفارق حكمة حكم غيره من الكتب المنزلة على الانبياء لانها لا تدل على أنفسها الا بأمر زائد عليها ووصف منضاف اليها ، لان نظمها ليس معجزاً وان كان ما تتضمنه من الاخبار عن الغائبات والغيوب معجزاً. وليس كذلك القرآن لانه يشار كها في هذه الدلالة ويزيد عليها في أن نظمه معجز فيمكن أن يستدل به عليه . وحل في هذا من وجه محل سماع الكلام من القديم سبحانه ، لان موسى عليه السلام لما سمع كلامه علم أنه في الحقيقة كلامه وكذلك من يسمع القرآن يعلم أنه كلام الله وان اختلف الحال في ذلك عند البشر بقدر زائد على ما ألفوه من البلاغة وأمر يفوق ما عرفوه من الفصاحة وأما نظم القرآن فقد قال أصحابنا ان الله تعالى يقدر على نظم القرآن في الرتبة التي لا مزيد عليها ، وقال مخالفونا إن هذا غير ممتنع لان فيه من الكلمات الشريفة الجامعة المعاني البديعة وانضاف الى ذلك حسن الموقع فيجب أن يكون قد بلغ النهاية ، لانه عندهم وان زاد على ما في العادة فان الزائد عليها وان تفاوت فلا بد من أن ينتهي الى حد لا مزيد عليه . والذي نقول انه لا يمتنع أن يقال انه يقدر الله تعالى على أن يأتي بنظم أبلغ وأبدع من القرآن كله ، وأما قدرة العباد فهي متناهية في كل ما يقدرون عليه مما تصح قدرتهم عليه

## فصل

﴿ في كلام النبي ﷺ وأمره تتصلح بالاجاز ﴾

ان قال قائل اذا كان النبي ﷺ أفصح العرب - وقد قل هذا في حديث مشهور وهو صادق في قوله - فهل انتم ان القرآن من نظمه لقدرة في الفصاحة على

مقدار لا يبلغه غيره؟ قيل قد علمنا انه لم يتحدّم الى مثل قوله وفصاحته، والقدر الذي بينه وبين كلام غيره من الفصحاء كقدر ما بين شعر الشعراء وكلام الخطيبين في الفصاحة وذلك مما لا يقع به الاعجاز. وقد بينا قبل هذا انا اذا وازنا بين خطبه ورسائله وكلامه المنشور وبين نظم القرآن تبين من البون بينهما مثل ما بين كلام الله عز وجل وكلام الناس، ولا معنى لقول من ادعى أن كلام النبي ﷺ معجز وان كان دون القرآن في الاعجاز

فان قيل لولا ان كلامه معجز لم يشتهه على ابن مسعود الفصل بين المعوذتين وبين غيرهما من القرآن، وكذلك لم يشتهه دعاء القنوت في أنه هل هو من القرآن أم لا؟ ولا يجوز أن يخفى عليهم القرآن من غيره وعدد السور عندهم محفوظ مضبوط، وقد يجوز أن يكون شذو عن مصحفه لا لأنه نفاه من القرآن بل عول على حفظ الكل اياه على أن الذي يروونه خبر واحد لا يسكن اليه في مثل هذا ولا يعمل عليه ويجوز أن يكتب على ظهر مصحفه دعاء القنوت اثملا ينسأه كما يكتب الواحد منا بهض الادعية على ظهر مصحفه. وهذا نحو ما يذكره الجهال من اختلاف كثير بين مصحف ابن مسعود وبين مصحف عثمان رحمة الله عليهما، ونحن لانكر أن يغلط في حروف معدودة كما يغلط الحافظ في حروف وينسى. وما لا يميزه على الحافظ مما لم يجره عليه ولو كان قد أنكر السورتين على ما ادعوا لكانت الصحابة تناظره على ذلك وكان يظهر وينتشر فقد تناظروا في أقل من هذا وهذا أمر يوجب التكفير والتضليل فكيف يجوز أن يقع التخفيف فيه وقد علمنا اجماعهم على ما جموه في المصحف فكيف يقدر بمثل هذه الحكايات الشاذة المولدة بالاجماع المتقرر والاتفاق المعروف ويجوز أن يكون النقل أشبه عليه، لانه خالف في النظم والترتيب فلم يثبتها في آخر القرآن والاختلاف بينهم في موضع الاثبات غير الكلام في الاصل ألا ترى أنهم قد اختلفوا في



أول ما نزل من القرآن فهم من قال قوله (٩٦ : ١) : « اقرأ باسم ربك »  
 ومنهم من قال (٧٤ : ١) : « يا أيها المدثر » ومنهم من قال فاتحة الكتاب .  
 واختلفوا أيضا في آخر ما أنزل فقال ابن عباس : (٩١٠ : ١) « اذا جاء نصر  
 الله » وقالت عائشة : سورة المائدة وقال البراء بن عازب : آخر ما أنزل سورة  
 براءة ، وقال سعيد بن جبير آخر ما أنزل قوله تعالى (٢ : ٢٨١) : « واتقوا  
 يوما تُرجعون فيه الى الله » . وقال السدي : آخر ما أنزل ( ٩ : ١٢٩ )  
 « فان تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت » ويجوز أن يكون في  
 مثل هذا خلاف وأن يكون كل واحد ذكر آخر ما سمع . ولو كان القرآن من  
 كلامه لكان البون بين كلامه وبينه مثل ما بين خطبة وخطبة ينشئها رجل  
 واحد وكانوا يعارضونه لانا قد علمنا أن القدر الذي بين كلامهم وبين كلام  
 النبي ﷺ لا يخرج الى حد الاعجاز ولا يتفاوت التفاوت الكبير ، ولا يخفي  
 كلام من جنس أوزان كلامهم ، وليس كذلك نظم القرآن لانه خارج من  
 جميع ذلك

فان قيل لو كان على ما ادعيتم لعرفنا بالضرورة أنه معجز دون غيره .  
 قيل معرفة الفصل بين وزن الشعر ووزنه والفرق بينه وبين غيره من الاوزان  
 تحتاج الى نظر وتأمل وفكر ورؤية واكتساب وان كان النظم المختلف الشديد التباين  
 اذا وجد أدرك اختلافه بالحاسة الا ان كل وزن وقبيل اذا أردنا تمييزه من  
 غيره احتجنا فيه الى الفكرة والتأمل . فان قيل لو كان معجزاً لم يختلف أهل  
 اللغة في وجه اعجازه . قيل قد يثبت الشيء دليلاً وان اختلفوا في وجه دلالة  
 البرهان كما قد يختلفون في الاستدلال على حدوث العالم من الحركة والسكون  
 والاجتماع والافتراق . فاما المخالفون فانه يتعذر عليهم أن يعرفوا أن القرآن كلام  
 الله لان مذهبهم أنه لا فرق بين أن يكون القرآن من قبل الرسول أو من قبل الله

عز وجل في كونه معجزا ، لانه ان خصه بقدر من العلم لم تجر العادة بمثله أمكنه أن يأتي بما له هذه الرتبة وكان متعذرا على غيره لفقده علمه بكيفية النظم . وليس القوم بعاجزين عن الكلام ولا عن النظم والتأليف . والمعنى المؤثر عندهم في تعذر مثل نظم القرآن علمينا فقد العلم بكيفية النظم ، وقد بينا قبل هذا أن المانع هو أنهم لا يقدرون عليه . والمفحم - يعلم كيفية الاوزان واختلافها وكيفية التركيب وهو لا يقدر على نظم الشعر ، وقد يعلم الشاعر وجوه الفصاحة واذا قالا الشعر جاء شعر أحدهما في الطبقة العالية وشعر الآخر في الطبقة الوضيعة وقد ترد في شعر المبتدى والمتأخر في الخندق النظمه الشريفه والبيت النادر مما لا يتفق للشاعر المتقدم . والعلم بهذا الشأن في التفصيل لا يعني ، ويحتاج معه الى مادة من الطبع وتوفيق من الاصل . وقد يتساوى العالمان بكيفية الصناعة والنساجة ثم يتفق لاحدهما من اللطف في الصنعة ما لا يتفق في الآخر . وكذلك أهل نظم الكلام يتفاضلون مع العلم بكيفية النظم ، وكذلك أهل الرمي يتفاضلون في الاصابة مع العلم بكيفية الاصابة . واذا وجدت للشاعر بيتاً أو قطعة أحسن من شعر امرئ القيس لا يدل ذلك على أنه أعلم بالنظم منه لانه لو كان كذلك كان يجب أن يكون جميع شعره على ذلك الحد ، وبحسب ذلك البيت في الشرف والحسن والبراعة ، ولا يجوز أن يعلم نظم قطعة ويجهل نظم مثلها ، وان كان كذلك علم أن هذا لا يرجع الى قدرة من العلم ، ولسنا نقول : انه يستغني عن العلم في النظم بل يكفي علم به في الجملة ثم يقف الامر على القدرة . وهذا يبين لك بانه قد يعلم الخط فيكتب سطرا فلو أراد أن يأتي بمثله بحيث لا يقادر منه شيئا لتعذر والعلم حاصل . وكذلك قد يحسن كيفية الخط ويميز الجيد منه من الردي ولا يمكنه أن يأتي بأرفع درجات الجيد . وقد يعلم قوم كيفية ادارة الاقلام وكيفية تصوير الخط ثم يتفاوتون في التفصيل ويختلفون في التصوير وألزمهم أصحابنا أن يقولوا



بقدرتنا على احداث الاجسام وانما يتمتعذ وقوع ذلك منا لاننا لانعلم الاسباب التي اذا عرفنا ايقاعها على وجوه اتفق لنا فعل الاجسام . وقد ذهب بعض المخالفين الى ان العادة انتقضت بان أزله جبريل فصار القرآن معجزا لنزوله على هذا الوجه ومن قبله لم يكن معجزا . وهذا قول أبي هاشم وهو ظاهر الخطأ لانه يلزم أن يكونوا قادرين على مثل القرآن وان لم يتمتعذ عليهم فعل مثله وانما تعذر بانزاله ولو كانوا قادرين على مثل ذلك كان قد اتفق من بعضهم مثله وان كانوا في الحقيقة غير قادرين قبل نزوله ولا بعده على مثله فهو قولنا  
وأما قول كثير من المخالفين فهو على ما بينا لان معنى المعجز عندهم تعذر فعل مثله وكان ذلك متمعذرا قبل نزوله وبعده فأما الكلام في أن التأليف هل له نهاية فقد اختلف المخالفون من المتكلمين فيه فمنهم من قال ليس لذلك نهاية كالعدد فلا يمكن أن يقال انه لا يتأتى قول قصيدة الا وقد قيلت من قبل ، ومنهم من قال ان ما جرت به العادة فله نهاية وما لم تجر به العادة فلا يمكن أن نعلم نهاية الرتبة فيه ، وقد بينا أن على أصولنا قد تقدر لكلامنا حد في العادة ولا سبيل الى تجاوزه ولا يقدر فان القرآن خرق العادة فزاد عليها

## فصل

ان قيل هل من شرط المعجز أن يعلم أنه أتى به من ظهر عليه ؟ قيل لا بد من ذلك لانا لو لم نعلم أن النبي ﷺ هو الذي أتى بالقرآن وظهر ذلك من جهته لم يمكن أن يستدل به على نبوته . وعلى هذا لو تلقى رجل منه سورة فأتى بها بلدا وادعى ظهورها عليه وانها معجزة له لم تقم الحجة عليهم حتى يبحثوا أو يتبينوا أنها ظهرت عليه ، وقد حقة لنا أن القرآن أتى به النبي ﷺ وظهر من جهته وجعله علما على نبوته وعلما ذلك ضرورة فصار حجة علينا

## فصل

قد ذكرنا في الابانة عن معجز القرآن وجيزاً من القول رجونا أن يكفي  
وأملنا أن يقنع ، والكلام في أوصافه ان استقصي بعيد الاطراف واسع الاكناف  
لهو شأنه وشريف مكانه والذي سطرناه في الكتاب وان كان موجزا وما أمليناه  
فيه وان كان خفيفا فانه ينبه على الطريقة ويدل على الوجه ويهدي الى الحجة  
ومتى عظم محل الشيء فقد يكون الاسهاب فيه عيياً والاكثر في وصفه تقصيرا  
وقد قال الحكيم - و سئل عن البليغ متى يكون عيباً - فقال متى وصف هوى أو  
حبيباً . و ضل اعرابي في سفر له ليلا وطلع القمر فاهتدى به ، فقال ما أقول لك ؟  
أقول رفمك الله وقد رفمك ؟ أم أقول نورك الله وقد نورك ؟ أم أقول جملك  
الله وقد جملك ؟ ولولا أن العقول تختلف والافهام تتباين والمعارف تتفاضل لم  
نحتاج الى ما تكلفنا ولكن الناس يتفاوتون في المعرفة ولو اتفقوا فيها لم يجز أن  
يتفقوا في معرفة هذا الفن أو يجتمعوا في الهداية الى هذا العلم لانصالة باسباب  
وتعلمه بعلوم غامضة الفور عميقة القمر كثيرة المذاهب قليلة الطلاب ضعيفة  
الاصحاب ، وبحسب تأتي مواقعه يقع الافهام دونه ، وعلى قدر لطف مسالكه  
يكون القصور عنه

أنشدني أبو القاسم الزعفراني قال : أنشدني المتنبى لنفسه القطعة التي  
يقول فيها :

وكم من عائب قولاً صحيحاً وآفته من الفهم السقيم  
ولكن تأخذ الآذان منه على قدر القرائح والعلوم  
وأنشدني الحسن بن عبد الله قال : أنشدنا بعض مشايخنا للبحثري :  
أهز بالشعر أقواماً ذوى سِنَّة لو أنهم ضربوا بالسيف ماشعروا



على نحت القوافي من مقاطعها وما على لهم أن تفهم البقر  
 فاذا كان نقد الكلام كله صعباً وتمييزه شديداً والوقوع على اختلاف  
 فنونه متعديراً ، وهذا في كلام الآدمي ، فما ظنك بكلام رب العالمين  
 قد أبنا لك أن من قدر أن البلاغة في عشرة أوجه من الكلام لا يعرف  
 من البلاغة إلا القليل ولا يفطن منها الا ليسير . ومن زعم أن البديع يقتصر  
 على ما ذكرناه من قبل عنهم في الشعر فهو متطرف . بلى ان كانوا يقولون ان  
 هذه من وجوه البلاغة وغرر البديع وأصول اللطيف ، وان ما يجري مجرى  
 ذلك ويشاكله ملحق بالاصل ومردود على القاعدة فهذا قريب . وقد بينا في نظم  
 القرآن ان الجملة تشتمل على بلاغة منفردة والاسلوب يختص بمعنى آخر من  
 الشرف ثم الفواتح والحواتم والمباديء والمثنائي والطوالع والمقاطع والوسائط  
 والفواصل ثم الكلام في نظم السور والآيات في تفاصيل التفاصيل ثم في الكثير  
 والقليل ثم الكلام الموشح والمرصع والمفصل والمصرع والمجنس والموشى  
 والحلى والمكمل والمطوق والمتوج والموزون والخارج عن الوزن والمعتدل  
 في النظم والمنتشابه فيه ، ثم الخروج من فصل الى فصل ووصل الى وصل  
 ومعنى الى معنى ومعنى في معنى ، والجمع بين المؤتلف والمختلف والمتفق  
 والمتسق ، وكثرة التصرف وسلامة القول في ذلك كله من التعسف وخروجه  
 عن التعمق والتشدد وبعده عن التعمل والتكلف والالفاظ المفردة ، والابداع  
 في الحروف والادوات كالابداع في المعاني والكلمات ، والبسط والقبض  
 والبناء والنقض ، والاختصار والشرح والتشبيه والوصف وتميز الابداع من  
 الاتباع كتميز المطبوع عن المصنوع والقول الواقع عن غير تكلف ولا تعمل  
 وأنت تدبين في كل ما تصرف فيه من الانواع انه على سمت شريف  
 ومرقب منيف ، يهر اذا أخذ في النوع الربى والأمر الشرعي والكلام

الالهى الدال على أنه يصدر عن عزة المملوك وشرف الجبروت وما لا يبلغ الوهم موافقه من حكمة وأحكام واحتجاج وتقرير واستشهاد وتقرير واعذار وانذار وتبشير وتحذير وتنبيه وتلويح واشباع وتصريح وإشارة ودلالة وتعليم أخلاق زكية وأسباب رضية وسياسات جامعة ومواعظ نافعة وأوامر صادقة وقصص مفيدة وثناء على الله عز وجل بما هو أهله وأوصاف كما يستحقه وتحميد كما يستوجبه وأخبار عن كائنات في التأتى صدقت وأحاديث عن المؤلفن تحققت ونواه زاجرة عن القبائح والفواحش وإباحة الطيبات وتحريم المضار والخبائث وحث على الجميل والاحسان وتعجب فيه الحكمة وفصل الخطاب مجلوة عليك في منظر بهيج ونظم أنيق ومعرض رشيق غير متماص على الاسماع ولا مغلوق على الافهام ولا مستكره في اللفظ ولا متوحش في المنظر غريب في الجنس غير غريب في القبيل ممتلىء ماء ونضارة ولطفا وغضارة يسري في القلب كما يسري السرور ويمر الى موافقه كما يمر السهم ويضيء كما يضيء الفجر ويزخر كما يزخر البحر طموح العباب جموح على المتناول المنتاب كالروح في البدن والنور المستطير في الافق والغيث الشامل والضياء الباهر « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » من توهم أن الشعر يلحق شأوه بان ضلاله وضح جهله ، اذ الشعر صمت قد تناولته الألسن وتداولته القلوب وانثالت عليه الهواجس وضرب الشيطان فيه بسهمه وأخذ منه بحظه ، وما دونه من كلامهم فهو أدنى محلاً وأقرب مأخذاً وأسهل مطلباً ولذلك قالوا فلان مفعم فأخرجوه مخرج العيب كما قالوا فلان عيبى فأوردوه مورد النقص

والقرآن كتاب دل على صدق متحملة ورسالة دلت على صحة قول المرسل بها وبرهان شهد له براهين الاولياء المتقدمين وبينت على طريقة ما سلف الأولون



تحدّثهم به اذ كان من جنس القول الذي زعموا انهم أدر كوا فيه النهاية وبلغوا فيه للغاية فعرفوا عجزهم كما عرف قوم عيسى نقصانهم فيما قدروا من بلوغ أقصى الممكن في العلاج والوصول الى أعلى مراتب الطب فجاءهم بما بهرهم من احياء الموتى وبراء الاكهم والأبرص ، وكما أتى موسى بالعصا التي تلقفت ما برعوا فيه من سحرهم وأنت على ما أجمعوا عليه من أمرهم ، وكما سخر لسليمان من الرياح والطير والجن حين كانوا يولعون بدقائق الحكمة وبدائع من اللطف ، ثم كانت هذه المعجزة مما يقف عليه الاول والآخر وقوفا واحداً ويبقى حكمها الى يوم القيامة

انظر وفقك الله لما هديناك اليه وفكر في الذي دللناك عليه ، فالحق منهج واضح والدين ميزان راجح ، والجهل لا يزيد إلا غمًا ولا يورث إلا نداما . قال الله عز وجل ( ٣٩ : ٩ ) : « قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر أولو الالباب » وقال ( ٤٢ : ٥٢ ) « وكذلك أوحيانا اليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا » وقال : ( ٢ : ٢٦ ) « يضل به كثيراً ويهدى به كثيراً » وعلى حسب ما آتني من الفضل وأعطى من الكمال والعقل تقع الهداية والتبيين فان الامور تم باسبابها وتحصل باآتها ، ومن سلبه التوفيق وحرم الرشاد والتسديد ، فكأنما خرّ من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح في مكان سحيق لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا . فاحمد الله على ما رزقك من الفهم ان فهمت ، وقل رب زدني علماً ، وقل رب أعوذ بك من كهزات الشياطين . وان ارتبت فيما بيناه فازدد في تعلم الصنعة وتقدم في المعرفة فسيقع بك على الطريق الارشد ويقف بك على الوجه الاحمد ، فانك اذا فعلت ذلك أحطت علماً وتيقنت فيها

ولا يوسوس اليك الشيطان بانه قد كان ممن هو أعلم منك بالعربية وأرجح منك في الفصاحة أقوام وأقوام ورجال ورجال فكذبوا وارتابوا ، لان القوم لم يذهبوا عن الاعجاز ولكن اختلفت أحوالهم : فكانوا بين جاهل وجاحد وبين كافر نعمة وحاسد ، وبين ذاهب عن طريق الاستدلال بالمعجزات وحائر عن النظر في الدلالات ، وناقص في باب البحث ومختل الآلة في وجه الفحص ، ومستهين بأمر الأديان وغاوتحت حباله الشيطان ومقذوف بمخذلان الرحمن . وأسباب الخذلان والجهالة كثيرة ودرجات الحرمان مختلفة . وهلاجعلت بازاء الكفرة مثل لبديدن ربيعة العامري في حمن اسلامه وكمب بن زهير في صدق ايمانه وحسان بن ثابت وغيرهم من الشعراء والخطباء الذين أسلموا . على أن الصدر الأول ما فيهم إلا نعيم زاهر أو بحر زاخر . وقد بينا أن لا اعتصام إلا بهداية الله ولا توفيق إلا بنعمة الله ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء . فتأمل ما عرفناك في كتابنا وفرغ له قلبك واجمع له لبك ، ثم اعتصم بالله يهدك وتوكل عليه يفتنك ويمجرك ، واستقرشده يرشدك ، وهو حسبي وحسبك ونعم الوكيل



# فهرس

صفحة

- ٣ مقدمة الفشر
- ٤ ترجمة المؤلف
- ٩ خطبة المؤاف
- ١٣ فصل في أن نبوة النبي ﷺ معجزتها القرآن
- ١٦ في أن القرآن لا يحتاج في كونه حجة الى دلالة أخرى
- ١٧ في أن القرآن آية كافية في الدلالة ويقوم مقام معجزات غيره
- ٢٠ فصل في الدلالة على أن القرآن معجز
- ٢١ التحدي الى القرآن ومعجز بلغاء العرب عن أن يأتيوا له بمثل
- ٢٧ انما احتيج الى التحدي لاقامة الحجة و اظهار وجه البيان
- ٢٨ تفاوت الناس في ادراك الامحاز ومعرفة وجه دلالاته
- ٢٩ اعتراف بلغاء العرب بمعجزهم عن مثل بلاغة القرآن دال على معجز غيرهم
- ٣١ صوارف العرب عن الاسلام في بداية الدعوة
- ٣٢ هل كانت المعارضة ممكنة ومنع منها الصرفة ، أم الذي منع منها هو الامحاز
- ٣٣ هل غير القرآن من كلام الله عزوجل معجز أيضا ؟
- ٣٦ فصل في جملة وجوه امحاز القرآن :
- ٣٦ ١ — الاخبار عن الغيوب مما لا يقدر عليه البشر
- ٣٧ ٢ — أمية النبي ﷺ وأنه لم يقرأ كتب الاقدمين وسيرهم
- ٣٨ ٣ — أن القرآن متناه في البلاغة الى الحد الذي يعلم به معجز انخلق عنه
- ٣٨ خروج القرآن في جملته عن المهود من نظام جميع كلام العرب

- ٣٩ أنه ليس للعرب كلام مشتمل على هذه الفصاحة والغرابة والتصريف البديع
- ٣٩ أن بديع تأليفه لا يتفاوت رغم ما يتصرف اليه من الوجوه التي يتصرف فيها
- ٤١ ان كلام الفصحاء يتفاوت في الفصل والوصل والعلو والنزول الخ
- ٤١ ان نظم القرآن وقع موقعا من البلاغة يخرج عن عادة كلام المخلوقات
- ٤٥ ان الذي ينقسم عليه الخطاب من الوجوه التي توجد في كلام العرب موجود في القرآن
- ٤٥ ان لطف التعبير القرآني عن الاحكام والرد على الملحدين مما يتعذر على البشر
- ٤٦ في أن الكلمة القرآنية اذا تُمثَّل بها في تضاعيف كلام كثير كانت واسطة عقده
- ٤٧ الحروف التي في أوائل بعض السور
- ٤٩ سهولة أساليب القرآن وكونها غير مطموع أن يقدر البشر عليها
- ٥٢ فصل في شرح ما بيننا من وجوه اعجاز القرآن
- ٥٢ الاخبار عن الغيوب والصدق والاصابة في ذلك كله
- ٥٣ اخبار عن قصص الاولين وسير المتقدمين
- ٥٣ الاعجاز الواقع في النظم والتأليف والوصف
- ٥٤ فصل في نفي الشعر من القرآن
- ٥٦ أن الفصحاء حين أورد عليهم القرآن لم يكونوا يعتقدونه شعرا
- ٥٨ ما في القرآن من كلام موزون
- ٥٩ فصل في نفي السجع من القرآن
- ٦٢ فصاحة القرآن لا يجوز أن يقع فيها سجع موصوف بالاضطراب
- ٦٤ اعادة ذكر القصة الواحدة في القرآن بأساليب مختلفة دليل على الاعجاز
- ٦٥ العرب ونظمها الشعر
- ٦٧ رجوع الى مذهب القائلين بالصرفة



- ٦٩ فصل في ذكر البديع من الكلام
- ٦٩ هل يمكن أن يُعرف إعجاز القرآن من جهة ما يتضمنه من البديع
- ٧٠ كتابات من البديع مأثورة عن الصحابة وفصحاء العرب
- ٧٢ أنواع من البديع في شعر امرئ القيس وغيره
- ٩٥ في أن البديع شيء ووجوه الاعجاز في القرآن شيء آخر
- ٩٧ في أنه لا سبيل إلى معرفة اعجاز القرآن من البديع لأنه ليس فيه ما يخرق العادة
- ٩٨ فصل في كيفية الوقوف على اعجاز القرآن
- ١٠٥ إمكان تشابه أساليب الشعراء والكتاب
- ١٠٩ تعريف البلاغة عند بعض الأمم
- ١١٠ خطبة نبوية « توبوا إلى ربكم قبل أن تموتوا »
- ١١٠ « ان لكم معالم فانتهوا إلى معالمكم »
- ١١٠ « ان أحسن الحديث كتاب الله »
- ١١١ « في أيام التشريق ان دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام »
- ١١٢ « يوم فتح مكة « كل مائة أو دم أو مال يدعى فهو تحت قدمي »
- ١١٢ « بالخيف « نضر الله عبداً سمع مقالتي فوعاها »
- ١١٣ « ألا ان الدنيا خضرة حلوة »
- ١١٣ كتاب نبوي إلى ملك فارس
- ١١٣ « إلى النجاشي »
- ١١٤ نسخة عهد الصلح مع قريش عام الحديبية
- ١١٤ في أن مقارنة الكلام النبوي بالكلام القرآني تدل على اعجاز القرآن
- ١١٥ خطبة الصديق الاعظم « وليت عليكم ولست بخيركم »

- ١١٥ عهد أبي بكر الى عمر رضي الله عنهما
- ١١٦ كتاب أبي عبيدة ومعاذ بن جبل الى عمر رضي الله عنهم
- ١١٧ عهد من عهد عمر رضي الله عنه
- ١١٨ خطبة عثمان رضي الله عنه « ان لكل شيء آفة ، و لكل نعمة عاهة »
- ١١٩ كتاب عثمان الى علي حين حصر رضي الله عنهما
- ١١٩ تأييد علي أبي بكر رضي الله عنهما لما قبض
- ١٢١ خطبة علوية « ان الدنيا قد ادرت و آذنت بoudاع »
- ١٢١ « ما خلق امرؤ عبثاً فيلهو »
- ١٢١ كتاب علي الى ابن عباس وهو بالبصرة رضي الله عنهم
- ١٢٢ كلام لابن عباس رضي الله عنهما
- ١٢٢ خطبة لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه
- ١٢٣ خطبة لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه
- ١٢٤ خطبة لعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه
- ١٢٤ خطبة للحجاج بن يوسف في أهل العراق
- ١٢٤ خطبة لقس بن ساعدة الايادي
- ١٢٦ خطبة لأبي طالب
- ١٢٦ استنتاج المؤلف أن نظم القرآن يخالف نظم كلام الآدميين
- ١٢٨ في أن كلام مسيلة أخس من أن يشتغل به
- ١٣٠ نقد معلقة امرئ القيس و بيان عوارها في جانب اعجاز القرآن
- ١٤٧ آخر نقد معلقة امرئ القيس
- ١٤٨ الامثلة على أن نهج القرآن و نظمه تنبيه العقول في جهته و تحار في بحره
- ١٦٥ الآيات قسمان: ما يتم بنفسه أو بنفسه و فاصلته ، و ما يشتمل على كلمتين أو كلمات



- ١٦٦ الامحازفي بعض الآيات يقع في تنزيل الخطاب وظهور الحكمة في الترتيب والمعنى
- ١٦٧ البلاغة في آيات الأحكام
- ١٧٣ في أن جنس الشعر لا يعارض نظم القرآن
- ١٧٥ نقد أجود قصائد البحثري « أهلاً بذلك الخيال المقبل » و بيان عوارها
- ١٨٩ آخر نقد قصيدة البحثري اللامية
- ١٩٢ الاشارة الى مطاعن الملاحدة في القرآن
- ١٩٥ فصل هل عجزُ أهل المصّر النبوي عن المعارضة يقتضي عجز من بعدهم ؟
- ١٩٦ فصل في التحدي
- ١٩٨ فصل في قدر المعجز من القرآن
- ٢٠٠ في أن الكلام يقع فيه الأبلغ والبليغ
- ٢٠١ فصل في أنه هل يعلم إبحار القرآن ضرورة ؟
- ٢٠١ فصل فيما يتعلق به الاعجاز
- ٢٠٢ فصل في وصف وجوه من البلاغة
- ٢٠٤ الاستعارة في القرآن
- ٢٠٥ التلاؤم في القرآن وأن بعض الناس أحسنُ احساساً به من بعض الفواصل
- ٢٠٦ المناسبة ، والتصريف ، والتضمين
- ٢٠٧ حسن البيان
- ٢١٣ الايجاز والبسط
- ٢١٤ تفاوت الناس فيما يتوصل اليه من البيان بالتعلم
- ٢١٥ هل يجوز أن يقال ان بلاغة القرآن هي أقصى ما يباغنه البشر من البلاغة ؟
- ٢١٦ فصل في حقيقة المعجز
- ٢١٩ فصل في كلام النبي ﷺ وأمور تتعلق بالاعجاز
- ٢٢٣ فصل من شرط المعجز أن يسلم أنه أتى به من ظهر عليه
- ٢٢٤ فصل متى عظم محل الشيء فقد يكون الاسهابُ فيه عيياً

# خزانة الأدب

ولب لباب لسان العرب

وهو شرح على شواهد شرح الكافية للرضي

تأليف

عبد القادر بن عمر البغدادي

طبعت على نسخة العلامة انشيطي ( رقم ١ نحو ش بدار الكتب المصرية ) وهي منقولة من نسخة المؤلف  
وحليتها بتصحيحات العلامة الجليل صاحب السعادة الاستاذ احمد تيمور باشا رحمة الله عليه  
وتصحيحات وتعليقات المحقق الكبير الاستاذ عبد العزيز الميعني الراجكوتي  
استاذ آداب اللغة العربية في جامعة عليكرة الاسلامية بالمند

صدر الجزء الثالث منها في ٤٤٠ صفحة مطبوعا في مطبعتنا السلفية  
على مثل الورق النفيس الذي طبعنا عليه الجزء الاول والثاني  
وقد فتحنا باب الاشتراك في الجزء الرابع بعشرة قروش  
ايضا كما كانت الحال في الاجزاء السابقة



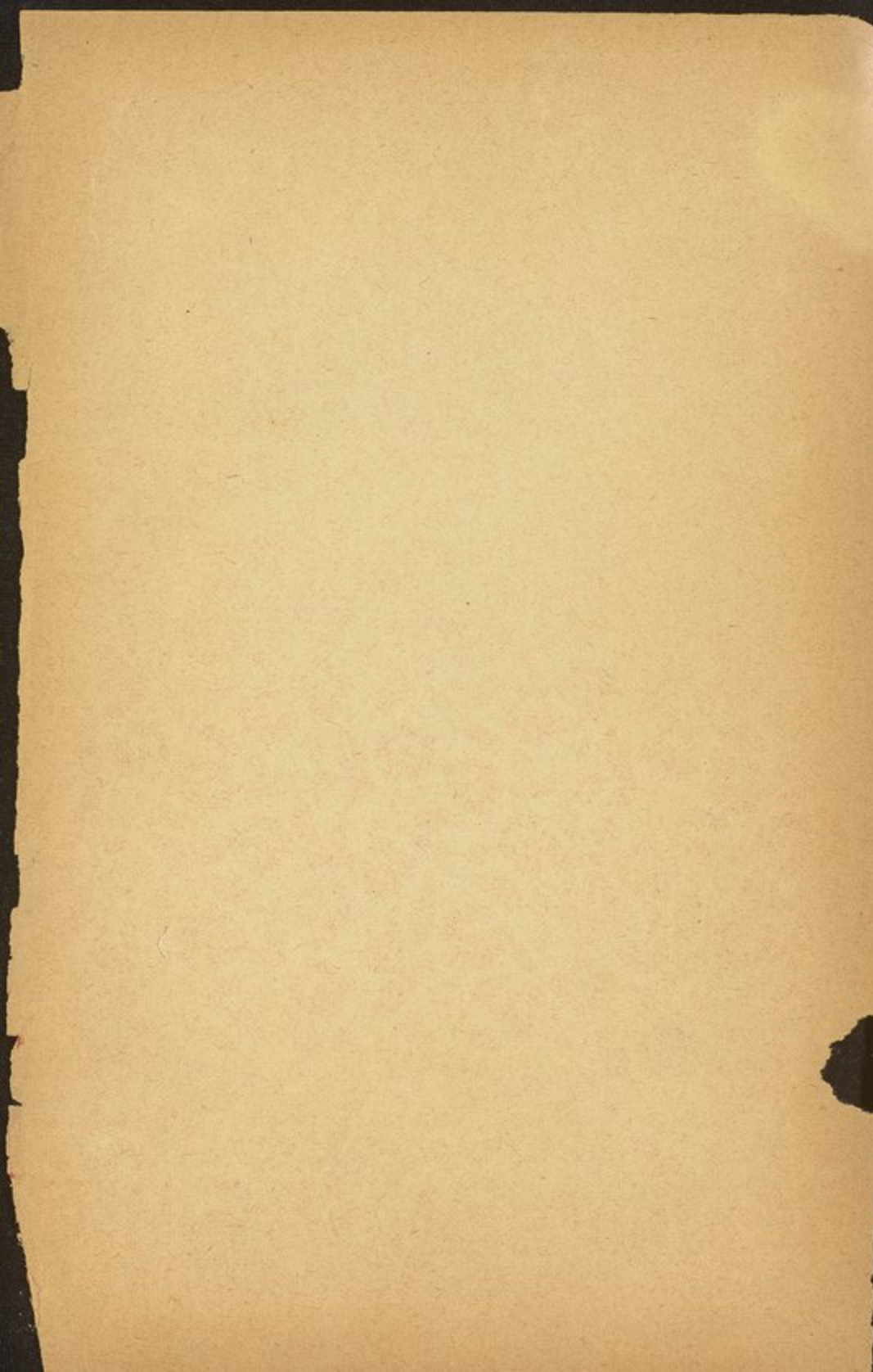
William Lloyd

1847













893.7K84

FB

APR 6 1951

COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE



CU07815131